

کتاب

کلام صبیح

Dr. Binibrahim Archive

دار الثقافة العامة
أ. ب. - أ. ب. - أ. ب.

دار الثقافة العامة

فقه

Subayh, Muhammad

al-Nil

النيل

لحماء صليبيج

المن ٢٥

سلسلة المراثب والشعوب

تصدرها دار الثقافة العامة

ص ٠ ب رقم ٩١٥ - القاهرة

- ١ — روسيا : صدرت الطبعة الأولى في أول يوليو سنة ١٩٤٥
- ٢ — النيل : صدرت الطبعة الأولى في أول أغسطس سنة ١٩٤٥
- ٣ — الهند
- ٤ — فنال السويس
- ٥ — الولايات المتحدة
- ٦ — العراق
- ٧ — أفريقية الجنوبية
- ٨ — إنجلترا « المملكة المتحدة »
- ٩ — إيران
- ١٠ — شبه جزيرة العرب

الى مقام صاحب الجلالة الملك المعظم

فاروق الأول

مولاي

.. هذا كتاب عن حياة مصر الجديدة ، على منطاف النيل
يصور آمالنا في وحدة شعب قديم ، يربطه نهر عظيم
نتائج كريم ، كما يصور آلامنا ورياءها التي سكتها
والتنازل ، لكن تعود لهذه الوحدة كما كانت ، حقيقة واقعة
نعود الى جبهة الزم ، ونزعم لا حوارا (لينا) ...
نيل نازم في ، يا مولاي ، أرفع الى
مقامك لهذا الكتاب الذي أعده ، لعدولنا نفة الكتب الأخرى
التي أصدرها ، تحرق من ثمرات الحياة القوية (الجيدة) التي
بعضها زعماء أبناء النيل ؟
أني أجد أنه نال كتاب هذا فكم هو القبول ؟

غلام عتيقكم

محمد صليحي

القاهرة ١٤١٤ هـ ، شباط ١٩٩٤ م
١٩٩٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

- ١ -

هذا هو اسم الكتاب ، وعند ما وضعت في قائمة هذه السلسلة ، قال لي صديق من المشتغلين بشؤون الطباعة والنشر : هلا غيرت اسم الكتاب ، قد يحسبه القراء كتاب « جغرافيا » فيعرضون عنه ، فامسكت القلم وكتبت : النيل .. « ليس كتاب جغرافيا !! » وقرأها صاحبي وتبسم راضياً ، فقد أصبح كل شيء بخير ، مادام شبح « الجغرافيا » قد نأى عن أعين القراء ومادات أجف ذكرهم المدرسية مستظل بعيدة عنهم ، لا تؤذي مزاجهم ولا تعلق بالهم .

ولقيت صديقاً آخر من المشتغلين بشؤون الري في وزارة الأشغال ، وقلت له وهو جيتصفح كتابي الماضي عن « روسيا » : سيكون كتابي القادم عن النيل . وترشت سحى أرى كيف يهش ، ويقبل على ماسمع ، فالنيل هو مادة عمله ، وسيصره من غير شك — أو هكذا قدرت — أن أضيف عنه كتاباً إلى مكتبته . ولكن صاحبي هذا تردد ، ثم تبهم ، ثم قرر أن يخلص لي النصيحة ، وهى أن أغير اسم الكتاب ، فما بالناس حاجة إلى مزيد من « الجغرافيا » ، وما لهم منها يكفيهم وزيادة . ولكنى قلبت صفحات ، وأشارت إلى اسم الكتاب ، وتحت التأكيد ، وكدت أضيف إيماناً منلفظة ، وموافق مؤكدة ، أن بين « الجغرافيا » وبين كتابي عن النيل سداً متيناً . وفرح صاحبي واطمأن إلى أنى إذن سأكتب لقراء ، وأتحدث إلى سامعين يحسنون الاصغاء .

ولما خلوت إلى نفسي، عجبت من كل هذا البغض الذي يدخره الناس « للجغرافيا » وحدثت للدكتور عوض جلادته وصلاته، فهو يحمل على عاتقه منذ خمسة عشر عاماً، كتاباً طويلاً عريضاً عن جغرافية النيل، ولما يتقوس ظهره بعد تحت هذا العبء القادح . ولكني مع هذا عدت أسأل نفسي : هل تكبره كل الشعوب علم الجغرافيا ، كما نكبره في مصر ؟ وهل نستقبل المؤلفات عن معالم الأرض الشهيرة بمثل هذا الاحساس الذي شاع من حولى وأنا أذيع أنى سأكتب عن النيل ، وكأننى أخطر بمكاتبي بين حملة الأقلام أياً كانت ؟ لقد صح لى منذ عشر سنين أن علمت أن الكاتب الألماني الشهير « اميل لدفيج » أخذ يصدر كتابه عن « النيل » الذي سجل فيه مشاهداته وهو يجتاز النهر العظيم من أقصى منابعه إلى نهاية مصبه ، ولشد ما دهشت عندما علمت أن الاستاذ العقاد لم ينتظر حتى يصدر الكتاب ، بل طلب من الناشر للطبعة الإنجليزية — فكسب لدفيج تصدر بثلاث لغات في وقت واحد — أن يرسل له « ملازم » الكتاب بالبريد الهوائى أولاً بأول . وقد كلفته مطالعة « النيل » بهذه الطريقة عشرة أضعاف ثمنه ، ومع هذا كان راضياً كل الرضى ، فقد استطاب متعة القراءة العاجلة لموضوع يمس مصر ، أو هو مصر نفسها ، وهى متعة عقلية مجدية تستحق كل هذه الملهفة على اقتناصها . ولما صدر كتاب « لدفيج » وجدته انقسم إلى جزئين ضخمين إذا ترجما إلى العربية زادا على ألف صفحة ولكن أحداً لم يفكر في الترجمة ، حتى لا تلحق بمجهوده لعنة « الجغرافيا » وليغفر لى أساتذة هذا العلم اجترأى ، فأنا أعبر عن رأى الكافة . ولكني مع هذا أستطيع أن أوكد أن كتاب « لدفيج » لم يرد إليه أكنداساً ، يملوها تراب الحازن . فقد فقدت نسخه ، وقرأها كثيرون باللغة الألمانية ، وباللغة الفرنسية ، وباللغة الإنجليزية . . وربما بلغات أخرى . وأرجو ألا يتعجل أحد فيتهم قراء هذه اللغات بفساد الذوق ، لأنهم يطالعون جغرافيا ، ويطالعون عن نهر لا يجري في بلادهم ، ولا تقوم عليه حياتهم .. يطالعون عن نهر النيل الذى تقوم عليه حياة مصر والسودان وأجزاء أخرى من أفريقية .

ومعاذ الله أن يكون قصدي أن أحجب الجغرافيا إلى الناس ، أو أن أستدرجهم
والتي عليهم دروساً في هذا العلم ، فما إلى هذا قصدت ، وهذا أخلق بالأستاذة المتخصصةين
وفي مصر منهم فحول افذاذ . وإني صادق صادق عند ما أقول لكم إن كتابي عن النيل
سيشير — من بعيد — إلى مسائل يجب على كل « مصري » أن يعرفها كما يعرف اسمه
وإلى برامج ينبغي أن تكون عقائدنا الوطنية الجديدة ، وأن نبني عليها سياسة المستقبل كله .
قصص في كتابي عن « روسيا » قصة خزان الدينير الذي انشأه ستالين ليد
روسيا بمليون حصان كهربائي ، وينظم ري مساحات هائلة من أرض أوكرانيا ، ويسر
الملاحة في هذا النهر الجوف . وقلت إن ستالين قبل أن يشرع في العمل ، أخذ يفهم
مواطنيه قصة خزائهم الجديد وأخذ يلح عليهم في الشرح والبيان ، حتى أصبح حديث
كل رجل وكل امرأة وكل طفل في روسيا ، وحتى أصبح الخزان بطلا شعبياً يتجسده
الروسيون كما يمجّد الأنبياء وعظماء التاريخ . وقد بدأت ميزانية المشروع تتضخم
بملايين التلاميذ وقروش العمال . وهكذا « كهر ب » حديث الخزان شعب روسيا قبل
أن يوضع في أساسه حبر واحد .

وما أحوجنا نحن إلى أن نستعيد هذا الأسلوب ، وأن نحول نيلنا العظيم الجميل
الوديع إلى بطل شعبي ، نحنو عليه كما يحنو علينا ، ونحقق قلوبنا بحبه بقدر ما يدفع دماء
الحياة حارة في قلوبنا بمائه الخلو ، وميفاته المنظم .. ما أحوجنا إلى أن « نغار » على نيلنا
كما نغار على أعراضنا ، وأن نقدم له من « الخدمات » ما يحتاج إليه جزاء خدماته
لهذا الشعب ..

النيل جريح يئن ويشكو .. غني جسده ثقوب كثيرة جداً تنفجر منها مياهه ،
وهي عزيزة عليه كعزة الدماء في عروق الأحياء . فعند منبعه ، عند بحر الجبل ، تتدفق
سيول من هذه المياه تغمر ٢٥ مليون فدان من الأرض ، ولو أن هذا الجرح التأم بحائط
أو بخليج جديد ، إذن لما ضاع هذا الماء العظيم الذي تدخره لنا بحيرتنا الهائلة على خط

الاستواء وتظل شهوراً تجمع الماء من أفواء السماء لكي يتبدد قبل أن يشهد الناس ويشهدونه .
وعند مصب النيل جرحان عظيمان يتدفق منهما ماء الحبشة الشرقى ، فى أيام الفيضان ،
وما أحوج صحارى النظمى إلى نصيب من هذه الثروة المبددة ، من هذا التبر الأسمر ،
الذى نفرقه كل عام فى البحر المتوسط ، كأنا جيل من السفهاء يضيع نعم الله وميراث
الأجيال ، شر ضياع .

لو أننا أحببنا نيلنا ، لنفخنا فى حفلة « وفاته » كل عام روحاً شعبية قومية جياشة
بالحياة ، تنذاكر فيها هذا الوفاء كيف كان ، وتتواصى فيها بواجبنا حيال النيل وكيف يكون .
لقد تحدثت مع بعض رجال « الأشغال » ومع غيرهم من المشرفين على شؤوننا العامة
فهمجوا لاجترأى على التحديق فى « قدس » الهندسة ، وكل جارحة فيهم تسكاد تقول
« دعونا نعمل فى هدوء » . وليس أحب إلينا من أن نترك الفنانين فى عزلتهم الفاخرة التى
ينشدونها ، لو أننا كنا نعيش قبل قرن أو نصف قرن من الزمان عند ما كانت أجهزة
الحكم تشبه كتب العلم فى أيام الكهنوت الأول ، لا يقاربها ولا يمسها إلا خاصة الخاصة !!
أما اليوم فقد تبدل الأمر ، وأصبح « الفضول » من خلق الشعوب الأصلية ، بل كلما
ازداد نصيب الشعوب من الفضول كلما ارتقت فى سلم الرقى درجات .

وحرام على رجال « الأشغال » أن يحبسوا النيل وآلامه وآماله فى ملفاتهم الضخمة .
حرام ألا يعرف « رجل الشارع » من أمر نيله شيئاً غير جرعة الماء التى يرتوى بها ،
وجرعات الماء التى يروى بها حقله . فربما كانت اطماعه أوسع ، وربما كانت رغباته
أقوى لو أنه عرف من أمر هذا الماء ، هبة السماء ، كل ما يجب أن يعرف .

لقد أصبحت كلمات اسوان وسنار وجبل الأولياء وطانا والبرت ، الغازا
مغلقة ، يمر عليها القارىء العادى فى الصحف على عجل ، كما يمر على أمور لا تهتم ولا تعنيه .
ونشأ عن هذه العزلة بين رجال الأشغال وبين الشعب الذى لا تبسط له علوم النيل ،
ولا تجيب إلى قلبه ، الكثير من الأضاحيك والفكاهات والقصص التى تصور عجزه حيال

« طقوس » الهندسة ، وكما مرت أمام ناظره ملايين الخيالات التي تنفخها الحكومة
 سويًا هز كتفيه وانصرف عنها .. وقص على واحد قصة تصور فيها الناس بوزارة الأشغال
 قبل أن يوحد البرلمان وتحقق رفاهه على أيرانيه قال : وقد إني مصر قبل الحرب العظمى
 المناصية موطف أحبي سمع أن هذه البلاد بلاد ارشوة ، وقرر أن يفتح هذا الباب المفتوح
 للثراء يعرف منه حتما ، ثم يعود إلى بلاده ، وكما كان يصنع بالاحسن قديماً ، عين في منصب
 كبير ، وعين لهسكر يرون وكتاب . ولما اطمأن على كرسية دق الحرس ، فحلف إليه سكر بيره .
 سألته عن قصة الرشاوى في مصر ، وأفهمه أنه يريد نصيباً عاجلاً منها ، فقال السكر بيه هذا
 يسير ، ودون أن يفكر اقترح بقاء استراحة ربي في بني سويف ، فوافقه الاجبي ،
 وعقدت الرسوم والمناقصة ، وذهب على مقول معين وقص صاحباً ملعاً طيباً ، ثم توالى
 الطلبات لاستراحة بني سويف من أسرة وكراسي وعيريه ، ومضى عام وعام ، قنع فيه
 الأحبي بما وصل اليه وراح وحل آخر محله ، فخطر له أن يسافر إلى الوحده القبلية
 لكي يمارس « الاستراحات » وكان مشوقاً بصحة خاصة لأن يرى استراحة بني سويف
 التي اعتقت على دحرقها وتحميلها مبالغ طائلة حتى لكأنها أحد القصور ، فلما وصل إلى
 المدينة سأل عن استراحاتها ، فلم يجد فيها استراحة . وظهر أن المناقصة والتصميمات
 والاعتمادات التي صرفت كانت كلها على الورق !!

وقد نكون هذه القصة غير صحيحة ، بل هي من خيال بعض المندرين ، وأصحاب
 الفكاهة ، ولكني أخشى إذا طال الأمر بوزارة الأشغال على مدوكها الخالي خيال الشعب
 أن يأتي وقت يصح فيه خراف أسوان نفسه ، أسطورة مثل استراحة « بني سويف » .
 ولقد حاولت وسأحاول أن أيسر أعمار « الأشغال » لهم ، وأن أقرب شؤون
 الليل للناس ، وأن أحول منه نطلا شعبياً يحس به الشعب ، كما كان القدماء يحسون به
 في أيام وثبتهم حتى عندوه

قلت انى لم أكتب كتابى هذا عن النيل لأدرس المساح والجيوولوجيا ، فلم يكن شىء من هذا مطلقا الذى أوحى لى بفكرته . ولكن حدث فى خلال الأعوام الخمسة الماضية أن وجدت وقت فراغ طويلا ، مكى من قراءة الكثير من الكتب التى كانت صحتها دور أن أتمكن من قراءتها قبل الحرب . وكان من بينها كتاب « مسيرة خط الاستواء » لسمو الأمير عمر طوسون . وقد أدهشتنى أن هذا الكتاب كان عدى ، وأنى تصفحته على عجل ، وبكى لم أسين تدمما فائدته العظيمة ، وما حواه من ذخائر العلم التى لا تقدر ثمن . وحسب هذا الكتاب ، أنه عرفنى إلى شخصية « حواش افندى !! » . أحل شخصية الصابط المصرى حواش افندى منصر ، الذى عاش مع مئات من المصريين عند البحيرات الاستوائية سنوات طويلة من آخر القرن الماضى ، ومثلوا شعب مصر وراح مصر ، حتى أدت ظروف البلاد السيئة أن تسندعيم حكومتهم وتمحو سيادة مصر من معظم هذه الأصقاع

لقد حمى « حواش افندى » ، ولتقبل هذا الاسم على علانه ، وأرجو أن نألفه وأن تحبه كما أحسنه . حمى على أن أقصى سير بعض هؤلاء الحدود المحبوبين الذين أحوا النيل فأحهم ، والذين أراقوا دماءهم ، وقضوا رهرة شبابهم وبيع عمرهم بجوسون حول صغنيه ، ويشقون سكران جهودهم ، ويسعدون بأداء واجهم ، ويتألمون وتبكي دموعهم وقلوبهم لفرط اعيائهم وفرط اهمالهم ، حتى احتلظت مياه النهر بدمهم وبدمعهم وحتى لم أعد استطيع وأنا أحرق فى مياه النهر أن أفر من صورة « حواش افندى » ، وأصحاه وهى تترأى على الصفحة الوصاءة اللبية صفحة النيل وهى تنساب أمام النظر . ومدد قديمى كتاب الأمير إلى حواش افندى ، أحدث أنابع القراءة فى هذا الكتاب ،

وأنتسح سسنة اليهود المصرية ،المريقة التي بدلت لساء وحدة النيل ، وماشت أن عثرت
على شخصية أخرى سقت وعاصرت شخصية الاستوائى المصرى حواش افندى ، وهى
شخصية القائد لمصرى اراهيم باشا فورى الذى كان آخر ممثل لشعب مصر وتاج مصر
فى الخرطوم حتى سقطت فى يد المهدي ، وكان أول من فككت حيوش مصر أسره بعد
أهوار بحيمة عاش فى وسطها أيام الحكم المهدي فى السودان . .

وبدوت لهذا القائد الأسير حركته ، وعاد إلى وطنه ، شرت له حرية المؤيد
مذكراته عن حياته فى السودان فى كتاب صحم ، حوى نصف سيرة فورى باشا ،
أما النصف الآخر فلم يطلع ، وقد انتهكت نسي بحثاً وراء المذكرات المخطوطة فلم أعثر
عليها ، فاضطرت إلى التماس باقى القصة عند مؤلفين أجاب عاشوا فى هس الأسر
مثل سلاطين ويوفلد ، وسجلوا إلى جانب حواظهم لحات عن أسرار اراهيم فورى وسيرته .

ومن خلال هاتين القصتين : وقد مضى على انتهاء حوادثها ٥٠ سنة . ومن بين
سطور هانين السيرتين : سيرة حواش افندى و اراهيم باشا فورى ، تكامل بقيى
واقعاى ، ن هذا نهر العظيم . . مهر اسيل الذى عسى أمثال هذه الشخصيات الطيبة
الحيرة واحتصها ، لا يمكن أن يحصع لعوامل الفارقة السياسية التى صرت عليه ، وأن
الدماء والآلام التى احتمدها آباؤنا الاقربون على صمقى النيل لن تصيع سدى ويكنى أن
نتذكرها لكي تكون وثيقة اميراث ، وحجة الأساء والأحمدات التى بدكرهم بحق «مهرهم»
عبيهم ، وواجههم الأذى الخالد ، وهو أن يجمعوا شمل عالم يأذن الله ، ومالم تأذن الطبيعة
ومالم يأذن التاريخ ، ن نتمرق أعصاؤه ، وتتمرق أشلاؤه ، وتنتشر مقوماته وأجراؤه .

وتقد حيبى « حواش افندى » إلى هذه الأسماء العتمة المظلمة التى مرت عليها صفاراً
فى دروس الخراف من أمثال ييمولى ، وعانة شمبى ، ومكراكا ، وغدكرو وغيرها . فقد
عاش فيها ، وتنقل بينها ، وصحبه مئات من أسماء النيل وأفراد قلائل من بيص أوربا ، وطلوا

يصيئون مشاعل الحصار و يوطدون قواعد الطام ، فها انتهت مهمتهم لأمر خارج عن إرادتهم ، تركوا بلاداً عرفت نفسها ، وعرفها العالم من بعدهم .

من يستطيع أن يقول عن أمر نية إيه القارة الطماء ، وقد حمن حواش افسى المشعل ، و مدد الطلعات ، واحترق من ناره كثيرون من أحيائه وأعرائه

من يستطيع أن يقول إن عشرات الألوف من المصريين الذين ماتوا في السودان أيام حكم المهدي والتمايشي ذهبت دماؤهم سدى ، و طمر التراب ذكرهم .. لا .. لا ، فصر التي ردها محمد علي إلى أعلى النيل ، واحترق اسمه العرير في فيافيه ، هي مصر التي أقامت في أرض هذا الهر لا تعرفه أحراء ، ولا تعرفه حدوداً ، ولكن تعرفه جميعاً قلب عصمت بأسيائها عاصفة الثورة لمهدية ، عرفت كيف نصير ، وكيف تنتظر ..

ومن خلال الجهود المصرية ، مع قيادة بريطانية ، عادت مصر إلى السودان ، أو عاد السودان إلى مصر ، وكانت عودة كاملة شاملة لا تعرف قيوداً . حقيقة فرص كرومر على مصر معاهدة سنة ١٨٩٩ ، التي قسمت أرض النيل إلى قسمين : قسم تحكمه إنجلترا مباشرة ، وقسم تشارك في حكمه مع مصر . وهذه المعاهدة تكون في التاريخ صفحة - . في هذا شك - ولكن الاحتلال نفسه الذي سبقها بسعة عشر عاماً ، والحماية التي لحقتها بعد مثل هذا الزمن ، نكون أيضاً صفحات من تاريخ مصر الحديث ومصر التي لم ترض عن الحماية ، ولم ترض عن الاحتلال ، وسعت وما تزال تسعى لتحقيق استقلالها ، هي مصر التي لم ترض عن معاهدة سنة ١٨٩٩ وسعت وما تزال تسعى لتعديلها . والسودان ، لا بقية حوض النيل كما يجب أن يكون ، كان موضوع محادثات مستمرة بين الجانب المصري والجانب البريطاني وقد اعترف في جميع المفاوضات بأن أمره متروك لمفاوضات مقبلة ، ومعنى هذا التصريح أن كلا الحسنيين المصري والبريطاني يسلمان بأن معاهدة سنة ١٨٩٩ ليست أساساً صالحاً لاقامة نظام حكم سليم في أي مكان من الأرض ، بل هي توحيد في عرف القانون الدولي وصعاً شاذاً لا نظير له في ديار المعاصرة .

ولقد أدت ثنائية الحكم خلال سنة وأربعين سنة إلى نتائج حسنة في إقرار النظام ، وكانت أعناء هذا الحكم واقعة كلها تقريباً على الجانب البريطاني ولكن استقرار الأمن ، وإيجاد حكومة مركزية في السودان بس كل شيء في حياة الأمم فحصر نفسها قبل ستين سنة كانت تشكو مما كان يشكو منه السودانيون وتقدم أنظمة الحكم في مصر ، واستقرار مايتها وأمنها ، لم يسندع بحال من الأحوال أن يصير الانحياز على النقاء في بلادنا لمتانة اسطيم البوليسى والدلى ، فقرروا أن يحكموا يدهم . والعلاقات بين المصريين في طريقها إلى أن تستقر على أساس حنف حر شريف . وهذا ما يقال عن السودان تماماً ، فسطم أداته الحكومية لا يمكن مطلقاً أن يكون دريعة لاستمرار التدخل في شؤونه . فيحب أن نذكر أمر السودان لأهله . وأهله هم أبناء النيل جميعاً ، بعد أن رشد حوهم مثلما رشد شهم .

وما يقال عن عنة فريق من السودانيين في الاستقلال عن مصر ، وعن بريطانيا معاً ، لا يجب أن يقام له وزن كبير فمن لا سحت عن معنم في السودان إلا قدر ما يبحث السودان عن معنم له في مصر . ومع ذلك فالمصريون والسودانيون أحرىء أن يسوروا أمورهم فيما بينهم ، كما يسوى الأهل شؤون دارهم ومع ذلك مرة أخرى — فلا صير في أن يكون حكم القصبه عمرو بن العاص أو اوموسى الأشعري ، فسواء في نظر الواقع أن تحكم بكوفة أو تحكم دمشق ، ولكن الكارثة كانت في أن تحكم ببرطة الاثنين !!

ومنحن . بعد هذه الحرب نريد أن نستأنف بحث مسائلنا القومية في حدود الروية والاراء ، وسرى من غير شك أن مصر القوية المقدرة ثروتها و تكامل أرضها و تكامل بيلها ، ستكون عوناً أكبر عون في استقرار السلام ، وسيادة المادىء الحرة الأصيلة . وقد هزت الحرب ، مع تقدم الزمن وتطور الفكر ، مبادئ الاستعمار القديمة من أساسها ، ولا يجب أن نتطرح حراً جديده لكي تقنع هذه الشجرة الخبيثة من

اسكون ، وإيما يحسن كثيراً أن تسود ثقة والتعاون الصادق بين شعب اديل كله ، وبين الشعب البريطاني ، وهذه الثقة كفيلة بأن تحقق من النتائج أصناف ما تحققة أساليب القهر والارغام في طل الأسلحة والأساطيل .

وما حرت عينا المجتزا ولا غيرها حياة ، ولا كوصاً على العقين . فقد وفيما الأمانة في محبة الحبشة عام ١٩٣٥ ، وفيهاها في محبة الحرب الحاضرة . وعلى الأحص عام ١٩٤٢ ، وسكون أكثر حرصاً على الوفاء في أرملت أخرى قد تقع .



ولقد شاقني القراءة عن النيل سهراً وأهلاً ، فأحدث أتنع الجهود التي بذلت لكشف محافل النهر الجنوبية ، وأهمها كما ذكرت جهود مدني مصر الحديثة محمد علي الكبير الذي دفع رحله وسعته حتى وصلت إلى حد كرو عام ١٨٤١ ، ثم حالت صحوره النهر وشلالاته دور مناعة الملاحة في مجراه . ولكن ما وصل إليه رحال محمد علي كان عظيم القيمة ، معرياً أشد الاعراء للمغامرين والعلماء الأوربيين مناعة عمله بعد أربع سنين أخذ رائد انجليزى « جون تريث » يدب في أعالي النيل ، ولكنه عرب وقصر رحله على مناطق بحر العرال وبلاد بحر العرال .

وتابع الزاد بعد ذلك ، وكان أهمهم « سيليك » الذي سار من ربحر مع صاحب له حتى وصل إلى بحيرة وكنوريا . وقد كان أعظم عون لهذا الرحالة بحار العرب الذين عرفوا البحيرات الاستوائية وارتادوها طولاً وعرضاً ، ولكن جهودهم كانت فاصرة على تبادل التجارة ، أما علومهم فظلت في صدورهم لم يعهم أن يقدموها لأحد . إلا إذا انفصل وطلها . ومن الحق أن العرب عرفوا منابع النيل من العصور الوسطى ، وأنه كان يأسس لهم شيئاً عادياً ولم يظهر أثره في مؤلفاتهم لهذا السب ، لأن التجارة كانت شغلهم قبل أى شىء آخر .

وانضم الرحالة جراست إلى سنيث ، ثم التقى بهما المرصم ويل بيكر ، وظل الثلاثة يدورون حول اساع ، حتى عام ١٨٦٩ ، عندما بولى الخديوى اسماعيل باشا نعت مهنته القوية فألحق بيكر بمخدمه ، وتولت حرسه مصر تسيير البعث والاتاق عليها ، مما سيرد تفصيله ونحن نقص التاريخ الاسانى للجهود المصرية في تلك المناطق .

وإذا كانت أودبا قد اهتمت في منتصف القرن الماضي بالكشف عن محاسن النيل ، فقد كانت تحركها عوامل هامة ، أوها عامل اقتصادى . إذ أدى ظهور النهضة الصناعية ومخترعاتها الحديثة إلى طلب الكثير من المواد الخام . وكان المطاط على رأس قائمة المواد المطلوبة للصناعة وبدأت المناطق الاستوائية في الحساب .

وبلى جانب العامل الاقتصادى ظهر عامل آخر لا يقل أهمية عنه ، فقد قويت الحركة المسيحية في أوروبا ، واشتدت الرعدة في شر الدين وانتشيره في كل مكان . وكانت أرض اوثيين الدين لادن لهم من بين الجهات التى أوثرت سدد اليهود . وقد التقى العاملان الاقتصادى والدينى ، فكونا معاً حركة الاسمار الكرى التى شهدتها منتصف القرن التاسع عشر

وهكذا كان رجال الدين طليعة الموكب الأوربى في اقارة الأفريقية ، وتبعهم رجال التجارة ، ثم أعقبهم على الفور الجيوش المتحاربة .

فلما ظهرت مصر في الميدان ، يخدمها عامل التوحيد الأكبر وهو سر الدين - تولت العمل فيه جهتان : السياسة ومن ورائها نحات اسماعيل باشا العسكرية ، والدراسات المائية ووراءها مصلحة ثم وزارة الأشغال المصرية .

قد نظم هذه الدراسات في أول الأمر مهندسون من الانجليز : أهمهم الكونويل موكرنف ، والسر ولیم جارمسون ، والسر ويلسكو كس ، والسر مردوخ مكندونالد . وتبعهم بعد هذا ، الرعيل الخاص من كبار المهندسين المصريين وأهمهم اسماعيل باشا سرى وابنه الشهير حسين باشا سرى . وإن كان من الخير ومن حسن انوفاء أن تشير إلى جهود العاملين

على باشا مصادق وأمين باشا سامي ، فقد كتب أوهما « نحة الفكر في مدير ميل مصر »
وثانيهما « تقويم النيل » وهما سفران قيم جدا .

وقارىء تقارير مصدحة الاشغال ، يدهش للمحاورات والمباحث التي كانت تدور
بين رجال الهندسة منذ نصف قرن ، وهم يصنعون خططهم لانشاء حران أسوان . فقد
كتب السرحارسون رد على الاعتراضات التي أثبتت حوان اشاء الحران وهى :

١ - وجود صعوبات في الاشياء تفوق بحار الشغل وأتمامه .

٢ - تعرض القطر المسمى للهجمات العسكرية الأحمية التي ربما تقص على رمام
اسد ، فيصير ذلك بالقطر المسمى صرا عطايا ونعدم الزراعة النصفية .

٣ - حدوث زلازل ، أو أن ماء اسد ربما يكون رديئا فان ذلك مما ينسب
عنه كسر اسد دفعة واحدة فيحدث عنه طوفان عظيم ينتف كل أراضى القطر المسمى
من أصوان الى القاهرة

٤ - نظرا لأن مياه الحران ستكون رأكدة فر مما تنسب عن ذلك تعفن فيها ،
فيحصل من ذلك تسمم مياه القطر المسمى ، وتصير غير صالحة للاستعمال . «
ومذ أشيء اخران وعمره الآن ٤٣ سنة لم يحدث شيء مما قيل عنه قبل انشائه
ولكن من الطريف أن مذكر رد جارسون على النقطة الثانية ، وهى الهجمات
العسكرية قال :

« هذه الطوارىء لا يصح أن المهندسين يشتعلون بها ويفكرون فيها لأنها ليست
من متعلقاتهم ، بل هى من اختصاصات الحكام وأولياء الأمر المشغولين بسياسة الأمة
وقيادة القطر ، فهم الذين سدون آراءهم وأفكارهم للحصرة الحدودية الحاكمة على الأمة
المصرية جميعها . ومع ذلك ، فاني أقول من نفسى انه اذا امتلك العدو وما ما من الأيام
المطلقة اننى بين أسوان وحلفا ، فان الحكومة المصرية تصيح والعياذ بالله معدومة ،
وتصير كلا شيء بالكلمة ، وما دام بالله عيبك قد استولى العدو على مديرية الحدود ،

عند ما بدأت مصر حملتها الكبرى لتخليد علاقاتها مع إنجلترا ، سافر إلى لندن أول وفد مصري رسمي برئاسة المرحوم عدلى بكى باشا ، وكان من أعضائه رشدى باشا وصديقى باشا ، وشعيق باشا وغيرهم ، وتولى معاوضتهم من الجانب البريطانى اللورد كيررون وزير الخارجية ، وفى جلسة ١٤ يوليو سنة ١٩٢١ ، كان البحث يدور حول مصالح المهمة التى يحسن أن يشاركها الاحاسنى الاشراف عليها مع المصريين . قال اللورد كيررون : - . . . سأنى معصهم وأما ناقشه ، وما شئ يرى ؟ انكم لا تجهلون أهميته لمصر ، كما لا تجهلون أن أعمال الرى الكبرى قام بها الانجليز بحريتهم المكسفة فى الهند ، وهى من معاشرهم ، ويجب لفتائهم أن تسمى تحت اشراف حقيقى . فقال : ولذلك أسألكم أن تكونوا لاسدود المالى فانة سيه ؟ وكيف يجرى من غير ردة واشراف ؟

عدلى باشا نحن نولى أمورنا بنفسنا

اللورد كيررون - هذا جميل ولكن أياكون كافياً ؟

عدلى باشا الواقع ان سندحاً إلى أهل الفن واخبرة فى هذا الباب .

اللورد كيررون - من يصح عدم وقوع الخطأ ؟ إن الرجال السياسيين لا يفتقرون هذه المسائل كثيراً ، وأما لا أصاب معكم الآن جوانباً ، وإنما أسبهم إلى أن هذا أمر يهم مصالح الأجانب . وثلاً جانب مصالح غير الدين ، ولا يتوقع أن تنظم أعمال مصلحة الرى إلا إذا كانت فى أيسى كبر .

رشدى باشا مصلحة امصريين أهمهم أن يكون الرى قبال كل شئ ، على أحسن حال . ثم إن أملاك الاجانب قليلة بالنسبة لأملاك امصريين .

اللورد كيررون - من هذا كافياً ولقد رأيت فى الهند غلظاً فاصحة

وأذكر أن إحدى الأمارات الهندية صلت مني أن أعين لها مندوباً ما بين وآخر لبري .
 عدلى باشا ذكر تدرّيج أعمال لبري وبين أن الأعمال المهمة من عهد محمد علي
 تم بواسطة الاستعانة بالأحباب ، وليس في المصالح المصرية المهمة ما يعنى به المصريون
 مثل هذا ، فهم خير رقيب على طريقة ادارته .
 صدق باشا في المسألة مسألة حياة وموت بالنسبة لمصر فلا يخشى من أن يربط فيها



وفي حصة ١٧ اكتوبر سنة ١٩٢١ ، دارت المناقشات حول مركز السودان
 وانبيل . سأل استر لنديس :

وماذا ترون في السودان ؟ فأجاب عدلى رشا :
 ، أنا لم تعرض له ، لأنها قصصاً ستظهر لقراع من المناقشة في المسائل الأخرى
 قبل أن نعالج هذه المسألة

لستر لنديس — لم يعهد إلى الكلام في هذا الموضوع ، ولكنه غير محرم على .
 وتعلمكم بـ كروم ما كتبه اللورد مصر في تقريره عنه ^(١) ، ولا أظن الحكومة الانجليزية
 إلا آخذة برأيه فيه .

(١) ودد في تقرير اللورد مصر عن السودان :

■ من مبروع الذي تضمنته المذكرة يتناول مصر فقط ، ولا يطبق على السودان ، البلاد التي
 تختلف كل الاختلاف عن مصر في أوضاعها وتركيبها ، وكو . ذاتها من امدة محددة تحديداً حلياً في
 لا اتفاق الانجليزي المصري بمرم في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ، وليس كماله . مصر هي لا تزال غير معيه .
 هذه الأسباب أخرجنا السودان عمداً من مبحثنا كلها مع الوعد ، وكان لذلك مفهوماً دائماً عند
 أعضائه ، ولكن معاً لخطأ وسوء الفهم بمصر في عاين مناشات ومدهم رفع اللورد مصر كتاب
 تاني إلى عدلى باشا تكن : أرسل . به مذكرة وهو

■ ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠

عمرى باشا

مخصوص الحادث الذي جرى بعد أسبوعين فأقول مرة أخرى أنه ليس بين أحرار المذكرة لى

عدلى ناشا - ولكن اللورد كيردرون لم يصع لمسألة السودان حلاً معيلاً ، ولا صمن تقريره شيئاً عن تفصيلات نظام الحكم فيه ، ولا يخرج الأمر في ذلك التقرير عن

أنا مرسلها إليك الآن جزء يقصد تطبيقه على السودان ، كما هو ظاهر من الإشارة إليها ، ولكنى أرى احتياجاً لكل خطأ وسوء فهم في المستقبل أنه يحسن ما أن بدون رأى اللجنة وهو أن موضوع السودان الذى لم تناقش به قط من ورغوى ناشا وأصحابه خارج بالكلية عن دائره الاتفاق المقصود به ، فإن اللدس يختلفان اختلافًا عظيمًا في آرائهما ، ونحن نرى أن البحث في كل منهما يجب أن يكون على وجه مختلف عن وجه البحث في الآخر .

إن السودان تقدم تقدمًا عظيمًا تحت إدارته الحالية المؤسسه على مود اتفاق ١٨٩٩ ، ويجب والحالة هذه ألا يسمح لأى تغيير يحصل في حالة مصر السياسه أن يوقع الاضطراب في توسيع نطاق تقدم السودان وتقدمه على نظام أمضى مثل هذه النتائج المسببة .

على أنما ندرك من أهمية الأخرى أن مصر مصلحة حيوية في إيراد الماء الذى يصل إليها من السودان ، ونحن نعلمون على أن نقرح اقتراحات من شأنها أن تزيد ثم مصر وقلتها من حبة كدبه ذلك لإيراد لمخارجها الحالية والمستقبلية

■ ونجعل من هذا المقام أن ورد بالإيجاز الأسباب التى نرى أنها تقضى باستحالة تسوية مسألة السودان على أساسى أى إيراد سويه مسألة لمصر به عيبها ، ونشير في الوقت عينه إلى المصلحة العامة التى يتوحد لنا أنها أصلح من سواه . سندحاجب السودان لحماية فنقول .

إن الأكتريه لكبرى من أهل مصر متحاسة بالنسبة إلى سواه ، وأما اسودن فمقسم من عرب وبدو ، وفى كل من هذين القسمين الكبيرين أحاس وقائل يختلف بعضها عن بعض اختلافًا عظيمًا ونصاد بعضها بعضا كثيراً أما عرب السودان فيسكنون باللعه التى يتكلم بها أهل مصر ، وتجمع بينهم جامعة الدين ، والاسلام أحد في الاشارة إلى السودان حتى بين لأحاس غير العربية من أهله ، وهذه المؤثرات تطالب ما بين أهالى اللدس من اتحاد والتضام ، وسكها لا تقوى عليه بعد ما رادف تدكار سواه الحكم بصرى الماصى قوة وشدة

■ أما الروابط السياسية التى ربطت اسودن بمصر في فترات مختلفة من الزمان الماصى ، فكانت دوماً روابط واهية ، فإن الفاتحين المصريين احتاحوا أقساماً من اسودن ، بل اسودن كله ، ولكن مصر لم تسمع اسودن قط احصاءاً حقيقياً ، ولا أدعته فيها وجعله بمصالحهم ، حتى من المعانى ، وكان تتعبد له في تقرب الماصى بسكبه كبره على اللدس معاً ، ونهى أمره . سنة مئدى الى قسوت لصدف المصرية رأه على عتب في أوائل العهد الذى من ذلك القرن . ومع من السلطة المصرية من أثر في السودان مدة أكثر من عشر سنوات إلا في مقاطعة صغيرة حول سواكن ، فاضطرت بريطانيا العظمى من جراء ذلك لتتشكل أن تثير عدة حملات أمنقت عيها أموالاً طائلة لصدف الحاميات المصرية ، والدفاع عن مصر التى كانت عرصه سبل عصبات المهدى الحاربه ، واستلمت الاى البريطانية زمام حكمه اسودن فعلا مد مدحه القوات المصرية والمصريين بقيادة نواد بريطانيايين في سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٨ ، وبات السودان تحت ااية البرطاطة المصرية في سنة ١٨٩٩ ، لآب الحاكم العام ، وإن كان معه سلطان

بعض آراء عامة ترمى إلى استيفاء طابع الحكم الذى جرى فى السودان من فتحه إلى الآن وإذ كان لا أن نكلم فى السودان الآن فاني أحب أن أعرف أولا رأيك فى حركة السودان

(وسأنا حدود مصر) إلا أن الحكومة البريطانية هي التي ترشحه ، وكل مديري المديرين وكذا الموظفين هم من البريطانيين ، فتقدم السودان نقدا عينا ماد ، وأدبيا تحت رعاية الحكومة المنظمة هذا النظام ، لأننا إذا حسبنا حيات كل ما نصفيه بساطة هذه الفصحة ، وهي ادخال المدي والاولى الحكومة منتظمة متمدة إلى نازد أهلها لا يزالون في أول عهد السداحة ، حكم أن النجاح العظيم الذى شجعه بلاد السودان في مدة الطويلة التي كان فيها السير ريجل وحيث كانا عاما عينا بعد أجد صفحة في تاريخ الحكم البريطانى على الشعوب متأخرة . أما الحكومة الحالية فصولا ومحبوبة عند أهل السودان ، والسلام والقدوم نحيين في تلك بلاد لا وبما بدر .

■ غير أنه ، وإن سكى مصر والسودان بلدين ممارس أحدهما عن الآخر ، وارتقؤهما يكون على مباحين مختلفين ، فلمصر مع ذلك مصدرة عطية حذا في السودان ، وهي أن النيل الذى ينصب عنه وجود مصر وكيانها مجرى مساهم ثبات من الأمال في بلاد السودان ، من أهم الأمور لمصر مع أى تحويل ناء النيل يمكن أن نعمل مساحة أراضيها لزراعة الحيا ، ونسعى من اصلاح أراضيها التي تنبع مساحتها حوافي مبنون مدام وتصير قابلة للزراعة إن حزن ماء النيل ، ورد ما يرد منه للرعى عما هو عليه الآن

وقد كانت كمية الماء التي يأخذها السودان رأس من النيل قليلة حتى الآن ، ولكن كلما زاد عدد سكان السودان احتاج بلادهم إلى ماء أكثر لأجل تقدمها ، وقد ينص ذلك إلى انتصارات بين مصالحهم ومصالح أهل مصر ، ولكن الأمن وطيد أنه إذا حظت مياه النيل جيدا ، وورعت كذلك ، كفت لرى كل الأطنان التي يمكن أن يحتاج إلى الرى سواء كانت في مصر أو في السودان . ولكن انتصم على مياه النيل وصفتها لدى مسألة على أعظم مكان من أهميته . والقضايا التي سطوى تحت ذلك فيه كانت أو غير فنية صعبة ومعقدة حذا بحيث يقتضى في رأيا معين حبة دائمة من حيرى من الطلقة الأولى ، وأيضا من رجال يونون عن النيل إلى لها علاقة بهذا الأمر ، وما مصر وسودان وأوجندا لنحل كل المسائل التي لها مساس بالحكم في ماء النيل وسطها ، ولتضمن توزيع الماء بالتوسط .

■ والضرورة تقضى الآن أن يكون السودان كله تحت سلطة واحدة عيا ، ولكن لا يستحسن أن يتحصر الحكم كله في حكومة مركزية ، بل انواح إلىاء مقابليد إدارته بقدر الامكان إلى حكام من الوطنيين حيثما وجدوا تحت المراقبة البريطانية طرا لاتذاع أوجانته ، واختلاف طباع أهلها وحلاقاتهم . فالحكومة البيروقراطية المركزية لانتائم السودان على الإطلاق ، وإما علائمه اللامركزية ، واستعداد العناصر الوطنية ، حيث يستطيع لإيجار الأعمال الادارة البسيطة التي يحتاج البلاد إليها في الحالة التي هي عينا من التقدم لأن ذلك يمثل نفقاتها ويريد في كفافة رحلتها وحسن إدارتها . والموظفون الآن من أهل البلاد قدوا العدد إلى جانب الذين يؤتى بهم من مصر ، وهؤلاء لا يحبون الخدمة في السودان ،

المستتر سندسى - انه حكم ثنائى Condominium (مثلث مشترك)

على باش - إنما الاشتراك فى الإدارة ، فما حق لسيادة فهو منصرف وحدها كان السودان منصرفه كنه رسم ، وسكك لم تقدر فيها خطة فمكرة اسرجاعه حتى مهمات الظروف لاعادة فتحه واشتركت المجدرا مع مصر فى جرد من التحرر مدة اتى أرسلت اليه والأموال اتى أنفقت عليه . وسكك لم تدع يوم حقا على السودان نسب ذلك الاشتراك وما فتح السودان باسم مصر ، ومصلحة مصر ، وما زالت مصر تسد عمر ميراثته حتى عهد قريب ، وقد أعلن ذلك أكثر من مرة رجال السياسة ، والخمش ، واللورد كرومر واصح اعاقية السودان

المستتر سندسى ولكن المرفوع على دور الحكومة فى السودان هو العلفان الانجليزى والمصرى .

ولكن هذه تصونه سندان كل تقدم شعيم فى السودان ، وورد عدد اللان بصيرون كيث من أهله انقلد الوظائف الرسمية

■ وانواح فى الوف عنه ، لانشاء السككى إلى أمر التعليم حتى لايرسك وه لخطأ الذى ارتكب فى مصر مادخال نظام اسبا لا يؤمن غلامه بعد يذكر سوى لأعمال اسكناية ووظائف لإدارة الصغيرة ، وتخرج جمهور كبير يعوق الحاجة من اللان نصيح أنصارهم إلى الاستخدام فى حكومه . فليس فى السودان محال حبس من مقدار الموظفين ، ولذلك يجب أن يوجه التعليم بحيث يربى فى سواديين القابلة وليل إلى الاعمال الأخرى كالزراعة والصناعة والتجارة والهندسة إن حاجة تلك البلاد الآن هى إلى الترقى ، وفى وسعها الاستعانة بنظام ادرى على عامة من الناس ثم قال بتقرير .

■ ويقان بالاحمال ان العرب الذى روى فيه سياسة لرمطانه يجب أن يكون حلا ، حاب مصر من مسؤولية عالية للسودان ، وتقرير العلاقات بين الطرفين فى المستقبل على قاعدة تعين ارمقاء السودان ارتقاء مستغلا ، ومصاخ مصر الخبويه فى ماء الس . فمصر حق لانتزع فيه فى الحصون على ايراد كاف مصبون من الماء لرى أراضيها الزراعية الحابية ، وعلى نصب عادل من كل زيادة فى ايراد الماء بيسر للبراءة الهندسية أن تأتي بها . فاد صرححت بريطانيا تعطى رسميا باعترافها بهذا الحق ، وأنها عاصمة اسية للمحافظة عليه فى كل حال من الأحوال ، سكك بذلك روى المصريين ، وحضر بهم الفلق المستجود عليهم من هذا القليل ورأيت أن هذا التصريح بى العرب من القصور إذا تم فى الوقت الحاضر .

على باش - هم وسكن اسب في ذلك لم يكن الرعة في تقرير حق سيادة
 لا يحتقر على السودان ، وبما كان ذلك لأسباب خاصة أهمها انقضاء سريان الامتيازات
 على تلك الاسلاد ، وما كان يحشى أن ينتج عنها من تعطيل وأن تنظم السودان
 وترقية موارده وهل تد الحكومة عن أن تنطبق فيه لجميع صوب الاصلاح ،
 فاسودان أرض مصرية ، ولا راع في أن لمصر حق لسيادة عليه ، وإنما وصفت
 اتفاقية سنة ١٨٩٩ لتقرير الاشترك بين مصر والمحتل في إدارته ، على أنك
 لا تحصل أن نصيب مصر من لك الشركة في حكم اعدام (هــ) كان تقدير على
 باشاعام ١٩٢١ ، أي قبل احلاء السودان من القوات المصرية (ثلاثسين) ، فإن الادارة
 أصبحت الحصرية محصة ، وكل ما لمصر الآن هو أن القرارات التي يصدرها حكم
 لسودان نفع الى رئيس مجلس الوزراء مجرد نفع ، وليس لهذا أن ينقص أمراً أو
 يبره حكماً ، وإنما يعيننا الآن من أمر ، السودان ، هو أن نقرر من جديد حقوقه ،
 وأن نصح لهذه الحقوق مطهر خارجي . وآنة ذلك أن يكون لمصر يد في ادارة السودان .
 أما الصورة الفعلية لتلك يد فهي كل البحث وأرجو ألا يسبق الى دهك أنما يطالب
 بذلك لمجرد اتمتع بدمه الحكم أو لتقصاء شهوة السلطة ، وإنما يدعنا الى ذلك انطوى
 مصالحنا في السودان والحرص على توفيرها ، وأول هذه المصالح . النيل ، ولكن ليس
 هذا هو كل ما يعيننا في السودان ، فهناك الخش السودان وحووب تعمه للخش المصري
 واحلاصه نوى أمر مصر ، وهناك هجرة المصريين الى السودان وحووب أن يحدوا كل
 التسييلات الممكنة وأن تمتعوا بكل الحقوق ، وهناك تموير السودان مصر ، ولست أنسى
 حصر المسائل التي تهتم في السودان ، وإنما أردت أن أسوق لك مثالا على المصالح
 المختلفة التي يمكن أن تقوم لها فيه .

المستر لندسي أنص الى فهمت وجهه بصره .

عدي شب وماذا يرى في مسأله النيل نصمه حاصه

المستر لندسى — ان اللورد كيردرون مسعد لأن يعترف لمصر بصوت حدى
فى قسمة مياه النيل وهو يرى أن شئ لهذا الغرض لحة من نوع اللحن اتى بوحده فى
أمريكا ، وان كانت قسمة المياه هالك لا تسعها تنظيم الري وإنما تنظيم القوى الهندرويكية .
على باشا — يجب أن يسبق التفكير فى قسمة المياه تقرير مصر من الحق فى أن
تأخذ من النيل كل ما تحتاجه من المياه بمرأعة أرصدها التى تررع حالاً أو لئلا
للاستصلاح وان راعه فى المستقبل .

المستر لندسى — معنى أركم ريدون مراقبة على مياه النيل ؟
على باشا — إنما يريد أن يكون ما وسره حتى المراقبة عليها
المستر لندسى — أظن أن الطرب فيه مبالغة ، فإن لكم أن تطفوا ألا يعمل شئ .
دوبكم أما أن يكون لكم حق الاعتراض على عمل لاندكم و يكون فيه فائدة
للسودان ، فهذا ما لا يمكن أن يمر لكم به ، ويجب فى مثل هذه الأحوال انى تقوم فيها
الحلاف على صلاحية الأعمال أن تفصل فى الأمر لحة مشتركة
على باشا — إن اللورد ملر أشير إلى ذلك فى تقريره وإنما بطريق الاحمال ، ولم
يفصل كيف يكون تشكيل تلك اللحة ، والذى يعينها قبل كل شئ ، أنه لا يجوز أن
يعمل شئ على النيل صدر رغبة الحكومة المصرية .

المستر لندسى — أتريدون أن تقدموا مذكرة أو مشروعاً عن مسألة السودان ؟
على باشا — سأنظر فى ذلك وأذكر أن سعد باشا فى المفاوضات الساعه لم تعرض
لمسألة السودان ، لأنه أراد أن يكون الاتفاق قاصراً على مصر ، وأن تتولى مصر فى
نظام حكمها الجديد بحث مسألة السودان مع المحتل ، ولكن المدوين لما سافروا لمصر
لينلقوا رأى الأمة فى مشروع لحة ملر الذى لم يتعرض أيضاً لمسألة السودان نيبوا أن
الأمة شديدة الحرص والرعة فى أن تحل مسألة السودان منذ الآن ، وهذا أصل التحط
الأخير الذى لم أقدمه وهو يرى إلى صيغة الاشراف على النيل وإلى جعل سيادة مصر

على السودان فعليه لا اسمية أما تفصيل ذلك وترتب أحكامه فهو محل البحث ويصح أن تتفاهم عليه .

وها نحن قننا ما نريد أن نقول في كل لمائل التي تعرضنا للبحث فيها ، ونحن في انتظار مشروع اللورد كيررون لنضع عليه ملاحظاتنا ، ونقدم بعد ذلك مشروعنا .
وسرى نرى قدر يمكن الوصول إلى اتفاق .

المستر بندسي : إنني أحشى أن يكون مشروعنا دون أخذ الأدنى لمطالب المصريين ،
وإنهم لا يكونون راضين .

عدلى باشا : إذا كنتم تفرصون على رضى المصريين فليس لكم إلا أن
تساموا بالحد الأدنى لمطالبهم ، وعلى أى حال فإنا في انتظار مشروعكم لرى ماذا أنتم فاعون



وفى يوم الأربعاء ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ قابل عدلى باشا المستر لويد جورج رئيس
الوزارة البريطانية ، فى ١٠ شارع دونج ستريت ، وسأل الرئيس الانجليزى عن مراحل
المفاوضة ثم مالت البحث أن دار حول مسألة السودان :

المستر لويد جورج — ما ذا تقولون فى مواصلات مع السودان ؟

عدلى باشا — إن هذه المواصلات خاصة بطريق مصر السودان .

المستر لويد جورج : ولكنها قد لا تكفى .

عدلى باشا : لست أرى دخلا للسودان فى أمر المواصلات فإن ما يهمه المصريون
من المواصلات الأمراطورية هى المواصلات مع المستعمرات الانجليزية فيما وراء البحار
أما السودان فهو مسألة أخرى ، وهى كبيرة الأهمية عند المصريين ، ولنا شأنه مطالب
لم سدها بعد لأننا أردنا أن نسين أولا ما إذا كان الاتفاق ممكنا بشأن مصر . وكما قد
اعتزمنا أنه إذا تم الاتفاق شأنها انتقلنا إلى بحث مسألة السودان ، وهى مسألة لم نأت
دورها بعد .

المسترلويدي جورج — لمصر شأن غير شأن السودان، فإما في عدا تأمين مواصلاتها
نظر بقها لا يريد التدخل في شؤونها، ويريد أن يرتبطا وإياها بحجة حقيقية وسكنا
لا يسعنا ترك السودان، أو أن نزل عن مركزنا فيه على الصورة التي نزل بها عن
مركزنا في مصر.

عندى باش — ولكن ماهى علاقة السودان بمسألة المواصلات أو مسألة القوة
العسكرية فإن في السودان جيشاً مصرياً وهو الذى سولى حائط الأمن فيه والدفاع عنه.
المسترلويدي جورج — قد تقوم فتن واضطرابات خطيرة في السودان تحتاج معها
إلى إرسال حدود لقمعها، ونقل هذه الحدود تكون نظرياً مصر.

عندى باش — إن هذه حالة نقل حدود في ظروف خاصة، ولا حاجة معها إلى
قوة عسكرية دائمة. وهى حالة لا يمكن النظر فيها على حدة، أو بمسألة البحث في
حماية المواصلات والقوة العسكرية، وإتمامها مرحلة مسألة السودان في حدها، ويمكن
عند البحث في النقاط المتفرعة عن مسألة السودان وضع اتفاق خاص يرسب فيه لهذه
الحالة مبادئ من الأحكام. وعلى أى حال فإنى لا أرى أن تكون مجرد احتمال الحاجة
إلى نقل الحدود نظرياً بق مصر لقمع فتن في السودان سلباً يستدعى حائط قوة عسكرية في مصر.
المسترلويدي جورج — هذا حق وخير أن نترك هذه المسألة الآن.

وتد أعد الأورد كيررون مشروع معاهدة، رفضها عندى باشا ورملاؤه من فورهم.
وقد ورد في الباب التاسع منها — مادة ١٧ عن السودان :

« حيث أن في السودان في هدوء وسكينة ضرورة لأمن مصر وحائط مؤوتها
من المياه، تعهد مصر أن تستمر في أن تهدم سدلا من ذلك تلك الحكومة إعانة مائية
تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين. ويكون كل القوات المصرية في السودان
تحت أمر الحاكم العام »

« ووعده ذلك تعهد بريطانيا العظمى بأن تضمن لمصر نصيبها العادل من مياه النيل

وقد قرر من أجل ذلك ألا تمام أعمال رى جديدة على اسل أو روافده في جنوب وادى حنفا دون موقفة لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء، يمثل أحدهم مصر وآخر السودان وثالث أوصدا .

وعلق الوفد المصرى على هذا النص في رده على أسس وعقوله .
« أما مسألة السودان التي لم يكن قد حاولها البحث فلا بد من أن نرى حه اسبر إلى أن البصوص الخاصة بها لا تمكن التسمم بها من جاسا . . . هذه البصوص لا تكفل لمصر التمتع بما لها على ثبات البلاد من حق لسيادة البسى لا راع فيه وحق السيطرة على ماء البسى »



وفي ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ منح ثروت ناشى حمل الحكومة البريطانية على أن تصدر نصري من جانب واحد يعنى فيه الحماية و تعترف باستقلال مصر . وكان هذا نصريح مقبى توليه الحكم بعد أن يصدر فعلا . وقد احتفظ الانجليز فيه بزرع فقط أحييت إلى مفاوضات مثقلة كان راعب « اسودان » . . وحتى ترم هذه الانعافات على الحالة في تعلق بهذه الأمور على ما كانت عنه يد ذاك



وحدث في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، أن أطلق بعض البسيحين نصريين انرصاص على حاكم اسودان وسردار الجيش اسر . « إلى سالك » وكانت الاصنامات قائنة ، فلم تمهل السردار ساعات مات على أثره .

وارق اللورد اللبى إلى وزارة الخارجية البريطا به يعرض عليها صيغة اسار الحكومة المعهودة سعاد عول باشا ، وحتى يوم ٢٢ لم يصدر دلس ، بم أفقد اسدوب البسى صره ، فقرر الا ينتظر أكثر مما فعل ، وبعد ظهر ذلك اليوم ، كان قد فرغ من شيع حارة القبل ، ثم ألف موكب عسكرياً صحب ، سار به إلى ميدان لاطوعلى ، وفي لظرفى ،

وكانت الساعة اربعة والنصف ، أقبل من أحمر اللورد أن رد سدن وصل . وهو رد طويل يسدعى حال شدته نصف ساعة ، فلم يجد اللورد اللبي مخلصاً من أن تتبع سيره و بسلم انداره ، وليكن بعد هذا ما يكون

وفي قاعة رئيس الوزارة المصرية ، لا اللورد نص الاسار بالانجليزية ، ووزراء ترجمه الفرنسية ، ثم عاين دار الرئاسة إلى قصر الدوبارة .

وقد ألقت دساحة الانذار مسؤوليه الحادث على عاتق الحكومة اسمعية ، ثم تضمن المطالب الآيه .

١ - الاعتذار اكامل عن الجريمة

٢ - تحقيق صارم عاجل مع المسؤولين عن الجريمة مهما تكن مراكزهم ، ونوقيع عقوبة رادعة عليهم مهما يكن سبهم .

٣ - مع جميع المظاهرات الشعبية معاً باناً حاسماً .

٤ - دفع غرامة قدرها نصف مليون جنيه للحكومة الانجليزية .

٥ - إصدار الأمر خلال أربع وعشرين ساعة مسح جميع الاصطط والحدود المصرية من السودان .

٦ - زيادة ما يزرع من أرض الخريزة إلى أى حد تراه حكومة السودان -
توكل الحد الأدنى ٣٠٠٠٠٠ فدان

٧ - عدم المعارضة في أى احرامات تقترحها الحكومة البريطانية لحماية مصالح الأحياء في مصر .

وعند ما عاد اللورد اللبي من رحلته المسدحة ، وجد برفقة حكومته لا تفره تماماً على مطالبه ، وتحاول أن تجمع كثيراً من وقعها ، ولا سيما في مسألة السودان . ولكن كان الانذار قد سلم ، ولم تكن هناك وسيلة لاجراء أى تعديل فيه . وقد أدت عمله

اللورد ريني أن وزارة الخارجية البريطانية قررت تعيين وزير معوض في دار المندوبين
السامي كور أول مستشاري المندوب السامي (هو المستر بيغل هدرسون مدير المختبر)
في برلين إلى ما قبل الحرب الحاصرة) . وبعد السبي هذا التعيين دون أحد رأيه عدم
ثقة به ، وحاول أن ينعاده بدون حدودى فقرر الاستعانة ، وقلت استقالته وسافر عقب
صدور الحكم في قضية اغتيال اسير دار مباشرة

ويمكن أن يشير إلى تأثير هذا الانذار في الخفيات البريطانية والأجنبية ، فقد رد
صداه لما حور حارس في كتبه «الصحراء والدلتا» . قال : «إن الانذار كان قوياً ،
وبكن قوته كانت دون ما ينبغي أن يكون ، وقد تضمن من سوء الخط
خصاً دلو ما ينام الطرار الأول ، يد نص على مطالب مائة من النيل للرى في اسه دان ،
لم يكن عند أحد غير شركة الحريرة الواعية . وقد اشهرت انصحف الأحبية فرصة
هذا الخطأ ، واحت تدق على النقطة الصعبة ، ومانشبت لصحب المصرية أن صعب على
الأثر . وهكذا تمحور بين الأسد البريطاني إلى شرح حائق . ومنذ ذلك الوقت
أحدث مهابة بريحية في وادى النيل تصمحل وتصل

ومنها بكر وقع اشروط المائبة ، فقد سحب الجيش لحسائر حت باحدى
الأورط السوداويه ، وسحب الموصون بصريون في سودان ، وفرصت رفاه
معدة على نقل المصريين والسودانيين شمالاً وجنوباً في بينهم .

وفي صيف سنة ١٩٢٧م ربارة المعمر له الملك فؤاد لالمختار ، دارت محادثات
هامة بين اسير أوستش شميرلى وزير خارجية بريطانيا وبين دوة عبد خالق
ثروت ناشا

، قد أعنت الحكومة البريطانية مشروع معاهدة ، ورد فيه عن السودان
وانسبل .

مادة ١٣ يعترف انظر فان المتعاقدان بأن أولى ضمان نصبة مصالحهما ولا سيما

مصالح مصر في بحري النيل العليا هو اسم . سببها المشتركة في السودان

وكلاهما تتفق على أن ننحدا كقاعدة لتحديد نصيب مصر في مياه النيل ، لأبيض

والنيل الأزرق . التأميم التي وردت في قرار لجنة النيل المؤرخ في ٢١ مارس سنة

١٩٢٦ وفي الاتفاق الذي عقد في أول مايو سنة ١٩٢٦ بين ممثلي مصلحة التي في

مصر و السودان . ويمنح ممثلي مصلحة ، لرى المصرية لتسهيلات الادارة مرتفعة

المستهدات المتعلقة بأعمال قباطر سار ، كما انه سيكون هم حريه انصوص على ان يثبت

اخاصة بذلك للنظر من أن نويح المياه حذر صفا للقواعد التي وصفت في التقرير

المدكور . وتمنح حكومة حصرة صاحب الخلالة امريطانية الحكومة المصرية كل

مساعدة ممكنة لتكميلها من لقيام ، بمصحتها ، وخاصة وعلى نفقتها وبوجه تحقيق مع مصالح

السلطات المحلية ذات شأن ، أعمال الحفظ انصوص عليها في ذلك لتقرير وتحميل

الحكومة المصرية مصفات كل عمل كميلى ، ودفع كل مبلغ نقدي تدعو الحاجة اليها

اعتراف بطرفين تعويضا للمصالح المحلية من كل تلف أو عكس يسبب عن الأعمال .

المشار اليها .

و سمر حصرة صاحب الخلالة ملك مصر - بطر الاهتمامه بحفظ اسلام في روع

السودان وعلى حدود مصر ، بحوية - في دفع حصص الخلية في مصفات الادارة في

السودان إلى أن يقرر الطرفان المتعاقدان أن يحياه تدعو إلى عادة بطرفي هذا الترتيب

وأعد ثروت باشا من حاسه مشروع معاهدة ، تناولت المادة ١١ منه موضوع

السودان و النيل ولم يخرج نص ثروت باشا في مسنة بين عما ورد في النص

البريطاني ، إلا أنه عاد بانصالات المصرية السودانية إلى مكات عليه قبل عام ١٩٢٤ ،

و لم يعترف بالمستندات المالية التي كانت تدعوها مصر للسودان .

ثم بعد ثروت باش مدكرة طويلة ناقش فيها المشروع البريطاني ، وذكر ما يلي
عن رأي الانجليز في موضوع اسيل والسودان ، وهذه أول مرة ترد فيها آراء الانجليز
عن السودان بطريقة رسمية بعد مشروع مند - :

« لقد حرصت في المشروع الذي قدمته على تجنب النقص رأى في مسألة السودان
العامه التي تختلف فيها الحكومات ، وذلك اختصاراً للنقاشات بقدر الامكان . وقد
استجرت من تلك المسألة بالاشارة إلى بعض شؤون معينة تتطلب حلاً عاجلاً ، غير
أن المشروع البريطاني ، على العكس من ذلك ، أراد أن يعالج كل مسألة ، وأن يقاها
وحدها وحده ، ليحلها على النحو الذي ترسمه خطة السياسة الانجليزية في هذا الموضوع
وس ثم كان يعتمد على مسيرته في هذا الطريق . ولهذا أثر إيجابي مسألة إلى
موضوعات لاحقة .

ثم المسائل المستعجلة التي تتطلب حلاً الوفاق بين البلدين مباشرة حلب فوراً ،
وهي التي أوصحتها المادة الثامنة من مشروعى ، أى : الخانة قبل سنة ١٩٢٤ وتوزيع
مياه النيل ومشاريع أخرى

ثم ناقش ثروت باش في هدوئه وإيمانه وعمقه النص البريطاني ، طلباً إعادة الخار
إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٩٢٤ ولاسيما « أن الخواصر هدأت وأن النفوس تستطيع
أن تواجه في هدوء وسكينة حل تلك المسألة على خير وجه بعد الثقة المتبادلة ويوثق
العلاقات الودية بين البلدين »

أم مسألة اسيل فكان أكثر تشدداً فيها ، إذ لاحظ على انشروع البريطاني « أنه
أفرعها في صيغة قد يبرر طاهرها قون الدين يرعمون حصاً في مصرى — أن السيسيه
الانجليزية ترمى إلى الماء دفنة وراية الأشغال المصرية على مياه النيل »

وقد استمر تبادل المذكرات بين ثروت باشا والسير ومستن شميرن فترة طويلة حتى انتهى الأمر في ٤ و ٥ مارس سنة ١٩٢٨ إلى عدم موافقة الجانب المصري على المشروع البريطاني وتعدياته ، وذلك بعد عرض الموضوع كله على مصطفى النحاس باشا الذي حل أثناء هذه المفاوضات في رعاية الوفد مكان سعد علول باشا الذي توفي في عام ١٩٢٧

وفي سنة ١٩٢٩ قصد دولة محمد محمود باشا إلى لندن لحضور جلسة أكسفورد لمحنة لقب الكوراه الفجرى في القاهره المدي واسهر امره وفتح مع السلطات البريطانية المسؤله مسأله السودان وذلك على أثر ابرم اتفاقية السلام التي سوردناها في عهد . قال محمد محمود باشا في مذكره عن هذه الحداث .

« أما السودان فقد طست أن يحترم وسعد الامارات سنة ١٨٩٩ سنة موفد . وعلى ذلك يعود منه قسم من احش امصرى كما كان الحال قبل سنة ١٩٢٤ . ويجب أن سقطع الدساير والاحرايات الى روى التصديق على مصريين فكون شأنهم في حرباتهم وممدهم في السودان شأن الرعايا لبريطانيين وقررت هذه المسوبه الوقفة بالاحتياط بحرية الحكومة في انه وصفت في مسألته في الوقت الذي تراه ملائماً »

وقد تمخص هذه المحادثات عن مشروع معاهدة و يدي مادته الأولى :

١ « إن المسائل المتعلقة بين الطرفين المتعاقدين ولاسي ما كان منها شأناً عن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وانداز ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ قد حلت بموجبصوص هذه المعاهدة »

وورد في المادة الثانية عشرة -

١٢ « تسمر السيادة المصرية الاستيرية على السودان صقاً لشروط الاتفاقات الحالية أو طفاً لأي تعديلات لتلك الشر وطوضع في المستقبل بالاتفاق بين الطرفين المتعاقدين

« وتصل حقوق وسلطات الطرفين المتعاقدين بحسب الاتفاقات المذكورة بتولاها
« لولاية عليهما حاكم السودان العام المأمين بموجب تلك الاتفاقات

« ويسمح لأوردطة مصرية أن تكون في السودان لحماية الحاكم العام ونصم
« بعد مصرى إلى الموظفين المصريين »

وقد رد محمد محمود باشا على هذا مشروع مطلقاً بحذف المادة الأولى . واعتصر على
ثى تصديق الحق مصر الذى تقرر فى سنة ١٨٩٩ ، مع الاحتفاظ بالمفاوضة المستتفة
شأن السودان .

ثم أعد مشروع حدد ورد فى المادة ١٣ منه .

« مع الاحتفاظ بحرية إتمام اتفاقات جديدة فى المستقبل معدلة لاتفاقات سنة ١٨٩٩
يتفق الطرفان للتعاقدان على أن تكون مركز السودان هو المركز الذى يشأ من الاتفاقات
المذكورة . وساء على ذلك نطل الحاكم العام مباشر ، بسياسة عن اعرفين المتعاقدين ،
اسلطات التى حولتها إليه الاتفاقات المشار إليها . وعند ما تصح هذه المعاهدات نافذة
رابط أوردطة مصرية فى السودان »

ثم مائث أن أعد مشروع ثالث حدث من مادة السودان فيه الفقرة الأخيرة
الخاصة بمراقبة أوردطة مصرية فى السودان .

وقد انتهت هذه المذكرات فى ٣ أغسطس سنة ١٩٢٩ ثم سقلت حكومة محمد
محمود باش وأعتبت حكومة مصطفى النحاس باشا لى تتولى المفاوضة باسم الأعبية مع
الحكومة البريطانية .

•••

وبولى رفعة مصطفى النحاس باشا المفاوضة فى الفترة من ٣١ مارس سنة ١٩٣٠ ،

إلى ٨ مايو سنة ١٩٣٠ ، وكانت إدارة البريطانية بإدارة وزارة عمالية ، مثل الوزارة التي طوّصها المعمور له سعد رعيول باشا ولم يصل معها إلى أنه ذائع .
وبدأ النحاس باشا بتقديم تعديلاته على آخر مشروع بريطاني ، وورد فيه عن مادة السودان .

١٣ - إلى أن تحل مسألة السودان بمفاوضات مقبلة ومع الاحتفاظ لجميع الحقوق بياشر الطرفان المتعاقبان إدارة السودان بالاشتراك بينهما اشتركا فعليا .
وقد لاحظ المستر هندرسون وزير الخارجية البريطانية في حصة ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٠ .
« بعض هذا التغيير مهم جداً في نحو خمس مسائل حيوية ، أحسن نال كرمها مسألة السودان التي ستكون على مظهر عقده كأداء في طريقنا ، وسنجد صعوبة كبيرة في التغلب عليها . ولا بد لي أن أصرح لكم أن الحكومة الانجليزية - حتى لو سلمت نحن مطالبكم في هذه المسألة - لن نحيل عليها استجابة مطلقة أو نص إلى عمل البرلمان على موافقه عليها ، لذلك ينبغي لي أن أطلبكم على مسؤوليتي الخاصة بصفة كوني وزيراً للخارجية ومن غير استشارة زملائي لدين لم نتمكنوا كما قلت من درس المقترحات الخطة التي وضعوها إلى أن الصيغة الخاصة بالسودان ستثير صعوبات حمة أقول هذا عن هسي . أن نتمكن زملائي من دراسة مقترحناكم وإبداء رأيهم فيها »

النحاس باشا . وأما في يخص السودان الذي حصه المستر هندرسون بالذكر فإنه سبى أن الصيغة التي وضعها شأنه لاختلاف في روحها عن الصيغة التي وضعها حياته في مقترحاته ، لأنها لم تطلب في الوقت الحاضر إلا الاشتراك الفعلي في الإدارة ، وهو ما تعترف به المقترحات الانجليزية بحسب . فقد أشير فيها إلى أن القواعد التي تتبع في السودان مؤقَّتة هي القواعد المستعملة من تعاقدت سنة ١٨٩٩ ، وهما صريحان في أن الإدارة التي كانت سبى مصر في السودان قد أعطى شطرها إلى المختار تقصى هاتين الاماقتين ومن أجل ذلك أمل كل الأمل أنكم عند ما تدبسون هذه المسألة في

صو، هذه المقتات ترون أن في هذا المطلب الملم الحيوى بالنسبة لمصر كما في سنة الاعتدان .
وفي حمة عشاء سار الفوصيه المصريه في لندن دار الحديث الدلى بين المحاس باشا
والستر هدرسون ؛

ستر هدرسون — لاحظت أن خمس مسائل تناولها مير كبير جداً مهابسألة السودان
المحاس باشا — ومادا في الصيغتين الخاصتين بالسودان أكرم من الاشتراك في
الادارة وترك اسباب معنوحا لا تعاقبت مقبلة ، شأن السودان ؟

ستر هدرسون — لفرق كبير جداً لأن مادتنا تشير إلى اعاقبي سنة ١٨٩٩ ،
والحالة الى محمت عهما ، وأن حاكم السودان يظل يمثل الطرفين — مصر والمجلتا
في إدارة السودان وأتم تطوور أن بشتك المتعاقدان مصر والمجلتا في إدارة
السودان اشرا كما فعليا ، فمذا تقصودون ؟

المحاس باشا — مقصد بذلك أن يكون الادارة مؤقت في أيلى المصريين والامحير
معاً ، وهو مام ككر معترف به من قبل . فهذا في اواقع تساهل ما ، ولا نههم لمادا
تعارضون فيه ؟

ستر هدرسون — إن ما وقع في السودان في السنوات الأخيرة لايران مائلا في
الأدهس ، وكذلك التصريجات لى صدرت عقب ذلك . كل ذلك يقيدنا تمام التصيد
لا سيما تصريجات رئيس الوزراء المستر مكدونالد عند ما كان وزيراً للخارجية ورئيساً
للوزارة في سنة ١٩٢٤ فقد وضع أساس سياستها في السودان . وقد مثلت في البرلمان
عما إذا كنت مر سطاها فاعلت ارساطى بها وقولى لها .

المحاس باشا — لقد صدرت تلك التصريجات في وقت م نسكن فيه معارصات .
خاروج التى أوحى بها عزازى روح التى تحرك المتفاوضين في وضع أساس الاتفاق .
كما أنه لا يجوز مطلقاً أن تحرم مصر من حقوقها الثابتة الحيوية بسبب حوادث فردية
ارتبكت وأثت القصء راءة مصر ورعائها مهابا .

مستر هيندرس — ومدا عسى أن أقول للبرلمان ، وهذه التصريحات لا يرال
يحاول صداها في أبحاثه

الساحس باشا — نحن الآن نصدد تسوية المسائل كلها ، ولا يجوز أن يقوم أمامنا عائق
من التصريحات التي صدرت في ظروف وتحت مؤثرات خاصة . وإذا كنتم تتمسكون
بالتصريحات الأخيرة ، فهل لمصر أن تتمسك بتصريحات سياسة الانحياز وكبرائهم فيما
يختص باخلاء ، إذ قد صدر لمصر منها مدير بد على السيد عهداً . وهذه حيوشكم
لا يرال في بلادنا ، فهل لنا أن نثبت هذه التصريحات كما تتمسكون بتصريحاتكم ؟
مستر هيندرس — أنا في الواقع أتناشير إلى تصريحاتي في البرلمان . فقد أعنت
أكثر من مرة أن مسألة السودان سلطان حاصصة لاتفاقية سنة ١٨٩٩ . ثم إنى مرط
بالمادة الواردة عن ذلك في مقترحاتي وكيف أفسر تعديليها على الوجه الذي دهتم إليه ؟
الساحس باشا — إن كل ما يريد هو عدم الإشارة مطلقاً إلى اتفاقية سنة ١٨٩٩
لأنهما ممقتوتان كل المقت في مصر . ومع ذلك فهاتان الاتفاقيتان تصدر على إعطاء المجتزا
نصباً في إدارة السودان ، ومادتنا تشير إلى وجوب اشتراك الطرفين في إدارة السودان
فأى فارق هالك في الأمرين ! إن مصر لم تعترف قط باتفاقية سنة ١٨٩٩ ، ولم تقل في
يوم من الأيام النتائج التي ترنت عليهما وكل ما نرجوه الآن أن يشترك للمعاقدان في
الإدارة اشتراكاً فعلياً إلى أن وضع اتفاقات جديدة . فأى عصا في ذلك ، وأى انتعاده
عن روح المقترحات فيما يختص بمسألة السودان ؟

مستر هيندرس — ومادا نقصد تماماً عبارة الاشتراك الفعلي ؟

الساحس باشا — نقصد بذلك رفع القيود الموصوعة على حرية المصريين بالنسبة
للسودان . أى حرية المعجرة إليه ، وحرية الإقامة فيه ، وحرية التملك كذلك ، ثم جعل
الإدارة السودانية في أيدي المصريين والانحياز على السواء

مستر هيندرس — ومن الذي يعين المصريين في السودان ؟

الساحس باشا — الحكومة المصرية .

مستر هدرسن - هذا مستحيل لأن حكم السودان هو المسؤول وحده بحكم اتفاقيتي سنة ١٨٩٩ عن النظام الإداري والعسكري في السودان وهما الاتفاقيتان ناديتان ما لم تعدلا بأضافات جديدة والمادة التي وردت في مقترحاتنا ترك الباب مفتوحاً لذلك .

الحساس باشا - إن طريقة الاشتراك العملي في الإدارة يمكن أن ننظم ونحدد في حد . وإنما نريد التسليم عملياً ، لأن هذا لا يسعد عن روح المقترحات ولا عن حكم اتفاقيتي سنة ١٨٩٩ بهما .

مستر هدرسن - أؤكد لبلدكم أنه لولا الحوادث التي وقعت حديثاً في السودان وانتصريات التي صدرت شأنه لكان موقفا اليوم غير ما ترى . ولكن المسألة ليست مسألة ما يحب أن يكون ، وإنما هي مسألة ما يمكن عمل البرلمان الانجليزي على قبوله . وإذا نحن قدمنا إلى برلماناً معاهدة فيها نص كالذي تقترحون فإن البرلمان يرفضها أرفضاً باتاً ، وتصبح المعاهدة لا تساوي الورقة المكتوبة عليها

الحساس باشا - لا أستطيع أن أتصور أننا نخرج عن إيجاد صيغة مرصية تقبلها لأمتان . فليفكر كل منا ، ولنتعاون معاً . ولعلك تذكر يا مستر هدرسن أني في بلادى محل الثقة العامة في الدفاع عن حقوقنا كاملة فانظر كيف أصبحت طلباتنا معدلة جداً ، ولا شئ أملك بذلك تدرك صعوبة مركزنا .

مستر هدرسن - أعرف ذلك تماماً . كما أرجو أن تعرفوا أنتم أيضاً صعوبة مركزى لقد حطر سالى هذه اللحظة أن أصيف عبارة على المادة الخاصة بالسودان الواردة في مقترحاتى فقول : به عدد كذا من السنين بعد النظر فيها لعمل ترتيب جديد ولكن لا بد لى من استشارة برلمانى أولاً .

الحساس باشا - يحب علينا أن نفكر ونجتهد في إيجاد صيغة مرصية من الجانبين .

وغير معروف أنه ليس من المصلحة أن تقترح اقتراحات مصيرها الرخص المحتتم في ربناكم .
ولكن المسألة على أقصى جانب من الأهمية بالنسبة لنا . ولى كبير الثقة والأمل فى الوصول
إلى حل مقبول .

مستر هيندرسن — سوف يعمل كل ما فى وسعنا ، لألا نبدأ فى حل أى الاتفاق
المشود ولتراء الآن هذه المسألة



وفى أساء دعوة لى انعت ، صدق هايد بارك ، عا درئيس الوفد المصرى ، وودير حارحة
المترا إلى تحت أسفد مخط المفاوضات ، وهى السودان ، وذلك لأنها كانت المرة الأولى
التي فتح فيها تحت على نطاق واسع لتصفية هذا الموضوع
تولى الترجمة مكرم عبيد باش ، وكرر المستر هيندرسن الإشارة إلى صعوبة هذه
المسألة ، وطلب أن يوافق الفريق المصرى على اتفاقيتي سنة ١٨٩٩ هـ كدله النحاس
باش عدم الحاجة إلى ذلك اكتماء قبول الإدارة المشتركة فى السودان مؤقلا وهى
جوهر الاتفاق المذكور . فقال المستر هيندرسن :

— ماذا تعنون بالإدارة المشتركة ؟ فقال النحاس باش :

— معنى ما أن يكون لنا وكيل مصرى لحاكم السودان العمام وأن يكون
الوظائف الأخرى موزعة بين المصريين والانبخير على اسواء .

فقال المستر هيندرسن :

ولكن سيتر ب على ذلك مصاعفة عدد الموظفين لأداء العمل الواحد .
وذلك يستدعى زيادة كبيرة فى المصروفات لاقل لحكومة السودان بها فقال
النحاس باش :

— إلى أحد على معنى من باب التسهيل أن أدافع ، بعد الاتفاق مع رملاني ،
عن إبقاء مبلغ الإعانة السنوية التي تدفع للسودان وقدرها ٧٥٠ ألف جنيه والتي تفكر

البرلمان دائماً في حذرها ، على أن يصرّف هذا المبلغ على الموظفين المصريين والحيش
المصري الذي يعود إلى السودان فقال المستر هدرس :
وهل لديكم بيان بعدد هؤلاء الموظفين ؟ فقال اسحاس باشا :
كلا ، ولكن في الاستطاعة إعداد هذا البيان في أقرب فرصة
و تواعد المتفاوضان على إعداده :

وفي صباح ٩ أبريل سنة ١٩٣٠ قبل وفاته من وزارة الخارجية البريطانية برئاسة
وكلائها اسحاس باشا ، و ماؤه له أن وزير الخارجية سيصرح في البرلمان دأ على أحد
الأسئلة أن الحكومة البريطانية ستتمسك في المفاوضات مصر اتفاقية سنة ١٨٩٩ .
وعم اسحاس باشا منهم أنه لا سبيل إلى تعديل هذه الاتفاقية ، لأن مجلس الوزراء
البريطاني هو الذي قرصنها . فسأهم اسحاس باشا :
وماذا عرضتموه على إدر ما دام لا شئ لتغيير ؟ . قالوا
إن امستر هدرس قصد بذلك لا تقاضاً

وقد حثرت عدة محاولات لتغيير صيغة مادة السودان في المعاهدة ، و بعد جلسات
كثيرة انتهى رأي امستر هدرس إلى أن الانحياز لا يستطيعون قول ما جاء بهذه
المادة بخصوص البدء بعادة الحالة في ما كانت عليه قبل سنة ١٩٢٤ ، كما لا يستطيعون
فيما يخص العودة الحش أن يعرضوا شيئاً أكثر مما ورد في المقترحات
أما عن مسألة المحرة والملكية والتجارة ، فقال امستر هدرس : إنه إذا لم يجمع
حاكم السودان فاسهم يقول أن نص في المذكرة له حقة بالمعاهدة على أنه :
« لا يكون هناك أي تفرق بين الزعابا البريطانيين والأهل المصريين في
السودان في مسألة التجارة والمحررة أو حرة الملك »
وقد أبلغ امستر هدرس اسحاس باشا بعد ذلك أنه رسل لمعراة إلى حاكم
السودان لأخذ رأيه في ذلك ثم الرد بالقول .

ولما بدأ أن المفاوضات توشك أن تقطع سبب مودة السودان ، اقترح الوفد
المصرى نصاً جديداً هو

« إذا نشأت أية صعوبة بين الطرفين المتعاقدين ، لنسبة تطبيق و تنفيذ الاتفاقية
سنة ١٨٩٩ يوافق الطرفون على اللجوء في محادثات في غضون سنة من تاريخ التصديق
على المعاهدة بقصد الاتفاق على هذا التطبيق ، وفي نفس الوقت لا يكون هناك أي
قيود على رعاية أي فرد من الفريقين المتعاقدين في ملكيه أو المتاجرة أو الهجرة »
وقد رفض المفوضون البريطانيون هذا النص

وفي ١٦ أبريل عقدت جلسة خاصة لمؤتمر السودان ظهر فيها وصوح اتساع
مسافة الخلاف بين الفريقين وكان مما قال لستر هندس
« أحب أن أذكركم بأن ثروت باشا حتماً و حذ أنه لا يستطيع إيجاد حل لمشأله
السودان ، بل هو يستطيع حل المسألة الكبرى الخاصة بمصر ، قرر بالاتفاق مع المستر
أوستن تشمبر بن ألا يشير إلى السودان في مشروع المعاهدة ، وأراد بذلك إثبات
حسن نية الحكومة المصرية ، وأن ترد له من إظهار روح الصداقة من جانب مصر
فتعمل التحارب الطيبة محمد في اقناع الحكومة البريطانية أنه لا خطر على مصالح
البلد المشترك في السودان إذا أحييت مطالب المصرية الخاصة به . وقد أظهر بذلك
ثروت باشا حكمة سياسية »

ثم أردف .

« إنكم إذا كنتم ترون أنه يصح أن تقطع المفاوضات من أجل هذه المسألة ،
فاني أقبل هذا الموقف آسفاً »

ثم أبلغ الوفد المصري أن المحتلرا ترفض ، عادة أو رطة مصرية إلى السودان

وكتب بحسب ما نشأ إلى رملائه لورد راء في مصر ، رساله لحص فيها موضوع السودان واخلاف عليه .

ثم استمرت المفاوضات في ثاقل وفي ٥ مايو سنة ١٩٣٠ قدم الوفد المصري النص الثاني

« من غير مساس بحقوق مصر ومصالحها في السودان اتفق الطرفان المتعاقدان على تجهيل مسألة السودان لمفاوضات مقبلة تحرى بينهما في بحرسة من التصديق على هذه المعاهدة » .

وقدم نصا احتياطيا كالسابق ، إلا أنه لم يحدد مدة السمة للمفاوضات المقبلة « وفي انتظار ذلك عاد من الآن احالة العناية التي كان عليها السودان قبل سنة ١٩٢٤ »

ثم دارت المفاوضات ، وأحيرا وفي الطرفان إلى نص رضى الجميع وهو :
« مع الاحتفاظ بحرية عقد صفقات جديدة في المستقبل لتعديل اتفاقيتي سنة ١٨٩٩ ، قد اتفق الطرفان المتعاقدان ، على أنه غير إحلال لحقوق مصر ومصالحها المادة ، يكون مركز السودان هو المركز الذي من هاتين الاتفاقيتين ، وكأحدى نتائج اتفاقيتي سنة ١٨٩٩ ، يواصل الحاكم العام بالنيابة عن الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات الخو له لعقنصى الاتفاقيتين المشار إليها »

وتبادل الفريقان التهانى

وسكن مجلس لورد راء البريطاني ففص هذا النص عندما عرض عليه ، وطهر أن الاعتراف من مسبب على المحرة غير القيدة الى السودان ففد نص آخر من بريطانيا على ما يأتى :
« يجب ألا يكون هناك تمريق بين الرعايا البريطانيين والأهالى المصريين فيما يتعلق بمسائل المحرة والملكية والتجارة في السودان . وعلى ذلك يكون الرعايا البريطانيون والأهالى المصريون أحراراً في حيازة الممتلكات والاشتغال بالتجارة والصناعة في السودان ، مع مراعاة القوانين واللوائح المحلية التي لا تعارض مع تشريع المحدث في مثل هذه المسائل

« ويحب ألا تستعمل ارفانة التي تعرضها حكومة السودان لصالح السودان على دحوه والمجرة اليه ، اسمع الاغير معقول لحرمن الرعايا البريطانيين أو الاهالى المصريين من حق دحوه اسودان أو المجرة اليه »

واعترض الفريق المصرى :

وأصر الفريق الانجليزى :

ثم وضع مشروع كامل للمعاهدة ركزت فيه مادة السودان على باض
وفى ٨ مايو سنة ١٩٣٠ ، قطعت المفاوضات لهذا السبب ، وسادل الجميع الأسف ،
بعد أن سادلوا التهانى

وفى اليبس الذى القاه الحارس «شا فى ابرمن المصرى» تريح ٢٠ مايو سنة ١٩٣٠ ذكر:
«ولكننا مع الأسف لم نصل إلى اتفاق على مسألة السودان بصورة حقوق
البلاد المقدسة ومصالحها الحيوية»

« ولقد كان قطع المفاوضات ودبا للعية ، بحث انق اطرفان على سقيدة سنة ،
وهى أن المسقبل القرب كميل تحقيق ما تهما من تفاهم على هذه المسألة الحيوية .. »

وفى ٢١ ستمبر سنة ١٩٣٢ التقي دولة اسماعيل صدقى باشا رئيس الوزارة المصرية
إدراك بالسرجون سيمون وزير خارجية بريطانيا ، وتحدث فى عقد المعاهدة مع مصر ،
فقال الوزير البريطانى ان الأساس الذى وضع فى عامى ٢٩ ١٩٣٠ هو الذى يجب أن
تدور عليه كل مفاوضات مقبلة . وركز السرجون سيمون « أما بخصوص السودان ، فبحث
فى الامايق أن بدور حول مبدأ الاحتفاظ بالإدارة الحالية القائمة فى السودان — فادا
ما سمع بهذا المبدأ فيمكن البحث عن اوسائل لتى ستضع به المحافظة على مصالح مصر
المعوية والمادة فى السودان . »

وفي أواخر سنة ١٩٣٥ وأوائل ١٩٣٦ مهد لمفاوضات مصرية بريطانية جديدة، واتفق
ابتداءً على عدم تنفيذ مشروع ١٩٣٠، أو أي مشروع سابق حتى تكون المفاوضات حرة
وفي ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦ صدر مرسوم في عهد وزارة علي ماهر باشا تأليف وفد
المفاوضة الرسمي برئاسة مصطفى النحاس باشا، ومثلت فيه جميع الأحزاب المصرية .
وفي ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ انتهت المفاوضات بعقد معاهدة انصداقة واتحاد بين مصر
و بريطانيا المعنى .

و. د. في المادة الحادية عشرة من هذه المعاهدة

١ مع الاحتفاظ بحرية عقد المعاهدات حدده في المستقبل لتعديل اتفاقية ١٩ ساير
و ١٠ يونيو سنة ١٨٩٩ قد اتفق الطرفان المتعاقدان على أن إدارة السودان تستمر مستمدة
من الاتفاقيين المذكورين ، وبواصل الحكم العام ، بإملاء عن كلا الطرفين المتعاقدين ،
مباشرة السلطات المحولة به تقتضيها من الإنجليز .

والطرفان المتعاقدان متفقان على أن العناية الأولى لإدارتهما في السودان يجب أن
تكون رعاية السودانين

ونس في خصوص هذه المادة أي مساس بمسألة سيادة على السودان .

٢ و بناء على ذلك بقي سلطة تعيين الموظفين في السودان وترقيتهم محبوبة للحاكم
العام الذي يحدد المرشحين الصالحين من بين البريطانيين والمصريين عند التعيين في
الوظائف الجديدة التي لا ينوونها سودانيون أكفاء .

٣ يكون حدود بريطانيا و حدود مصر يور تحت تصرف الحاكم العام للدفع
عن السودان فصلا عن الحدود السودانيين

٤ - تكون هجرة المصريين إلى السودان حرة من كل قيد إلا فيم يتعلق بالصحة

و نظام العام

٥ لا تكون هناك تمييز في السودان بين الرعايا البريطانيين وبين الرعايا المصريين في شؤون التجارة والمهاجرة أو في الملكية .

٦ — اتفق الطرفان المتعاقدان على الأحكام الواردة في ملحق هذه المادة فيما يتعلق بالطريقة التي يصحح بها الاتفاقات الدولية سارية في السودان
ثم أورد الملحق قواعد سران الاتفاقات الدولية في السودان وورد في محصر ملحق بالمعاهدة فقرة ١٤ :

« من المتفق عليه بالإشارة إلى الفقرة الأولى من المادة الحادية عشرة أن يقدم الحاكم العام إلى حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة وإلى الحكومة المصرية تقريراً سنوياً عن إدارة السودان . وأن يطلع الشريع السوداني إلى رئيس مجلس الوزراء المصري مباشرة »

وورد في الفقرة ١٥ :

« من المتفق عليه بالإشارة إلى الفقرة الثانية من المادة الحادية عشرة أنه يجب يكون تعيين الرعايا المصريين في وظائف السودان الرسمية حاصلة بالضرورة لعدد الوظائف المناسبة الخاصة ووقت حلولها ومؤهلات المرشحين المتقدمين لها ، فإن أحكام تلك الفقرة تسرى فوراً بمجرد انعقاد المعاهدة .

وتكون ترقية الموظفين في حكومة السودان إلى أية درجة كانت تكون مراعاة للحسنة ، وذلك بالاحتساب سعة للحجارة اشخصية

ومن المفهوم أيضاً أن هذه النصوص لا تمنح الحاكم العام من أن يعين أحياناً في بعض الوظائف الخاصة أشخاصاً من جنسيات أخرى ، إذا لم يتسر وجود ذوي المؤهلات من الرعايا البريطانيين والرعايا المصريين أو من السودانيين »

« من اتفق عليه في يمتنع بالفقرة الثالثة من المادة الحادية عشرة أنه نصراً لأن الحكومة المصرية ترغب في إرسال حدود إلى السودان ، من الحكم العام سبندر بالنظر في أمر عدد الحدود المصرية اللازمة للخدمة في السودان والأماكن التي يقيمون فيها والتكثف اللازمة لهم . وسترسل الحكومة المصرية فوراً بمحرد احد المعاهدة صانطاً مصر» عصي بسطع الحكم العام استشارته في هذه الأمور . »

وورد في رسالة ألغت بالمعاهدة من المسرب لسامي (السغيرالآن) .

في خلال مناقشات في مسئل التفضيلية النصية بالفقرة الثانية من المادة (١١) اقترح مندب حيدر اقصدي مصري للخدمة في الخرطوم . وأندى الحكم العام رعيته في تعيين صابط مصري سكرتيراً حراً به . وقد علم بهذا الاقتراح وارعة للشار إليها ، واعتبرا مقبولين من جهة المندأ كما أنه قد اعبر من المرحوب فيه ، ومن المقبول أن يدعى معتش عام اري المصري بالسودان إلى الاستزلاء في مجلس الحكم العام ، كمد نظر المجلس في مسئل مصلاه ، أعمال مصدحته »

ودكر رةمة لبحاس باشا . وهو خدم بمعاهدة إلى ابريدان المصري عن مسألة السودان مسيرات هامة بها .

« يرقى الموظفون المصريون إلى أعلى الدرجات ، ومنها وظائف السكرتيرين الذين لهم حق الجلوس في مجلس الحكم العام وهم بمثابة الوراء عندنا ، وبذلك أصبح نصب المصريين في وظائف حكومة السودان على قدم لمساواة التامة مع الانجليز^(١) »

وورد في تقرير لجنة لشؤون الخارجية بمجلس النواب:

« أصبح مصر بمقتضى المعاهدة نصيب على في الاشتراك في إدارة السودان ، وحق في إعادة جيش مصري اليه ، وتساو في الوظائف بين المصريين واسريطانيين ، وحق في

(١) في خلال احد عشر عاماً من عقد المعاهدة م يصل أحد من المصريين إلى منصب السكرتارية لمب بسيط وهو أنه م يبرر أحد من المصريين في الوظائف السودانية .

المحررة والتملك في السودان^(١) ، كما أصبح لها أن توثق العلاقات الاقتصادية بين
المليدين «لا قيد ولا شرط»



هذه هي المراحل المختلفة التي تقست فيها مسألة اسودان، أو وحدة حوض النيل،
بين المصريون المصريين والمفاوضين البريطانيين
ويلاحظ من نضع هذه الآراء الرسمية ، أن الجانب البريطاني رسم له نصصة ،
من أيام ملر ، أي مئتي وخمسة وعشرين عاماً ، لم يتجاوزها إلا قليلاً ، وهذا التقيل
لا فائدة منه نسب أعمال مصر ، أو أعمال بريطانيا .

وسنضع موضوع السودان في القريب ، وسننسط فيه نظرية مصر مرة أخرى
ولنطرية انصرية أصول قديمة ، وأصول حديثة ، ونعرض هذه الأصول هو ما سعرض
له بالتفصيل في هذا الكتاب ، وعلى الأخص القسم الأساسي منها .
وإذا أفلحت بهذا الكتاب في أن أقدم « محفل » النيل ، لأناء النيل ، وأن
أحب اليهم التصعيد في أعاليه ، والرحمة في أدابيه وأقاصيه ، في أن يكون قد وفقت إلى
شيء عظيم .. وأنا جميعاً يكون قد حللنا أعظم مشاكلنا على النيل ، حللنا العقد العتيق
التي حالت دون أن نفهم ماذا يعنيه النص الواضح القاطع في معاهدة ١٩٣٦ ، عن
إباحة محررة المصريين ، وإباحة التجارة والتملك ، بغير قيد أو شرط .

نور صبيح

دار الثقافة العامة

في ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٤
١ أغسطس سنة ١٩٤٥

(١) لم تعد مصر من هذه اذمة ، لأن المصريين ماروا ، يعتقدون أن لمحررة والتملك محصوران .
ولم يعد في سدد هذا الوهم أن المعاهدة نصرت وبرقت وأقرت رسمياً . ورحو أن نلت النظر إلى
أن من حق كل مصري أن يهاجر وأن يملك في السودان اذ شاء . في يشاء !

« شىء » من الخوف والجوع

« ونسبكم شىء من الخوف والجوع ونقص من
« الأموال والأنس وشرب ، وبشر الصابرين . . . »

- ١ -

عتاب بين عاصمتين

تجمع الشعب في حشد عظيم عند صفة الهر ، فقد ترامت إليه الأساء ، بأن القاهرة
تحركت ، وأدركها الرحمة هؤلاء الذين أمهكهم الخوف ، وطارد الدعر أمهم ويومهم
فلا نقر لهم قرار ، ولا تنهأ لهم ساعة من ليل أو نهار

وترأت في الأفق العبد أدحة الواحر ، وتسامت الآذان المرهقة دوى ليراحل
والراوح ، فصج صححهم وشاعت بين هذه الجموع الواجحة اسامات مشرقة أصاءت
لها وحوه مغرة . وهالك عند « المقرن » حيث يدعى السلان الأرق والأبيض ، رست
باخرة واحدة ، أدى لها الحلد التحيات المباركات ، ثم هطت منها « المحسة » المتطرة ،
وما أن رأى الناس هذه المحدة حتى تباهسوا في دهشة بالعة . ثلاثة فقط تريد القاهرة أن
تحيف بهم المهدي ، وتقصى على توريته . ! وتفرقت الجموع في صمت ، وهي تطأطئ
ارؤوس ، وتسندشق أنفاساً قصاراً حاطتها أثرية الخرطوم .

وركب الثلاثة إلى سراى « الحسكدارية » ، وكانوا . عردون باشا ، والكولونيل
سنيوارث ، والصابط ابراهيم بك قودى ، وعاد الناس فتحجموا عند السراى ، حيث
بلى عنهم حرمان التولية ، ثم أملى عردون حطته التي صمها لزمحه .. قال :

« يا أهلى السودان عموماً . إن الخبايا العلى الخدوى يسر عسكم صغيراً وكبيراً ،
أحراراً وعبيداً ، أئاداً ودكوراً ، وكذلك حلاله امسكه فيكنوريا ملكة بريطانيا
العظمى وأمر اطورة الهند . وبكم لا تحيى شفتى عسكم وبحتى بكم . وقد ساءنى
ما سمعته عسكم حيث نشبت الحرب بكم ، وتعطلت محاربكم . وسفك دماؤكم ،
ومعتم من قادية فريضة خج انى هى من أركان الإسلام ، وزيارة قبراسى عليه السلام .
وقد أساء هذا الحال كلا من حالاه امسكة وسمو اخديو المعصم ، فاندت من قبل
حكومة جلالة الملكة لأكون والياً على السودان ، ومعوضاً فوق العادة . وقد صار
فصل السودان عن مصر فصلاً تاماً ، وفوص إلى الحكم لطلق . وقد حاربت حصرة
اسيد محمد أحمد المهدي محوى مؤوريتى ، واعترفت له باسلطة المطامعة على السودان
اعرى برمته على شرط أن لا يمد يده لغيره

« هذا وقد أليت جميع الأوامر الصادرة تنع تجارة الرقيق وتجوزت عن جميع
المتأخرات من الضرائب مائة سنة ١٨٨٣ ، وقد تجوزت أيضاً عن صرائب ثلاث
سوات مند أول سنة ١٨٨٤ ، وأمرت باحراق دفاتر المتأخرات ، وأمرت باطلاق سراح
جميع المسجونين على اختلاف جرائمهم وسوع حياتهم ، وعزمت سد الأار على أن لا يكون
أعضاء حكومتى إلا من الوطنيين ، حيث أنى أود تشكيل حكومة وطنية ليحكم
السودان نفسه نفسه .

« وقد عيت عوض الكريم أباسن مديراً للخرطوم ، وأحسنت عليه برمة
الاشوية . ولى الأمل بأن العلائق ستصح بينى وبين سلطان الغرب وثيقة العرى .
وقد أمرت مند اليوم بفتح أبواب الحصون ، واتلافها ، وصحب الجنود منها ليلتفتوا إلى
عمران بلادكم ، وحرث أراضيكم وإماء تجاربكم ، ومى عيكم السلام »

ولم يجب أهل الخرطوم على هذه الخطوة بكلام ، لأن دموعهم تولت الجواب ،

فقد أحدث بهم ، لأبهم أيقنوا أن هذا كهم الخفى ، فى هذه الحطة انى سموا بكهم
الحديد يرددها على مسامعهم .

وإذن فقد صاع الأمل فى أن سجد القاهرة أحتب الخرطوم وهى فى محبة الخوف
وإدس . . لا بل لقد تأيد ما قيل من أن استقالة شريف باشا رئيس النظركات من
أحل بصراره على رفض بحلاء السودان ، فألا كلمته المشهورة : « إد ترك السودان
فان السودان لا يترك » فما نوى نوبار باشا الحكم مكانه ، كان برهانه هو أن يقلل
ما رفضه منه العظيم

وأت « احرصوم » إلى طر صدى ، وأحدث تسعيدى ذاكرتها رحلتها فى الحياة ،
وما ارتطت به مع أحتبها القاهرة من روائط القرى ، وآصرة الدم مشترك أنس انيل
أبوها معا ، أشأها أشاء ، وحما عليها أطفالا ، ثم سائرهما باير والوفاء حتى عا عودهما ،
وأصحت بين المداش عروسين ترمقها نعيون ، وتهو إليهما الهوس وأدركت الخرطوم
سمة من الموم ، ورأت فيما يرى ابوسان شيحا حليل القدر ، فارغ الطول والعرض ،
يملا لطر ، وقيد الحاطر قال اسبح رفقا بفسك يا سبتى ، فإى أرائك اليوم
مكدودة مبهومة ، وعهدى لك طروبا لعوبا ؟

وتطلعت « الخرطوم » إلى محشها ، فإا هو صاحبها القديم « التاريخ » الذى
عرفته مد عرفت الحياة ، ولم يتردد ، فقد أحدث تقصى إبيه ، تشكو شها وحربها .
وألقى التاريخ عصاه ، وحلس فى ؤدة ، ثم مسح من تحت أتوانه أوراقا أحد
يقلها ويسمع من الخرطوم ثم يقول لها .. ونحن ملخص هما ما علمنا من حوار
المتحدثين فلقه يهما ، ولعل لنا فيه ذكرى وعبرة :

فات الخرطوم على مسمع من صاحبها الشيخ الحليل ، وهى نأخى على العه
أحبها الكيرة القاهرة

— لا أزال أذكر ذلك اليوم الذى وفدت به حدود محمد على الكبير إلى هذه
الأرض ، تحمل راية احصاره والعمران ، ونعم أفراد الأسرة الواحدة فى بيت
واحد . وقد احتار قائد الحملة الأمير اسماعيل هذه الأرض بالذات — ولم تكن تضم
غير أكواح من العاب لكى تكون مقر معسكره . والقطعة التى يشرف بها
على النيل كله . وكان قدومه الأمير فى صيف سنة ١٨٢١ ، بعد أن قطع مع حدوده نحو
١٢٠٠ كيلو مترا على شاطئ النيل منذ نجره من أسوان

وبعد شهور قسرة فى اكسوس من ذلك العام ، وقد إلى الخرطوم او بيده ، النطل
مصرى العظيم الأمير ابراهيم فتح الحجاز ، وحاء معه اخبر الذى كان الناس يرجوه .
حاء بالطعام والاثياب والمال الوفير . وأخذ يدرس مع أحبيه خطة فتح السودان ،
واتمام سيطرة حكومة النيل المطبقة على بقية أحرار النيل .

وحاول ابراهيم باشا أن يصعد فى النيل مخترقا حريرة سبار . إلى بلاد الدسكا
على النيل الأبيض ثم يساع السير إلى سابع النيل الاسوائية وتحدث انما فتح لمصرى مع
المسيو كايو أحد العلماء المرافقين ثبثة عندما قابله فى اكتوبر سنة ١٩٢١ قال (١) :
« اساكشف النيل الأبيض فى حملة من مراكب مسلحة وعدد كبير من القوارب
الخفيفة التى تستطيع أن تخطى فى الهر بسهولة دون أن تعترضها الشلالات ، وستكون
وجهة هذه العبارة النيبه أن سحدر فى الهر وروافده حتى تصل إلى منابعه »

وتحدث الأمير اسماعيل إلى المسيو كايو أيضا ، وكان عائدا إلى فرنسا ، قال له .
« اذا ذهبت إلى فرنسا فاشر ما وصلت إليه من معلومات ، ثم عد إلى مصر ، فانت

(١) عصر محمد على بعد الرجوع من فرنسا

ستجد أنى لا يقع بالأكتشافات الصنيعة التى وصلنا إليها ، بل سندل حبلو دا أخرى ،
وسأصحبك بنفسى إلى منابع النيل الأبيض »

وقد مرض ابراهيم باشا بالدوسطوريا فعاد ، وصادف اسماعيل خط سىء فوقع فى
كمين احترق فيه هو وأركان حربه ، ومع هذا استمرت حركة الفتح ، ونظم
السودان داريا ، وولى عليه محمد على حيرة رجاله لادارته وسر العمران فيه ، كما
داره هو نفسه فى اكتوبر عام ١٩٣٨ وأقام فى رحلته نحو حمسة أشهر ، وقد أعجبه
ما رأى فى الخرطوم من مظاهر العمران ، وامتداد الدور المسية على أحدث طراز ، ولم
يكن اسودس حتى ذلك الوقت يعرف مادة للبناء غير القش وأعواد البت . وأشأ
حكام السودان المصانع ، وترسانات السفن النيلية ، وامتدت الحدائق الحية والمزارع
الثمرة فى كل مكان .

ولم يكن الخرطوم هى المدة الوحيدة التى أشفت فى ذلك العهد ، بل أشفت
كسلا وفامكة فى إقليم سار . وعنى الحكام المصريون سفير بعوث انكشف على
بحر الجبل وكان آخرها وأهمها بعثات سليم بك قنطان ، وسليمان كاشف التى وصلت
إلى حرية جوكر على الخط الخامس من خطوط العرض ، وهذا المكان بواحه
مدينة عوود وكرو . وقد ارتادت بعثات محمد على هذه الأماكن مراراً حتى أصبحت
مطروقة معروفة .



وتابع المتحدثان أحاديثهما عن صلاب القاهرة بالخرطوم ، ووصلا إلى عهد سعيد
باشا هذا الحاكم لطيب الصريح وأخرج التاريخ من جعبته أوراها فى صور فريدة
لرسائل كانت تصدر من ديوانه ، وكانت قراءتها تحرك النفس بالعبطة والانسام .

كتب سعيد باشا إلى حكامدار السودان فى ١٣ ربيع أول سنة ١٢٧٣ :
« انما ارادتنا انقصت تحريك دكاننا من جهة مصر المحروسة بقصد الحضور

لى جهة السودان و بعد خمسة عشر يوماً تمضى من تاريخ أمرنا هذا يكون القيم من هذا الطرف ، فيلزم أن نوصول أمرنا اليكم حالاً سرعاً تجمعوا كافة العساكر الحمادية لنحو حودين فى جهة السودان ليكونوا حاصرين جميعاً بآلاتهم فى الخرطوم . كذلك تجمعوا فيها كافة المدافع الموجودة المياه المطقة وتسللوا عية اليهود فى تجهيز واستحضر سائر ما يلزم من المؤكولات وحلافه بحيث أنه عند حصولنا لذلك انظر فى سميتا ترى كل شىء فى غاية الاستحضر والتجهيز ولا سدوا مشقة نسب قلة وحود اللوارمات والخر^(١) كل الحر من العمل بخلاف ذلك أو التقصير فيه لئلا نكون هذا سبباً لهلاككم بلا محالة . . . بحلولا نهاية ذلك حسب المطلوب كما اقتضه ارادتنا »

وفى ٩ جمادى الأولى سنة ١٢٧٣ أرسل سعيد باشا أمراً عالياً إلى سلطان دارفور نصه :
من محمد سعيد كامل الديار المصرية وما تابعها من الأقاليم السودانية فى حصرة عرنق الحسب والنسب ، والمنتمين من الدين القوى سب ، حصرة اسطن محمد فصل سلطان دارفور ، لارال خطه من الهداية . و هو ر

أما بعد حمد الله العلى الأعلى ، والشكر ان شكراً ندوم ولا سلى ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الكريم المنزل فى حقه « وانك لعل خلق عظيم » ، وعلى أصحابه اسهدين وحلفائه ارشدين وأهدى ما يندى بذلك المقام العالى من السلام والتكريم ، واسداء ما يجب من التحسن والتجميل والعظيم ، فانه بحسب ما حللنا عليه رعاية الملك الاخلاق من مكارم الاخلاق ، ووفقنا له تعالى من الاحسن حظ المرح لرعايانا دأوفر حلاق ، تحركت دكائنا حتى حل الآن موكبنا بالأقاليم السودانية التابعة لجهاتنا المصرية نقصد بقصد أحوال ارعية ، وملاحظة اداء حقوقها المرعية واحراء ما فيه المصلحة العمومية والمنفعة

(١) القصد « الحذر » ، وقد أنبتنا هذه الرسائل نصها لما فيها من مرفة .

الاهية اللارمة رفاهة العباد ، الموكولة لحسن أنظاره ، وراحة لبلاد المحيطة بها دائرة أفكاره ، كما حرت به عادتنا وبعثت به همتنا هذا هو قصدنا لا قصدنا سواء ولا مطمح لنا فيما عداه .

وحيث كـ من بعض أماكن المجاورين ، وكات الأهلان في كل من الجهتين لمصلحة التجارة ومفعة العمارة على الدوام وإردى ومتزديدين ، فقد رأينا من الواجب أن نحرر حصركم هذا الكتاب ونسطر سيادتكم هذا الخطاب لمحيط عمكم الكريم تحقيقاً العزم المقصود من ثقلنا إلى هذه الجهة التي هي إحدى جهاتنا ، ونحصل اليقين من نحن مصممون عليه من استمرار الحجة واستقرار المودة ، التي هي بين اسحلوين أنصم عدة كما أن ذلك حق المجاورين والله يحك المتقين ولكون حصركم من أسرار سرارتنا على صيدة والاعين حتى تريا من هذه الجهة مسرورة قريبة ، لاسيما وتجمعنا مع حصركم جماعة الاسلام ولا أريد إلا الإصلاح ما استطعت والسلام .

وكان اسماعيل باشا (ابن أخى سعيد باشا) رئيس المجلس العلى أو مجلس الوزراء أثناء هذه الرحلة كما كان نائباً عنه في القاهرة . وقد كتب سعيد باشا من الخرطوم يقول له -

« حيث أنى سأحرى نفسى تربيته جميع المديرية في الخرطوم ماعدا مديريات دنقة والبرر والحدادين ، فلا أجل ذلك كتبت لكبار المشايخ ولعمد جميعهم أن يذهبوا إلى الخرطوم قبل وصولي إليها ، وقد نظمت ، وأنعمت الترتيبات الموصلة لاسفراحة الأهلان ورفاهيتهم في مديريات البرر وجاعلين اعتساراً من أعز حد لعاية شدى ، ووصلت أمس إلى الخرطوم ، وحيث أنى بالذات قائم بهجاء الترتيبات في مديريات توكا وكردهان وفي غار وعلى وسيدر على انوجه المطنوب ويعون الله تعالى قد صممت

وعرست على التوجه لدقة في غرة شهر جمادى الآخرة ، بعد أن أتمم ترتيب وسطي
مديرية دجلة كما هو مقرر ، ساعود إلى مصر . فساء عليه يجب ألا تقيموا إلى رسة عدد
وصول إليها . وإذا أرادت الدوات الذين تشرفوا بتوديعي عند السفر ، أن يحضروا
لاستقالي ، فلا بأس . وما عدا ذلك فالاجتماع لاستقالي بحجة اتساع الأصول غير
مرغوب فيه ، ولذلك يجب التمسك على الجميع على الوجه المحرر ، لذلك حررت هذا
لدواتكم »

حاشية : يجب التمسك على الذين يرغبون في الحضور لاستقالي ، كما ينال أمرنا لعاني
أنه ليس من الضروري أن يكونوا بالاس الشريعة . لذلك حررت هذه الحاشية

ويظهر أن شيخ مدينة النكاية لم يحضر لمقابلة سعيد باشا فكتب له هذا الخطاب
العييف تاريخ ١٦ جمادى الأولى سنة ١٢٧٣

« قد عرض لدينا ما حررتكموه إلى حاكم السودان في ١٠ جمادى الأولى سنة
١٢٧٣ بالاعتماد عن الحضور بأقوال مطولة لا فائدة فيها ، والحال باحير برأت تعلم
أن أوامرنا من وحب الإطاعة لها والالتقاد ، وعدم مقابلتها باحتجاجات باطلة . فوصول
مربا هذا يلزم حضورك حالا وسريعا من دون تأخير كما سبق التحريض لك ساء على
إرادتي . وإن لم تحضر ترسل لك من يدمت الحياة ، ويكون معلومك »

وفي ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٧٣ ، أصدر سعيد باشا الأمر التالي إلى الشح
فصل الله ولد سالم شيخ عربان انكبايش :

« به ما حل ركاسا بالأقاليم السودانية ، ووجدنا ما عليه أهلها من النعب والشفقة
فحسب ما تعودت به مراحنا وشفتنا ، أمرنا بما به انحرت قلوبهم ، ورالت حسراتهم
والجميع صاروا في أعلى درجات الراحة ، وما يؤيد به إلى اكتساب الرهاية والعار .

وحيث أنكم من جهة من حقهم عدتنا ، وأقيمت عليهم احساننا . ونسب هذه
انعم لكثيرة صرتم باطبيعة الى كمال طاقات حب الوطن . ويحب عبيكم السعي
والاهتمام في المساعدة ، وردع من يقصد لسوء وفساد ، فسأ على ذلك مأموما فيكم
أن تجدوا بأنفسكم إلى دفع ما فيه الضرر ونسقمه . الخ »

وفي نفس اليوم صدر قرار من سعيد باشا بنصب راكميل بك مديراً على مديرية
الخرطوم صاحب أهل السودان فيه قوله .

« يعلموا ربكم الله أنه جاء على ما حدث عليه صيغتنا ، وانصرفت إليه مكارم
من التحب إلى عمالية البلاد ، ورفاهية العباد ، واضطر في يؤدي إلى راحة البلاد ،
واضطرب فيما يوجب تحسين الأحوال ، وقد تحرر موكنا للقدوم إلى الأقاليم السودانية
لمطعم على أحوالها ، ونسلمهم بما يتبين عليه انهم في فاصها ودانيتها ، ورفع عنهم
ما كلفوا به من تقيل الأحمال . . . »

ثم خاطب الحكمدار الجديد بقوله :

« وأنت يا من أساك أهلاً بهذا المنصب الكبير والمقام الخليل الخطير ، عليك
تتقوى الله ، وعامل الناس واحنهم في فيه المعط والإصلاح ، وتوريد المطالب الأميرية
على واقع ما صار . نطه سور ريادة ولا نقصان »

وبعد في مجموعة أوامر سعيد باشا أمراً بتاريخ ١٩ ذو الحجة سنة ١٢٧٥ (أي من
بحو تسعين سنة هجرية) أمراً هاماً أو « إرادة » موجهة إلى السيد عيسى باشا
باطر الداخلية تقول فيه :

« حيث أن المستر فرانسيس الاسكيري الذي سيذهب نكث مع اسيل سافر

على سفينة تجارية صغيرة ، التمس مى إصدار إرادتى بأن يصرف له نصف (طو بولاته)
 ثم كذا يصل إلى محطة في الوجه القبلى ، تكون سبب عجم ، وحيث أن بعض الآلات
 الطبيعية الموجودة في سفينة الصغيرة المذكورة سكست أثناء مروره من عمر (وعار)
 رشيد ، وهو مقنع بوجود مثل هذه الآلات في مخازن الهندسة الذى في بولاق ، فسأ
 عليه يطلب إعاره الآلات المذكورة إليه بصفة أمانة لاستعمالها في مهمته شرط أن يرده
 عند عودته على هيئته الأصلية دون أن يتسبب أدنى ضرر وأقل حسارة ، وحيث إن
 التماسه واستدعاه افترس مساعدتى فسأ عليه عندما يحيطون سلما بذلك ، يجب أن نأذروا
 برسائل التعليمات المذكورة لمديرى الوجه القبلى بخصوص إعطاء الفحمة المطوب للمسيو
 الموما إليه ، من المحصات على الوجه المشروح وباعضاء الأوامر للمحبات اللازمة لتسييم
 الآلات الآتية ذكرها بصفة أمانة وقد حررنا لكم هذا الإجراء موخه « (١)

وإذن قد يكن صواباً ما ذكره ملر في تقريره من أن فتح السودان كان سكة على مصر، وعلى السودان معاً لم يكن صواباً لأنه نشأ « انوطس » في حدوده الطبيعية، ولأن حكاهم مصر كانوا ينظرون إلى السودان وأهله، لا على أنه مستعمرة، أو أرض عربية صمت بحق الفتح، ولكن كما ينظرون إلى أهل عربية أوقنا، أو بقية مديريات الديار المصرية

وإذا كانت الاداة الانجليزية قد نحتت في إقرار الأمن بالسودان منذ أوائل هذا القرن فقد كان نجاح الاداة المصرية في هذا الباب مدعاة لكثير من الدهشة . وهي الادارة التي وجدت مسداً من أربع الثاني للقرن التاسع عشر

نقل ارافى بك في تاريخ الحركة لقومية عن الكونت سديتي « Benedetti »
قصر فرسانى مصر . « إن الاهلى والأحاب على اسواء يستحيون أن يذهبوا إلى شاءوا في البلاد التي يحكمها محمد على سواء أكان ذلك في حوص سيل إلى أفصى حدود السودان ، أم في سورته وحريرة العرب فال صرامة العدل الذى أقام مبرهه في كل ناحية لا تقبل هواره ولا ضعفا ، «السودان قد سده الأمن كما ساد غيره من البلاد التي حكمها . هي كرهان مثلاً ، لم يكن أى احرباً من على نفسه أن يسير مفرداً ، استصاع ارحالة « بالم » أن يختار البلاد من غير أن يصحبه إلا حادى واحد ، ولم يقع عليه أى اعتداء أو أذى . وكذلك سح به ارحالة « كوتشى » مطمناً سنة ١٨٣٩ ، وساح الأمير الالمانى « نكار مسكو » إلى السودان إلى الخرطوم دون أن ساله سوء . وحدثت أسرة المير « موى » إلى احرصوم سنة ١٨٥٠ للهرة كما لو ساحت في ربيع إيطاليا «^(١)»
وفال الميسو « حومار » : من ذا الذى كان يظن قبل أربعين عاماً فقط ، أن يصلنا ارسائل من صفاف النيل الأبيض إلى صفاف السين (نارس) في اثنين وثلاثين يوماً ، وبعنا من « فرهور » عند المبرحه العاشرة من خط الاسواء في حسين ومما ! »

(١) كتاب ديهان من ٢١٥

بحجت الإدارة المصرية الأولى في السودان نجاحا متقطع الطير ، على الرغم من
عدم توفر المواصلات ولا وسائل النقل السريع — كان ذلك ممدا أكثر من قرن
وأحد أهل السودان وأهل مصر منذ اليوم الأول يندمجون ويتراوحون ، ويكونون
جماعة واحدة أيها حلوا .

وعلى الرغم من تفتي رعات التعصب الديني في ذلك العهد ، لم يسمع أن أوريا
أصير في السودان أو في مصر سبب ديه . لا بل يسمع أن ولاية مصر الأولى سمحوا
لإرسالية دينية من قديم في « خرطوم » ، وأن يؤسس أول كنيسة في السودان .



وننقل الآن إلى مرحلة جديدة من تأملات الخرطوم ودكرياتها ، وهي تقلب
صحائف الماضي ، لقف عند عصر اسماعيل ، وستنطق وناق التاريخ ماسحطته عن أيامه
كان من الأوامر الأولى التي وجهها الخديوي اسماعيل باشا إلى حاكم السودان
(موسى باشا) وذلك في عام ١٢٧٩ هجرى .

« أن تدلوا عاية جيدكم ومسايعكم لتأمين الطرق والمسالك ولحفظ الحدود
بالدقة والعناية . وتأسس أمية (أمن) واستراحة السكان الأجانب وأهل البلاد ،
ولاستكمال كافة أسباب رعاتهم وتسهيل وتوسيع تجارتهم كما هو مأمور ومسطر مسكم
ليعيشوا آمين ومطمئين مرفحين .

وفي رجب سنة ١٢٨٠ كتب الخديوي اسماعيل أمراً عاماً « إلى حمر الأوائل
والأواحر الملك المعظم السلطان المعظم محمد الحسين المهدي سلطان مملكة دارفور . . »
يوافق فيه على طلب السلطان باستمرار مندوب حكومة مصر السيد موسى العقاد وكيله
في الاشراف على شؤون سلطة دارفور ، كما عينه سمو سعيد باشا . وكان اثنان من أهل
دارفور يحملان هذا الالتماس إلى اسماعيل باشا . « وقد شملنا المذكورين ناعنا ،

وأحرسها على عواید رعائنا ، وسبحصل إن شاء الله بكل من يأتي من ذلك الطرف
اخليل ما لا يريد عليه من الترحيب والتساهل والمساعدة والتسهيل » ثم أرسل معهما
لسلطان دارفور هدية من سكر أبيض (١٢ قطاراً) ، وطاسة مكتوب عليها آية قرآن ،
وملاس ، وسحاجيد ، و ٢٠٠ أقة من الجمع .

ووصل اسماعيل باشا إلى أعظم ما وصل إليه منظم إداري ، وحاكمكم نافذ البصيرة ،
وهو يعمل لأتحة حديدية لحكم أعالي النيل ، أو مدرسة النيل الأبيض كما كانت تسمى
فقد كتب إليه جعفر باشا حاكم السودان يستأذنه في إدخال بعض إصلاحات على
جنوب السودان ، فكتب له اسماعيل باشا ، كتاباً مفصلاً يقع في ١٨ سداً غير المقدمة
والخاتمة بوجزه في بي :

● ذكر في السد الأول أن تنظيم الحكم في هذه المناطق جديد ، يسم للمرة الأولى .
وأنة يحتاج إلى مبرانية لا نظري تقديرها إلى حصيلة الضرائب الواردة منها ، وذلك
لأنه « نعد حصر كامل لمساحته دفعة واحدة ، ما لم يكن بالأحد والمراعية لأحوال
السكان والزمان شيئاً فشيئاً » وهذا فكلاً نظر ضرورة صرفه ، مما يرى فيه اللزوم
لإدارة وعملية هذه الخبة ، وسط وسمان واسع دائرة اسجدة بها ،
فيحري صرفه من الحكومة بإعادته من الحكمانية ، دون أن ينكسروا أهلي
تلك المديرية بما لا طاقة لهم به ، لأجل تأبف طباعهم إلى العيرية ، وحسن التوسط ،
كما أن ذلك أمر موجب لراحة الأهلى »

● لا يحدد أحد من أهل تلك المناطق تجييدا احصاريا . ومن يتطوع يعطى لأهله
٢٥٠ قرشا لأجل أن سنعوا بهذا المنع في اصلاح شؤونهم . ويكون انصرف على
يد كراء الخبة الدين محمد .

● لا تفرص صرائب رائدة على أهل هذه المناطق ، لاستئالة قلوبهم إلى الاستقرار ،

وحب الوطن ، والانتقال من الحالة اوحشية إلى حالة التمدن ، مع الأمر الكافي لهم . كما به اسماعيل ناشا على اصباط والمستخدمين جميعا بأن يعامل أهالي هذه المناطق « بحسن الخلق ، وحسن الخياص ورعاية لين الجانب في الأحد والعطلة ، مع دفع حركات التحقير لهم ، والاعتراض عليهم » .. وهكذا صدق الحدوي وهو يقول ان انشقة الحدوية شملتهم ، لأنهم غير داخلين تحت دائرة التمدن ، والمأمول قرب تمدنهم ويكون ذلك عموما لشرفهم .

● كل تمون الحكومة ، يجب أن يدفع ثمنه ، كما يجب أن يلي العمل الاجباري تماما ، وتدفع أجرة كل شخص تكلف بعمل من ربح الخبوت . على أن يكون الدفع بحسب أعمال الوقت ، والأجر الحالية ، والعملة الجارية تداولها هناك .

● لم يعود أهالي الخبوت على الزراعة ، ولم يدعوا حلاوة لتكسب منها . وقد قصت هذه اللوحة ، أحد الناس بالرفق ، وسكليف حدود الحماية بإرشاد الأهالي لأنهم في المال من فلاح مصر ، وأن سبي السواقي ، وتقديم السور على عفة الحكومة ، وذلك لأن « الغاية القصوى إنما هو تسييس وتمكين عمالية تلك الجهة ، وتكسب أهاليها ودحو لهم تحت تناول المنافع والثروة والتمدن شيئا فشيئا »

وراد اسماعيل ناشا ، فأعني كل أرض يرزعا الأهالي من الضرائب ، على أن تكون ملكا للزراع « لأجل كمال حسن التوزيع والنشوي في ذلك للأهالي . وحتى ينجحهم ذلك إلى زيادة الميل وحب الوطن وحسن استقراره .. هذا مع مراعاة دفع انصراف الأهالي في ذلك ، ومهدا غايه مأمول في جانب الله تعالى بأنه في أقرب زمن يصير انتشار مساهم الزراعة في الأراضي الصالحة في تلك الجهات متى علموها الأهالي ، واستطعموا مزاياها ، ريثما على ذلك كثرة العمالية والاستئناس بالعميطان واسكان شيئا فشيئا »

● ولم يقتصر برسم الخدوى على شرب الرزاعة ، ولكنه فكر أيضا في شرب الصاعقة ومظاهر العمران فكتب إلى زيات المهن السفر إلى أعالي النيل بمصاعقة ، جورهم . ولم يقتصر الأمر على إرسال حملة انقيين « من سابين وبحرس ومهندسين » على تشييد سد في الحكومة وورشها ، بل رأى ضرورة تعليم ريوخ هذه المناطق الحرف والصناعات « مع انلااف الأهالي في دخول من رعوها دحوهم من أولادهم للتعليم وتعالج مشغولات تلك الصانع ، وإرشادهم إليها بالرفق والتزعيب لأجل سعة استعمالها ، واشتغالهم فيما يوجب أمور سكسهم »

وقرر اسماعيل باشا مكافأة نشر التعليم الصاعى ، لالعلم الذى يدرأ الأهالي ، فقط ولكن أيضا لكل فرد من الأهالي تتق حرفة . وليس هذا محسب ، ولكن يعد كل شىء في مهنة من طرف الحكومة « بما شئت اقدامه رسوخ الاشتغال في تلك الصناعة حتى يمكن انبها كه فيها ، ورواج حال معشته بها »

● وأمر الخديوى باشا . محطات كثيرة للحكومة ، بعد إنيها وتقوم منها المنابر بطريق نبر وطريق السهر . ولاحظ الخديوى منطقة السدود ، فقال إن تصميم سهر الحكومة سيكون بحيث يبنى لسيورها وحود شرب من الماء ، وسه إلى ضرورة إنشاء استتالية للمرضى في كل محطة ترتب لها أصناف الأدوية والحكاء وتومرجية ، ولأجل تعليم المرحمة والرفقة ، حوار الأهالي وغيرهم ، قد سمحت الإدارة أيضا بوضع حكيم واحد في كل محطة ، ويعطى له الأدوية المنصبة لمعالجة من يقضى الحال إلى معالجه من يتواحدوا فيها من انصاكر وسائر الخدمة والأهالي ولتجار ، وكامل مصاريف ذلك تحسب من اخيرات والاحسانات الخديوية »

● وانتقل برنامح اسماعيل باشا إلى شرب اللغة العربية بين ريوخ هذه المناطق ، لأن وحدة اللسان « من أحسن الأسباب الموصلة وهذا التعليم يكون لأطفالهم تقرب وأنجح وأقر به ما كان بواسطة تعليم القراءة والكتابة » وأمر بإرسال المدرسين ريدة على أئمة

الأورط العسكرية ، ورصد مكافآت للمدرسين وطلاب المدارس «بحجور» تقدر ما بعث
فيهم رغبة اربعة في التعليم والتعلم»

● ومنه على اختيار أفراد من ذوي المكاة بين الأهالي للإشراف على المحلات ورئاسة
القنائل . وأمر بحجهم اكساوى الأميريه ، وصرى مثالا باثنين حذرتهما الحكومة
فأدبا عليهما بامانة وبمحاح . كما أمر بتعيين مترحين في كل محله حكومية ليكروا واسطه
التعاهج بين الاهالى وهيئات الحكم ، إذ أن لغة الروح غير اللغة العربية .

● وانتقل الخديوى إلى ضرورة معاملة الأهالى بالعدل الذى هو أساس العمران ،
وأشار إلى أحد المدرسين من الروج بارفق لقرب عهدهم بحياة العانة « فليجملهم لايجلو
الحال من حصول بعض أمور مغايرة مهم في حق بعضهم أو في حق صغيرهم نظراً لعدم
إدراكهم بعواقب الأمور ، وهذا يحكم إرائها تارة بالتعليم ، وتارة بالترهيب والتخوف
وتارة بالعقاب اللئيم إلى مقتضيات الواقع .. مع عدم التمسك بالعقاب في كل حادثه من
أور وهلة ، الا فيما إدا كانت الجريمة من أنواع القتل » وأمر في هذه الحالة بان يعص
على الجاني ، وأن يحقق معه المدير نفسه رادة في الاحتياط ، ويحجر حتى رفع الأوراق
إلى الحكماء في الخرطوم ليبت فيها .

ولكن الخديوى عاد فخص على أن تكون معاملة المدرسين كمعاملة الوالدين في تربية
أولادهم « من غير حدة أو قساوة » كما أنه إلى ضرورة تدريب الأهالى على أصول
المعاملات ، وسيرهم من الأذى والاعتصاب . ويحب أن تكون العقوبات تدريجية
في أول مرة حمية ثم يشدد الجراء تدريجياً .. وهكذا .

أما الموظفون الذين يجترئون على حق الاهالى أو يرسكون دنوباً تقع تحت طائلة
القانون ، فقد أمر الخديوى بتشديد العقوبة عليهم ، بعد التحقق من الذنب ، وأن تعين
العقوبة على الجميع عرة لمن يعبر .

● وكانت ميرايه موظفى هذه المنطقة ١١٥ جيبها وحمة وتماين قرشا ، فأمر بزيادة

الاعتبارات المحصورة لها ، بحث نوحه هذا الروح مع الصبح الذي أعده الخديوى
● وسه الخديوى الموظفين إلى ضرورة رعاية الأمن في هذه المناطق وعلى حد عبده :
نوير جمع مسالكها ببور الأمن ، بحيث يسهل على التجار والزوار أن يقدوا إليها
سواء كانوا من رعايا الحكومة أو « رعايا وحاليات الدول اشحابة » وليس معنى حمايته
التواثير أن يهضم حق أحد من الالهاني . لأن مع الخديوى معاً بالانتماءات شيء
من الأهالي أو حدوث تعد عليهم من أى أحد مما يكن مركزه .

كما أمر الخديوى بعاء الأوامر السابقة التي كانت تقضي بمنع التجول في هذه المناطق
و ميسر جميع اسفن ، ولو أنه أشار ضرورة إعطاء تعليقات للارمة اللذين يعدون
لأول مرة براحتهم وأمنهم .

هذا محل السطيات التي وصعها الخديوى « انفتري عليه » اسماعيل باشا بشر الحاصرة
والمدنية في قسم من حوص النيل الذي تولى أمره ، وهو أعالي حوص النيل .

وقصة التوسع في شر الحاصرة المصرية حتى تشمل البحيرات الاستوائية كلها ،
وحاسا من المحيط الهندي ، من أهم قصص التاريخ المصري ، وأكثرها اشادة بمجهود
الخديوى اسماعيل ، وبريها سمعته من كثير من الشوائب المنغصة التي أخفت به . فقد
فهم اسماعيل ، وأدرك عن دراية و يقين ، أن الحدود الطبيعية لمصر ، لا تنف عن شلال
من انشالات ولا تحاصر بخطوط صناعية ، ولكن « كل أرض مصرية مبرى فيها ماء النيل
فهي أرض مصرية » . هذا هو إيمان اسماعيل ، وعلى أساسه عمل ، وقد نجح في
تحقيق أهدافه نجاحاً كبيراً .

ومن الخير أن نسوق الوثائق ، لكي نتحدث سعيها عن سير الحوادث ، وارتباطها

غير سميق ، ولا ترويق ^(١) ، وإن كانت مئة سككبات الرسمية — مئة خمس دسعين سنة لا ترصسا كل الرصا ، ولا بلائم أدواقها ، إلا أنها تشبه التحف الفنية القديمة ، التي نقلنا إلى حوامصر الذي أنشئت فيه .

في صفر سنة ١٢٨٦ هجرية (سنة ١٨٦٩ م) أصدر الخديوي اسماعيل الأمر التالي ، ترجمته :

« نظراً للحالة الممحنة السائدة بين القنائل القاطنة في حوص شهر السل ، ونظراً لأن النواحي المذكورة ليس بها حكومة ولا قوانين ، ولا أمر ، ولأن الشرائع الاساية نقرض مع المحسة ، والقضاء على القائلين بها ، المستشريين بكثرة في تلك النواحي ، ولأن تأسيس بحارة شرعية في النواحي المشار إليها عبر خطوة واسعة في سبيل تشراندية ويفتح طريق الاتصال بالبحيرات الكبرى الواقعة في حط الاسواء بواسطة المراكب التجارية ويساعد على اقامة حكومه ثامة .

أمر بما هوآت :

تؤلف لجنة لاحتصاع النواحي الواقعة في جنوب عوسوكورو واساطيا ، ولا تطل الساحسة و إيجاد تجارة منظمة .

وافتح طرق الملاحة مع البحيرات الكبرى الواقعة في حط الاسواء ، ولا اقامة حط من القط العسكرية ومسودعات للتجارة يبعد بعضها عن بعض مسافة ثلاثة أيام للماشي في أنحاء أفريقيا الوسطى اسداء من عوسوكورو .

وقد فوصا رياسة هذه الحملة إلى سير صمويل بكر لمدة اربع سنوات اسداء من أول

(١) وثائق هذا الفصل مستمدة من كتب الأمير عمر طوسون وقويوم اسيل لامين باشا سامي والهيصة الفتوية للراحمي واسماعيل المعترى عليه للداعي كرايتس ترجمه ، لاساذ فؤاد صبر وموسو الاسماعيلية لصمويل بكر .

أبريل سنة ١٨٦٩ ، وقد بناء حقوق السلطة العامة المطلقة ، حتى السلطة المتعلقة بحياة
وأعدام كل من له علاقة بالجملة

وقد بناء كذلك من هذه السلطة على كل أسواق النخبة خصوص النيل جنوب
عوم وكور . »

و صدر اسمعيل باشا إرادته لسطر الداخلية ورد فيها ما ترجمته :
نصراً لضرورة لزوم إلحاق أعالي النيل الأبيض الذى هو أكثر أقسام أسس الممالك ،
بالأقطار السودانية ، وحيث ان التقدم للجهات المذكورة بصورة مطردة من القواعد
الأساسية لقديمة المتحدة لدى الحكومة المصرية ، فقد قررنا تعيين صامويل باكر بك
من مستخدمى الحكومة والذى سبق استخدامه فى استكشاف منابع النيل ، مأموراً
بالإلحاق أعالي النيل الأبيض بممالك الحكومة المصرية ، وقيامه للجهات المذكورة ، يكون على
رأس قوة مؤلفة من ثمانمائة من الجنود المصر بين المصريين ، خمسة حدى نظامى سودانى ،
ومائة من الجنود الشائفة ، فالجموع فرقة مؤلفة من ألف واربعمائة حدى مع مدفعتها
وسائر لوازمها ، واربعة عشر مدفعا جلياً »

و بعد أن استطرد الأمر فى ذكر . سب الصراط ومرساتهم وعلاواهم قال :
« ... و لازم أن يعين فى معية اس أحيه ياور حرنى عرب سوى قدره ٥٠٠ حبيه
وطبيب الجليرى بمربب مسوى قدره ٢٠٠ حبيه ، وثلاثة صباط مصريين بصفة
ياوران حرب

« وحيث إن الموما إليه من مأمورى الحكومة المصرية كما هو مذكور أعلاه ،
فكل الاراضى التى يصع يده عليها ويحكمها الجيش الذى تحت قيادته ستكون «لطع من
ممتلكات الحكومة المصرية ، ويدخل تحت تصرفها المطلق ، وساء عليه يحجب تحجير
وبدارك القوة السعريه المذكورة . . الخ »

وفي ارادة أخرى لناظر الداحية :

« قد أصدرنا أمرنا هذا إليكم لتعدوا حكمة إدارة السودان بخصوص إصلاح الواحر الموجودة باخرطوم ووضعها تحت أمر صمويل باكر ملك ، وعدا ذلك يجب أن تجمعوا الواحر الأميرية الموجودة في هذا الطرف ، وفي حالة عدم كفايتها يجب أن تتناحوا من اشركة العربية بواحرها الموجودة في ادن الرأسة على اللوه . وحلاصة القول ، عليكم أن تهتموا «بإصلاح عدد الواحر التي ستوضع تحت أمر اموما إليه إلى عشر ، فلذلك أصدرنا أمرنا هذا وأرسلناه إليكم »

وفي آخر شعبان من هذه السنة ، كتب الحيدوي أمرا « إلى سائر الحكام ونظار الأقسام ومشايخ وعمد الأهالي بالجهات الداحية بالبحر الأبيض «تألم السودان» يحيطهم عنها بمهمة «السر صمويل باكر ملك» ، ويطلب مؤازرته .
وكذلك أرسل هذا الأمر إلى حكمة إدارة السودان

وقد أعدت ، للحمة الواحر اللارمة لها ، كما أشتت نواحر جديدة ، ورودت الحملة بالآت من ناحية تقطع لأحساب . ولم يكن من المستطاع إبحار هذه السفن من القاهرة إلى «عوبدو كورو» لاعتراض الشلالات الكثيرة طريق الملاحه ، ففكت وجمدت على ظهور الابل ، وظهرت ارجال مسافات شاسعة ، حتى وصلت إلى عايتها (مسافة بين الاسكندرية وعوبدو كورو ٤٨٠٠ ك .) . وقد استعد هذا النقل بمجودا بشرنا هائلًا ، لا يقل عن مجود مصر النامي الذي مدته في شق قناة السويس . ولقد كان أشق مراحل الحملة قطع صحراء العظموور في البوابة ، أي مسافة لا تقل عن ٦٥٠ ك مترا يتصاعد من رمالها دحان مثل الذهب ^(١) .

(١) خمس أحد الشبان السودانيين في احتفال مصري سرور في الخرطوم ، وقال إن صحراء العظموور أصل طبيعي من مصر والسودان ، ورد عنه شاب مصري قائلا : إن العظموور م يصح صحراء فاصلة بينها بعد أن دوتها دماء المصريين ، في أكثر من عهد .

ولما وصل هذا الأسطول النهري الصغير إلى منطقة السدود في بحر الجبل ، بدأ
المجهدون النهرى ، في ١٥ من مرة أخرى ، في شق طريق ، وسحب لسن بين عاتات منشبكة
من السمات المائية التي يبع ارتفاعها بين ٦ إلى ١٠ متر . وبعد شهر من الجهود
المؤثرة المصيبة ، تبين للسراييك أن المسحوق شق هذه نغابات الكثيفة من الأعشاب
فعاد التفتقرى إلى موقع « التوفيقية » ، وأنشأ فيها محطة كبيرة وظل ينتظر الميضان .
وعند ما عدت مياه النيل ، أمكن للحملة أن شق طريقها بعد أن بدت جهوداً
هوى طاقة البشر ، ووفقت في الأعداد والمسير والعويق نحو عامين .

ووصلت الحملة إلى « عوبدوكورو » ، واختارها يسكر عاصمة للمدريه الجديدة
« خط الأسنواء » وفي ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ احتفل برفع العلم المصري على عاصمة
المدريه الجديدة .

كان يسكر في كتب الاسماعيلية .

في ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ ، كان كل شيء قد تم . وكان اللقمات يسكر قد نصب
صاريا لرفع علمه الراية في أعلى نقطة تشرف على النهر ، وكانت كل شجيرة قد أزيلت
من هالك ، فبدأ الميدان طليعا مكشوقا ، وكان الجنود قد استراحوا يومين قبل ذلك في
عوبدوكورو وعسوا نيامهم ، ونظفوا أسلحتهم ، ثم ساروا في الساعة السادسة من صباح
٢٦ مايو حتى وصلوا إلى ذلك الميدان ، وكان عددهم ١٢٠٠ جندي ، معهم عشرة مدافع
حالية يبيع ورن قديمة كل منها ندية أيطال : ربع رطل .

« وتقدمت راكبا حتى وفقت تحت الراية . ووقف الجنود شكل ثلاث أصلاخ
من أصلاخ مربع مسطيل ، أما الصنع اراعة ، وهي الجهة المفتوحة من المربع ، وكانت
مواجهة للنهر ، وقد وقف فيها جنود المدعية عناقهم العشرة . ثم قرىء المنشور الرسمي
بعد سفع الصارى لعد للراية ، وجاء في ذلك المنشور وصف صم تلك اللاد إلى مصر
باسم سمو الخديوى ، وعند بلاوة آخر عبارة ، رفعت الراية إلى قمة الصارى ، فحدثت

تحمي في ميث نسيم ، واستل الصراط سيوفهم خيوه ، وحياه الخلود أيضا رفع سيوفهم
ورجال المدفعية باطلاق مدافعهم »

وقد اسمى المرصويل بيكر « عوندو كورو » باسم آخر هو الاسماعيليه ، ييماً
باسم اخديوى ، كما اسمى أول محطاته بالتوفيقية على اسم وفي العهد

وأخذت الحمة ترحف حوياً ، وقد كان الدعر الذي شرته معادها انغرية بين
روح هذه المناطق سبباً في إدعائها باطلاعة تسلياً ، أو بعد اصطدامات صغيرة . ومعدات
الحملة كانت الخيل التي لم يرها أهل هذه المناطق ولا عهد هم بحيران اليك له سرعتها ،
والسابق التي تقتل حصصها على مسافة كبيرة ، وهذه السمن النجارية الصحة التي تسير
في الليل وكأنها القرى المتحركة يتصف عددها الدخان والأصوات العرسة المدكرة التي
لا تشبه أصوات أى حيوان مائى أو أرضى عرفوه ضول حياتهم ، أو سمعوا عنه من كياتهم
والسبين من أشياحهم .

ومن أمثلة المعرك الصغيرة التي دونها بيكر في تقاريره ما حدث للصاح عبدالله امدى
المدساوى عند « لا بوره » .. قال

« في ليل ١٧ فبراير سنة ١٨٧٢ م ، بينما كان الصراط ولعساكر عارقين في نومهم
انقص على العسكر عشرة آلاف من الأهالى ، ولولا نقطة حدى أو حدين ، وعدم
استسلامهم للوم كرفقائهما مدح الجيش رمنه وقد أدرك الجند الدعر لأول وهمة ، فولوا
الأدبار ناركين اندفع بين أيدي قائل الدارين ، غير أن عبدالله امدى المدساوى ،
والصراط جمعوا شتاتهم فادروا المقتار ، وحصروا العدو بين نارس ، واستردوا المدفع ،
ورموا ذلك العدو بعض مقدوعات مه ، فلم يسعه إلا أن يرتد على أعقابه »

ودخلت الحمة أرض « أويورو » التي يحكمها ملك من الزوج اسمه « كاريجا » ،
وتقع عاصمة هذا الملك ، واسمها « ماردي » على مسيرة ٥٣٥ كيلومترا من الاسماعيليه

— أو عدوك و كما كانت تسمى وأهل هذه المناطق كما يعرفون لسر صمويل بيكر من راحة ساقه كشف به هذه الماشق .

وأرسل الملك « كاريجا » إلى اللجنة المصرية هدية من حبوب ومور وست عرات ، وفيه زر السرموويل بيكر ، زيارة رسمية ، في موكب عظيم تقسمه الموسيقى ، واستقبلهم الملك في . له الرسمى ، وكان مؤلفا من حلة حميلة من قشور الشجر محططة محطوط سود وبعد ما رآه الملك الرارة نصب له مندوب الخديوى سرادقا صحرا ، و أمر يعرف الموسيقى وسمعت على البعد أصوات أبواق وقرعت الطبول ايداء بوصول الملك . وكان يسير محطى « مكينة » عربية ، إلكل يمشى محاولا تقليد الررافة في حطواتها الواسعة . وحس في قلق على المقعد الذى أرشد اليه ، وهو ينظر في دهول إلى المظهر المحصنة من حوله . ولما قدمت له القهوة واشربات ، أمر اثنين من أساعه شربها ، لأنه حسب أن السرموويل بيكر دس له السم فيها . ولكنه قبل ساعة على سبيل اهدية

وقد أقمت محطه فحمة صمت فيها مقاطعة ايور و إلى الترح المصرى ، وذلك في ١٤ مايو سنة ١٨٧٢ ، ولما انتهت الحملة أرسل الملك « كاريجا » هدية محكومة من ١٢ عرة على سبيل الرضاء والشكر .

وأرسل الملك « متينا » ، ملك مقاطعة أوغندا بمقدم الحملة المصرية ، فرار رساله السرموويل بيكر أكثر من مرة ، وحموا معهم رسالة باللغة العربية ، وكان الرسل يعودون إلى سيدهم محملين بالهدايا لهم والملك

وقد انتقص الملك « كاريجا » وناصب الحملة العدا ، على ارعم من حصوله على صندوق موسيقي كبير يدار باليد ، وأب الأهلين على الحملة ، إلا أن فائد الحملة كان يصحح الأمور بقدر الامكان .

وكان الخديوى اسماعيل ولى هذا العمل باهتمام رائد . كتب مرة إلى بيكر يقول :
« لئلا وصفت الآن إلى بلاد حصنة جميلة ، وحولك شعوب قد أثار عدواها

وشكوكها جماعة البخاسين الذين قصيت عليهم. على أن وسائل اتصالك بالخرطوم عسيرة على طول الشقة بسبب وسبها لذلك أرى من الحرق أن نوالى الزحف، وتترك وراءك قبائل لم تتم احصاءها بعد، ولا هي تثق بنا. فقف في «عوبدوكورو» وحسن موقعك، واشرع في عملك، وابدل جهبك لنسط أعراصك برؤساء القبائل»

وفي تعليقات الخديوي ليكر:

«أود أن أعرف ما هي مواد المقايضة التي تسير الوطيين أكثر من غيرها. ثم إن معك المهندس «هحسوهام»، ولكني لا أظن أنك تستطيع الاكتفاء به وحده، وعليه فسأنت إاليك بمهندس آخر يعمل تحت إمرته. انبحث في كيفية تسهيل وسائل اتصالك بالخرطوم. لقد أخضعت قبائل الناري، معاملهم بالحصى حتى يثقوا بك، ويعلموا ما تريد أن تلقهم به».

«أني أعلم أن هذا العمل المادي الأدنى لا بد أن يستغرق زماناً طويلاً، ولكنه متى أثمر، فستكون قد شغقت لنفسك طريقاً سهلاً من «عوسدوكورو» إلى البحيرات وإن كانت بعدة عك بعداً شامعاً»

«لقد رسمت لك خلاصة الخطة التي أرغب منك أن تسير عليها. إلا أنني أدع لك رسم الوصل التي تؤدي إلى تحقيق غايتنا. وعبارة أخرى لا تواصل الزحف إلى الامام، بل استعمر اسلاد، وعلم السكان، واجعل القبائل موالية لك، ومتى أبحرت ذلك، فواصل الزحف إلى الامام»

وبعد عام من هذه الرسائل انتهت مدة خدمة السر صمويل بيكر، وكان عقده لاربعة سنين، ومرنه ٤٠ ألف جنيه في المدة كلها. وقد كتب للخديوي تقريره عن مهمته، ورد فيه:

«مولاي:

«أشرف بأن أمدى بسموكم أنه مع صغر الخطة العسكرية المسيرة تحت أمري، قد

صممت إلى مصر حاسماً كثيراً من أواسط أفريقية ، وعليه فإن ملك سموكم يتبد الآن إلى
حط الاستواء ، وقد عادت تلك البلاد في حالة حيية ، وجميع الصباط والجنود الذين معي
هم على أحسن حال من الصحة »

وكان تاريخ هذا التقرير يربو سنة ١٨٧٣

ونشرت الوقائع المصرية في هذا الوقت :

« حصر لمصر السير صمويل بيكر ، ورقاقؤه بعد اكتشاف بحيرة « أوكر يو » ،

التي سميت في بعد « فكتور يا يارا » التي يسمد منها النيل الأبيض »

وقد ورد في أساء العام السابق أن الميرالاي رؤوف بك^(١) اعائد المصري للحملة

اختلف مع السير صمويل بيكر ، فأمر الخديوي سعيد فائد آخر مكانه . وكشف أمين

باشا سامي سر « الخلاف والسافر » في كتابه مصر والليل ، فقال إن رؤوف بك اعترض

على تسمية البحيرات المكتشفة على مصر فكتور يا يارا ، وألبرت يارا ، بدون

أن تسمى باسم اسمعيل باشا ، وكان هذا هو سبب استعائه .

ودكر الأمير عمر طوسون أن عقبات ثمة بيكر باشا بلغت ٨٠٠,٠٠٠ حية

ويظهر أن دائي الخديوي كانوا لا يرجحون « استمرار اتفاقه على هذه الحملة الحيوية

الخطيرة : فأننا نجد في إحدى الرسائل إلى السير صمويل بيكر :

« ما أظنك تجهل « عزيزي أن السودان يتطلب عقبات هائلة ، لا يحار الأعمال التي

لا أعى له عنها كالكك الخديوية ، وغيرها من المرافق العامة . ذلك أراي مصطراً أن

أرجو منك أن ننظم الأمور بحيث يمكن حصر النفقات وقصرها على ما لا أعى عنه

وإني أطلب منك هذا لكي تنسى اشجار الأعمال العامة الأخرى التي تقتضيها

مصلحة السودان »

(١) تول رؤوف بك حكمهديرية المديرية لمدة عام بعد عودة بيكر ، ثم عين حكامراً عاماً

للسودان ، وفي عهده تحرك ثورة المهدي ، وهو الذي تولى رئاسة المحكمة العسكرية التي حكمت على
عراين باشا بالاعدام .

وعلى الرغم من ضغط الدائنين على الخديوى فإنه لم يعتمد إلى رهاق هذه الشعوب الخديفة التي دخلت في حكمه ، بل تابع اتفاقه ، وصبر صبرا دفع ثمنه عرشه ، ولكنه مع هذا أقام أرسح القواعد لنشر أصواء الخصاياه في السودان قال في رسالة له إلى حكام السودان بتاريخ ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٩١ . وهو ناقش الميراثية :

« لزم منكم الاعتنى ، و سبل المحمود في احرى الوسيط اللازمة لتقدم وسير أحوال الأهلى ، وتسهيل سداد الأموال بواسطة التأكيد والتنبيه على الحكام والمأمورين باستمرار شوق وترغيب الأهلى في تسخير الرعايه ، والأحد في الاستيفاء التي تترتب عليها ثروتهم وسهولة تدية المقرر عليهم ، حتى إذا لم الخلل لعرض شئ ، من الحكمارية فيما يتعلق بمأمور به خط الاستوى ^(١) أو غير ذلك فيسدرت رده ما نديم من أصل الباقي من صافي الإيرادات . ألح »

والحقيقة أن اسماعيل باشا كان شديد الشغف في ذلك الوقت بمد سكة حديد تربط السودان بمصر ، ويحد في مراحله الكثير من المميزات التي بذل على تمهيده لهذا العمل الخليل الذي لم تسمح الظروف بأتمامه ، ولو كان الخط قد مد ، لما استقل المهدي السودان وبالتالي لما صنع السودان من مصر .

وتابع الخديوى اسماعيل اهتمامه باستمرار الكشف عن هذه المناطق المحبوبة ، وصمها إلى ملكه . وقد اتفق مع الكونسل غوردون لتولى العمل مكان السر صمويل بيكر وصدر أمر تعيينه في ٢ محرم سنة ١٢٩١ هـ (فبراير سنة ١٨٧٤) ، نصه :

عربو قونويل غوردون . مأمور . حبة خط الاسوى

أنه بحسب المشهور فيكم من اللياقة والاهلية ، قد عيب كم مأموراً على حبة الاسوى الدفعة للحكومة ، وصار قرار هذه الحبة من بعية حكمارية لسودان ، وصار دئمة

(١) أصبح اسم الحجة و خط الاسواء ، بعد أن كات عنه الذين لايس في بدء تأليفها .

بمفسر غير ناعمة للحكمذارية . انما كان لوارثاتها التي تقتضي الحال تداركها من طرف
الحكمذارية — هذه تجري تداركها بمعرفة الحكمذار ، وصرف ثمنها من طرفه مقابلته
بحاسبة الدية منك . : الح

ثم حتم اخديوى أمره بقوله : « وعلى هذا ، وما هو منصور ، مسكن من حسن لغيره
والأهليه ، مؤملين الاستحصل على ما فيه عمارية حداث حط المستوى الحكى عها ،
وراحة أهاليها ، وحسن نوطهم ، وتأنيبهم على الدحول في سائر الاسانية شيئاً فشيئاً ،
كما هو مطلوب »

واحتار عوردور القانقنم شبيه نوح ، وهو صابط أمريكي من العثة الأمريكية (١)
بالجيش المصرى ، ليكون أركان حربه . وقد قص هذا لصابط الأمريكي مقابلته للخدوي
في كتابه « حياتى في أربع قارات » قال :

« كان الخديوى اسماعيل يدرع قاعة الاستقبال بخطوات واسعة ، وكان متهيئاً
متهيئاً عصياً عند ما دحمت عليه وبعد النجاة قال له الخديوى ولكن اصعب إلى

(١) ذكر كرانس في كتابه عن اسمعيل ، أن الخديوى رأى أن سدعى عدداً من كبار الصباط
الأمريكيين لسطيم الجيش المصرى ، لاعنفاده بأن أمريكا ليست دولة استعمارية ، تستغل هذه الفرصة
بصحتها . وقد تعقد مع ثلاث حركات ثم لورخ وسبلى وستون . وعشرين كوبولاً أوهم شاله
لورخ . وسبعة عشر صابطاً من رب أخرى . ونس عهد استخدامهم على « أن بشير والخرى على أى
عدو للفرق الأول ، كائناً من كان ، وأن يواصلوا تلك الحرب بكل شدة » وكان « مهموماً أن هذه
الحرب ستكون بين مصر وتركيا . وهكذا أنهى اسمعيل عهد بصاط الفرنسيين ، وحدث من يعود
الصباط والمستعدين الانجيز باضافة هذه المجموعة الكبيرة من كبار الصباط الأمريكيين اليهم
وقد انتقد عربى باشا في مذكراته خطة هؤلاء الصباط الأمريكيين في حلة الخيشة ، انتقاداً مرأ ، حتى
اتهمهم صراحة ما يشاء أسرار الجيش المصرى الملك يوحنا عن طريق أحد القسس الذى كان يتردد على
القدسيين ، وذكر أن هؤلاء الصباط حملوا طرأيتهم الرسمية ، ولبسوا قطعاتهم . ثم رتلوا في أعناقهم
« مديون بقاء إشارة إلى أنهم مسيحيون ، يأمنوا على أنفسهم من الخطر » وذكر عربى باشا أن
الأخطاء السبعة من هيئة قيادة الأمريكية كانت في هرعة مكررة ، وعلى الخديوى اعتمادها عليها .
ولكن يظهر من الدور الذى نعه السكوليين شأنه لورخ في أعلى الليل أن هؤلاء الصباط ، أو
بعضهم كانوا مخلصين في عملهم .

ما سأقول . لقد وقع الاختيار عليك بصفة رئيس أركان حرب لعدة أسباب أهمها حماية مصالح الحكومة . واعلم أن القوم في سدر على وشك أن يجهزوا حملة تحت قيادة رجل منسّر بالخسنة الامريكى يسمى استابلى ، وهو في الظاهر ذاهب ليميد الممونة إلى الدكتور لفمحسون ، أما في الناضن والحقيقة فلرفع النعم البريطانى على أوعدة . فعليك الآن أن تنهب إلى عوبودوكرو ، إلا أنه لرمك ألا تصيع شيئاً من الوقت ، بل يعم في الحال أوعدة ، واسق هناك حملة الحلثرا ، واعتقد مخالفة مع ملك تلك البلاد . ومصر لانتسى لك أسد الدهر هذه اليد وهذا الجليل . اذهب ويسر عفتك النجاح إن شاء الله» (١)

وهكذا نجد أن الساقى بين القاهرة ولندن للوصول إلى آخر المانع قد بلغ أشده ، وحى وطيس المعركة ، حتى أن لوضع يصف الحديوى بهذا الوصف ، وهو أنه كان عصبياً متهيجاً ..

ومحمدى أوامر الحديوى بعد هذا كتابا إلى الملك متيسر صاحب أوعدة بتاريخ ١٩ رجب سنة ١٢٩١ هـ يقول له فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« أما بعد حمد الله واصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ، بحضكم مريدا السلام والتحية ، ونخبركم أنه عرضت لدينا مكاتباتكم الى حررتوها إلى الكولونيل عوردون مأمور حظ الاستوى ، وإلى رؤوف بك قومندان العسكر ، وعلمنا الهدية التى أرسلتموها ، وحصلت عندي السرورية ، حيث شرح الله صدركم للإسلام ، وجعلكم من أمة سيدنا محمد خير الأنام . وواحب علما يسعافكم في إبعثت العلما الديبر طسمنوم لتعظيم الديانة ، وبعد نريجه يرسوا لطرفكم ، رادكم الله توفيقا ورشادا ، وهداية وسدادا ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته »

(١) نص هذه المقابلة في كتاب مديرية حظ الاستواء للامير عمر طوسون باشا ص ١٢٦ الجزء الاول.

وقد أحسن « شاليه لوح » أداء المهمة التي وكلها إليه الخلدبوى في أنها أن وصل إلى « عوبندوكورو » حتى رتب مع رؤوف ملك القائد العسكري ارحلة إلى « متسا » حيث أوعده ، واستغرق سفره مع حارسيه المسلحين ٥٩ يوما حتى فب أهوالا من القبائل المعادية. ووصف ارسول مقاتله متبسا بقوة - كما ورد في كتاب مديرية خط الاسواء .

٥ ومتبسا هذا رحل ناهر الخامسة والثلاثين من لعمر طوبيل النجاد ، بس الملاس العربية التي يرتديها عمية العرب ، و تقبل حبا ما تركي محلي بالذهب أهده إليه سلطان زنبار . « وقد وحه شاليه لوح كلامه إلى الملك فأنادى إنه قدم بذن «شا عوبندوكورو » من قبل سلطان مصر الأعظم ليسلم على ميت أمريقيه العظيم ، ويعبر عما سكن له في قبه من حاص الود ، فقبل هذا الخطاب نصيحات الفرح من جميع الحاصرين قائلين : « كوريجي ! كوريجي !! » ومعنى ذلك : مرحي !! مرحي !! وحر الحاصرون ركها وجثيا مشنكي الأندى صرحين « يا ربح .. يا ربح !! » وهي نحية شكر للملك لأنه أحصر لهم أميرا بلغ مهابة اعظم . لوبه أبيض !

« وبنى هياكل المطر يكاد يكون هريا ، ولكن سرعان ما تبدل بمصر آخر مروع وذهيب للدرجة لا يصير لها . ذلك أنهم أحصروا ٣٠ رجلا مكسين بحبال ، وقصروا رؤوسهم من أحاسيسهم احتفاء بقدم ارسول الأبيض ومع أن هذا اسير مع من شاعته منذ يستقر القلوب اصحريه ، فان « شاليه » رأى منه مكرها على كبح حناج مشاعره ، وأن بس منه إلا أن يظهر بأنه غير مال بما رأى ، يد أنه و صدرت أى إشارة بلوح من حلاله الاشمزار ، تعرض دانه للسخرية وأصابع هوده .

« وانتهى الاستقبال عند هذا الحد ، فهض شاليه لوح وهم بالانصراف ، إلا أن متبسا أخ عسه صالبا منه أن يريه بسده المئة ، فصحه إلى داخل القصر (وهو من أعواد البت وفروع اشعر) ، وأحاط به وثلك النسوة ، وأخذوا في فحص كسوته ، ورحاها المدهة . »

وفي اليوم التالي ، أحفل في « القصر » بتقديم هدية الخديوي لمليسا ، وكانت مكتوبة من ملابس « أهية الألوان » عقود ودل وأساور ومراة كبيرة مذهبة وصندوق موسيقا وسدقة . وقد فرح الملك بالهدية فرحا عظيما ، وسأله اذا كان يستطيع - من أجل خاطر حلالته - أن يقتل له « كاريبي » ملك أوبيو بسدقة مائة ١١

وحجم الاحتمال بدمج عشرة رجال اكراما لحمة الهدية . وأقام « شايه وضح » بصحة أيام في صياقة الملك ، ثم استدعاه في رثارة البحيرة لعطيمة (فسكتوري) وبعد مسيرة ٣ ساعات أشرف من فوق رابية على صبيح مرشرون ، وعلى ماء بحيرة الرائق الصافي الهادي ، الذي يشبه مراة عظمه من القصة -عكس عليها أمواج من الضوء فسلا لأ دلت الماء تحب وضح شمس الخوب

وطل رسول الخديوي يكشف سواحل البحيرة وسجر روارق الروح على صفحاته . وقد قوبل في سياحته على البحيرة بهجمات من الأهالي ، ثم شرع في العودة من طرق مخوفة بأعظم الأخطار . وما بلغ عوندوكورو قائله « عوردون » أعظم استقبال ، وبعد أن سمع تقريره عن رحلته قال له « لقد عملت فوق ما عمل أي سار آخر في هذا البلد » (١)

وقد سل عوردون مجهودات هامة لفتح الطريق إلى أوغنده وأشأ الخطات على طول الطرق ، وكشف حاضيه ، ومهد منطقة مكراما ، التي تسكنها القبائل المعروفة باسم « بام بيم » وهي أكثر القبائل وداعة وسكونا ، إلا أن مراحبا سحه إلى استجابة أكل اللحم البشري ، وكثيرا ما كانت وضع الحراسة الشديدة على تحريم حين مدون إلى القرى وبأسر الأطفال والصغار لعدم الخروج ، ومع هذا كانت غشس القوافل العائدة ، فيوجد مع كل عائدا دواع ، أو ساق بشرية محمأة في متاعه لاستخدامها إذا حلا الطريق من الرقاء !!

(١) التفاصيل الكاملة لهذه الرحلة المنشئة موحودة بكتاب شاليه لونغ عن رحلاته في افارات الأربع ، وفي كتاب الأمير عمر « مدرسه خط الاسواء » ونحس أن يرجع إليها لفاروق لأهميتها .

وفي النصف الأول من عام ١٨٧٥ أُوفد غوردون بعثة جديدة إلى ملك أوغندا
برئاسة المسيو ارست دي بلغون ، وكانت الرحلة في هذه المرة أسهل ، زيادة أمن الطريق
الذي شه وجود اضطراب انصرية في أماكن كثيرة . وعند وصول البعثة إلى مصر بهدوء
إذ وجدت أوربيا عند الملك اريحي ، طهر أنه الرحلة ستأمن الذي كان الخديوي يحشى
وصوله إلى هذه المناطق .

وقد أدى المسيو ارست مهمته ، إلا أنه احتلف مع ملك أوغنده لأن متيسا أراد
إبقاءه في خدمته فرفض .

وفي العام التالي سنة ١٨٧٦ — قام الجنرال غوردون بنفسه إلى حيد الاستواء ،
وتمكن من أن يحقق اتصالاً بين بحيرة فيكتوريا ، وبحيرة البرت ، وطريق انصاهما بالليل .
وكانت سياحته على أعظم جانب من الأهمية ، إذ رسم الكثير من الظروف المانع للبلد
وفي هذا الوقت طلب الملك « متيسا » أن يقيم في عاصمته واسمها روباها . حامية
مصرية ، في الممر بين هلال نكة مؤقتة ، وأقام فيها ١٦٠ جندياً تحت قيادة نور محمد
أحمدى عرروا فيها بعد ٦٠ جسداً .

وهما ترى غوردون يقيم في مروي ، ويدل من أن يعرر حامية أوغندا نزيراً جدياً
ويعمل على إلحاحها بالتخلى المصري ، راء يصدر الأمر بسحب الحامية ، ويقترح على
متيب أن يستقل ، وأن يوفد سفراءه إلى الخديوي .

وطهر أن نشاط لندن بلغ شدة في هذه المنطقة ، فعبر زيادة ستالي ، قرأ غوردون
رسالة بعث بها إلى ارسالة ديبية وصلت إلى أوغندا يقول لها فيها

« إن المصريين أخذوا يديرون للاختيار أكتافهم ويولونهم اعراضهم ، وأنه أصحى
من المحقق أنهم بن يصروا طويلاً على ما يرسم لهم من الخط ، إذ أن كل حادث صغير
تحدث نذكر في نفوسهم نار الكراهية للاختيار ، ويريد في شأنهم لهم هذا
الاختيار في رر نار والخشة ، وإرسالهم الآن أيضاً هذه البعثة التي ينبغي في كيفية أليها
أنها بعثة لا دينية أكثر منها دينية ، كل ذلك مما يريد في حياء المصريين هم »

و يظهر أنه فهم من مهمة البعثة أنها ستعرض ميسا على قطع علاقاته بمصر ، فقال :
« والله مهما كانت حدود ميسا منظمة ، ومرودة بالسلاح (أى سلاح ١١) فإن حدود
مصر لا نلت أن تنتصر عليهم ، ولحق نصوفهم المربمة »

وهكذا أخذ يار الحوادث يضطرب فعد أن كاد المسجد الذى أمر الحيدوى
ببنيانه فى عاصمة أوعدده يتم ، أوقف العمل فيه و بعد أن كان العالم الدينى يقوم بمهمته ،
سحب بحجة أنه ارتد عن الاسلام وتنصر !!

و بعد أن أقام عوردون فى مأموريته هذه بمحكمة ارية حط الاستواء عامين وشهرين
عاد إلى القاهرة حيث قدم استقالته فى ديسمبر سنة ١٨٧٦ .

وقد نشرت الوقائع المصرية فى ٢٠ رمضان سنة ١٢٩٣ (٨ أكتوبر سنة ١٨٧٦)
الكلمة التالية :

سبق فى الصحيفة أن حصرة سعادتو عوردون ناشأ مأمور جهات حط الاستواء
مهم غاية الاهتمام فى استكشاف بعض جهات مركة يارا . والآن بلغ أنه عاين أكثر
أعمال من سواحلها ، وعين قطعاً متعددة بالجهات اللامعة لدمين النجار والسياحين .
وحيث أن صفة استكشاف أحوالها الجغرافية حرية بالاطلاع عليها ، ناسب المبادرة بذكر
بعض ما يتعلق بها فقول : ان (يارا) هى فى اصطلاح الروح المتوطنين بجهات حط
الاستواء اسم العذير الكبير الذى هو منبع النيل للمدرك ، وموقعها الجغرافى يحاذى خط
الاستواء ، مساحتها عبارة عن ٣٠٠ ميل كأنها بحر (مساحة البحيرة الحقيقية ٦٩٠٠٠ كم.م .
مربعاً) ، وهى أوسع رك المياه العذبة فى الكرة الأرضية ، وفيها حرائر متعددة معمورة ،
وسكانها من الروح كما أن سكان سواحلها كذلك . وأهلها يحصرون قطع الخشب
العظيمة ، و يحصونها سماً يسافرون فيها من جزيرة إلى أخرى للتجارة ومعاوضة أحد

الأصناف بمعصها ، وحلها فيها . ثم فأت الجريدة . ولما كان الليل المذكور بمثابة الروح للأقطار المصرية ، طمنا رعب كثيرون من الملوك والحكام الماصين في استكشاف سعة ، ولكن لعدم تعيق البلاد السودانية بالحكومة المصرية قبل الآن ، وهو ر أهلها ووحشهم لا ييسر لأصحاب المرور داخل ممالكهم ، والحصول على ما ذكر . ويدعون كثير من الممالك السودانية في حوزة الحكومة السنية المصرية ، ووقوع الأتعة بين الأهالي في الحملة ، وإرادة استكشاف ذلك الليل ، تعين المرحوم (سليم قبودان) هذه التسمية للمهمة ، وتوجه إلى الخرطوم ومنها إلى خط الاستواء المذكور . خمس درجات ، فوجد مياه الليل في هذا المخل باردة من صخرات مربعة وجبال شاهقة ، فلم يتمكن من المرور تلك العين هناك ، فأكسى بما استكشفه في هذا المخل ، ورجع لتجوير فرقة استكشافية تسافر برا من « قوبدوقرو » إلى النبع . فهو أول من استكشف وعام ٧٠٠ ميل في مساحة المحر من الخرطوم إلى « قوبدوقرو » ثم اقتدت به تجار الخرطوم في الذهب والياباب ناسمن إلى تلك الجهات والاحتلاط بالقنائل الملوطة في السواحل ، والتعامل معهم . ومهد رال مخرجهم ، وأقادوا للحكومة السنية .



وهكذا مرت هذه انصور السريعة عن الرخف مصرى إلى ماسع النيل ، وعن وصول حيد القاهرة ، إلى جنوب خط الاستواء يرفعون اراية المصرية هناك ، ويعمرون على « عمارية » بلاد كما قالوا ، وإدخالها ضمن نطاق حكومة منظمة متحصرة .

وقد قيل ان أهم أسباب عزل اسماعيل من عرش مصر دونه التي . فغلب على القول ولكن يمكن أن يقال الآن ، ان اسبب الأول : والسبب الأهم هو هذه الدفعة القوية التي ركر فيها اسماعيل سلطانة على ماسع النيل ، ومحاولة تأمين هذه اسابع حملته الخشبية وبعثاته الأخرى في شرق أفريقية حتى يوحده مصر مبعداً على المحيط الهندي .

إذا كان هذا هو مذهب مصر في وسط أفريقه وشرقها ، فإن الثمن الذى دفع
دبونا باهظه مرهقه ، وتاجراً كان من أعز تبجار مصر عليها على أرعم من انتشويه
المقصود الذى أهالته أوربا على صحة اسماعيل في التاريخ ، لكنى لا ينسأ أساء مصر
إلى حقيقة نعرهه ومرامبه ، وينتعد منه الزمن عن الخوالدى عاش فيه ، وأراد مواطيه
أن تتاعوه فيه .

ما الذى حدث إذن .. ما الذى حدث حتى توفد القاهرة إلى الخرطوم ، مندوبا
من قديمها ، يقول باللسان الصريح والفصيح أنه أقبل لفصل السودان عن مصر ، وأنه
مهدى تحييت صاحبه الحلاله المنكهة فيكنور . إلى شعب السودان ، وأنها ستعمل على
أن تفتح لهذا الشعب طريق الخرج الذى ساء حلاتهم أن أهل السودان لا يتمكنون في
طرف الحرب الأهلية من تأدية فرصته !!



عرض ورد

عرض عوردون على المهدي أن يكون سلطان العرب ، وأمل أن تكون صلته
بعظمة السلطان الحديد حصة

وعرض عوردون على عوض الكريم أن يقيم قبيلة الشكرية لقوية التي
قيم عبد سار بين سهر عطاره واسيل الأرق ، أن يكون مديراً للخرطوم ، وأنعم
عليه ملقب باشا

أما المهدي فقد رد يدعو عوردون إلى الاسلام وأما عوض الكريم ، فقد استدر
عن بولي هذا المنصب الكبير عندما علم أن الحكماء الجديد أقل من غيرهم دعم حكمه
ورسالة المهدي هامة حافلة ، فتطفت منها أهم فقراتها .

● الحمد لله إنا إلى الكريم ، ولصلاة على سيد محمد وآله مع السلام ورد
من عبد المفتقر إلى الله محمد المهدي من عبد الله إلى عزيز بريطانيا ، ولخديوية
عوردون باشا

قد وصفا حوائك ، وفهم ما فيه ، وإثبت نعم إرادة إصلاح المسلمين ، وفتح
الطرق لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، واتصال المودة فيما يسا ويسكم ، وحل
المسيحية ، من النصارى والمسلمين . وأن محمدي سلطانا على كوردستان . فاقول والامر لله .

● إلى قد دعوت انفساد إلى صلاحهم ، وما نرهم من رهم ، وأن يعرفوا من
الدنيا لقانية إلى دار القاء ، ولينموا ما يصدقهم في آخرتهم . وقد كتبت إلى حكماء
الخرطوم وأنا بحرية « أبا » بدعيتي إلى الحق ، وأن مهدي من الله ورسوله .
وست في ذلك تمثيل ، ولا مر بد ملسكا ولا حاهنا ولا مالا ، وإنا أبا عبد أحب

المسكة والبككين . وأكره الصخر وتعمير السلاطين ، و جوههم عن الحق انبيس ، لما
 حلوا عليه من حب اخاه وبنائ والسين وهذا هو الذي صدمهم عن صلاحهم ، وأخذ
 نصيهم من هم ، وحدوا الفاني ، وتركوا الباقي ، واشتعلوا عما لا يكون من الفانيات ،
 ولم يسمعوا قول الله ، ولا رسوله ، ولم يدركوا حبر القرون الذين لم يعي عنهم ذلك شيئاً ،
 وسموا على قدر الذي تمنعوا به فايدى الله تعالى بالمهدية لسكري لادلائهم إلى الله تعالى
 ● .. وكيف من يكون على خلاف طريق النبي صلى الله عليه وسلم ، يفتح باب
 راحة قبره . ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ممن يرعب راحة الكلاب ، كما ورد أن
 الدنيا حيفة ، وصلاحها كلاب . ولم يكن يرعب من عبه غير الله ، وحى الله ، وأعرض
 عن كلامه ، وطرد متاع الحياة الفانية ، فاكنت شقيقة على المسلمين ، وبالأولى اشفق
 على عسك ، وخلصها من سخط حالقها وقومها على اتباع الدين الحق ناسع سيدنا
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● . اعلم أن حرب الله وأخص انك ، ودينك عما شاركت به خالقك ، فادعت
 منك عبادة وأرضه مع أن الأرض لله يورثها عباده اصحابين . وأما المسيحيون
 والمسيحيون الذين دعوا إلى إطلاقهم اليك ، فانا أريد لهم الصلاح واسمع عبد الله
 وفي دار الأند كما أريد لك وسكافة عبادة الله ، فلا أبعدهم من حبهم إلى محبتهم ، فان
 الله قد أيدى رحمة العبد ، لا تقدم من الهلاك الذي هم واقعون فيه ، ولا رحمة الله
 بظهورى فيهم .

● .. ثم ان مثل هذتك عددا كثير ، ولكن أعرضنا عنه ظلماً لما عبد الله ، وأقول
 في ذلك كما قال سليمان عليه السلام للقيس وقومها « أتمنون بمال ، فما آتاه الله خير مما
 آتاكم ، بل أنتم تهديكم هر حون . ارجع إليهم ، فلأبيهم بخود لا قل لهم بها ، ولنخرجهم
 منها أدلة وهم صاعرون »

● واعلم أنك إذا آيسا مسلماً نزيك وتركك من النور ما مطمئن به فلك ويرول به

طعمت في الدنيا وما فيها . ثم بعد ذلك إن لنا هيك حيراً وصلاًحاً لتسليين ، ولبنا
كما بعد ذلك محمد خالد مدير (دارا) مدنياً ، فانه دُناؤنا و أي الحق وفرح سقات
عاية لفرح ، وندم على ما فات مما صيده من عمره في لفتي واطمان قلبه بالله ، واحار
الآخرة و وثق بالله ، ولبنا على داره .

وقد كتب لنا قبل ذلك عبد القادر سلطان باسليم ، فأكرمنا ، ولى الآن يريد
كمال تربته ، وهو الآن في حير كثير .

وكذلك السيد جمعه الذي كان مديراً للمعاشرة الآن أرسلنا إلى محمد خالد المذكور
يأتي به اليك لكتاب التربية والارشاد الخ

● وليكن معلوماً عندك يا حضرة الشان أن جميع الذين قدموا على يدي قد أندرتهم
أولاً اسديراً سيعاً ، وه هو واصل ايك امدار ولد اشلال بعد محاضته لي ، واصل
« هكس » نحوه عددة للعامة ، وحواب مخصوص له ولأ كاز حبشه وقد أرسلنا
إلى شاب الأيص بحواب ، فقبل رسنا ، و بعد أن وقع في دنيا أكرمه وأعطياه حنة
حويه ليندح إلى انصدق مع الله ، ولا رثا مكرمه ، وعظمه ليتدى سا ، ويصدق مع
الله فيكون من الأصحاب الذين هم كاعس ، فلا يصدق ، ولا يرال يقع فيما يهلكه ونحن
نصيح عنه ، حتى أحده به فمات ^(١) ومع ذلك لأحل مديعته ومحاسنه مع أيا ما قد
أ . سحر بعد موته أنه عني عنه في الآخرة فصار من السعداء

● وبعد أن كرر المهدي دعوة عور دون إلى الاسلام ، أصاف حاشية فيها بيان هدية
منه « وهي حنة و داء وسراويل وعمامة وطاقيّة وحرام ومسمحة »

وكان يريخ هذه الرسالة حماد أول سنة ١٣٠١ ، وقد قدم بها رسولان من قبل المهدي
بحملان الكتاب والحرق ، فلما قرأ عور دون ما ورد بالرسالة هاج وعصب ، ورفض
الهدية مقدمه وكب إلى المهدي قول له

(١) هو محمد سعد باشا مدير كردغان . وأما الشان ، فهو يوسف باشا الشلالى .

« إني أدعوكم إلى السلم ، وأنت تدعوني إلى الحرب وأدعوكم إلى حقن الدماء ،
وأنت لا تخيل إلا إلى سفكهم . فأقول لك الآن ، لا بد من فبرك وكبح حماح طغيانك ،
ومهما يكن عداء من الأنواع فلا بد أن ترصخ صاعراً : « تهلك حيال قوتي الحكومة
الحديوية والدولة الانجليزية »



هل أراد عوردون الحرب فعلاً . وإعادة الحكومة المصامية الشرعية إلى سلطتها ،
أم كانت له مهمة أراد أن يتوصل لها بمهمة المهدي .
ولم يترك الفصل الذي عقده فوزي باشا^(١) عن « مأموره عوردون الحقيقية » شكاً
فيما قصد . ولم تكن خطته الأولى عند وصوله ماهرة ، ولا حدثه أراد منها غير طاهرها .
فقد ورد في مذكرات عوردون .

« أرى أن حكومة جلالة الملكة قد عقدت اسبة على ألا تأخذ على عهدتها المهمة
الكثيرة الصعبة التي عايتها وصع حكومة منظمة للأمم السودان ، وأنها بدلا من ذلك
قد صممت على أن ترد إلى هذه الأمم حريتها ، وألا تسمح للحكومة المصرية بالنساجل
في شؤون تلك الأمم »

لماذا صممت حكومة لندن على أن تسلك هذا السيل ، وأيد كبار رجالها هذه
الخطبة بتصرحاتهم وأقوالهم ؟ فقد ذكر جلادسون : « إن مهمة عوردون هي احلاء
السودان ، وإعقاد موطن الحكومة »

هل أرادت أن تشل يد الحكومة المصرية لكي تكون لها هي اليد الأولى ؟ هل
هذا هو السبب في الحملة العقيمة المكثرة على الإدارة المصرية للسودان ، وهي حملة طامة

(١) السودان بين عوردون وكنتشر ، ص ٢٩٥ ، وما بعدها .

ينقصها تماما جميع الوسائل والوثائق التي يمت أتحافات مصر باسمه للسودان ، وكلها أتحافات موحيد وخير شامل ورحمة ورقق بالمصريين وغير المدركين من سكان حوص النيل ؟ هل أرادت الحكومة الانجليزية أن تحول دون أن يحس هؤلاء السكان باسمي الحقيقي لكلمة « وطن » التي طام ترددت ونكررت في أقوال وكتابات وأعمال حكام مصر وحديويها ؟

على كل حال ، كانت مصر نفسها تمتنع بمحنة انقرو الأحيى في هذه الأيام ، فكل ما كان يدور للسودان كان في حيز الامكان ، وقد بدأ هذا التدبير بيهاد ستانلي إلى مظنة أوعدا وملكها في بعثة ميسية ، ثم يهاد بعثة من المشرير الانجليز نتابع العمل في هذه الأرجاء ، رعة منها في تطويق النيل من الجنوب (١)

طهر عوردون أن من المسحيل عليه أن يتفق مع المهدي ، أو يهادنه إلى حين . وتبين له في وصوص أن المصريين في الخطر طوم وفي غيرها من الناس التي لم تقع بعد في أيدي المهدي ، أصبحوا قاب قوسين من خطر الابادة ، وستقع مسؤولية هذه الأرواح الكثيرة في عنقه فقرر أن يشرح الحال بوصوح للقاهرة . للسر بارمح (اللورد كرومر فيما بعد) والحكومة المصرية ، وأن يطلب بحدة تنق طريق ررر مفتوحاً . وهي بحدة صغيرة ، يكفى وصول أول فوج مها لكي يتصنم أمرها ويصل إلى كل مكان منها حملة كبرى .

بعث عوردون إحدى عشرة رسالة رقية إلى السر بارمح بوصح هذا الطلب ، ويحدده ويقول : إنه لن يستطيع بعد اليوم أن يرسل القاهرة لأن الخط النعرا في سيقطع ، ولأن الخطر طوم نفسها منها حم قرماً

(١) كان ليل قد طوف من الشمال ماحتلال إنجلترا لمدينة بورس ، وكانت مسكا لتوكيا ، وذلك قبل مشروخ في « الاهنام » بحوب ليل نصع سيم .

ورد بارتخ . أو كرومر يقول لعوردون أنه لم يهجم دسائنه ، وأن على أسير
الخرطوم أن يكرطو بلا فيما تطالب قبل أن تطلبه . . ومن رسائل عوردون في أول
مارس سنة ١٨٨٤

« لم أن اعتقد كان الاعتقاد أن احلاء السودان ممكن لكن أقول لك انه من
المستحيل احلاء المستخدمين المصريين عن الخرصوم إذا ما تسعدنى الحكومة بالطرق
الذى أوصحه لها »

فأجابه اسر بايج .

« لقد وصدنى الاحدى عشرة رسالة التعرف المرسلة لى فى الأربعة أيام الأخيرة،
مخصوص مسائل السياسة العامة ، وإلى شديد اربعة فى مساعدتك بكل طريقة لكى
لم أتمكن من معرفة مآثره الآن ، وأرى أن أحسن طريقه هى أن يخصص لسنه
جيداً ، ويحترق تعرافنا تسصونه »

فأجاب عوردون بخص مطالبه فى ٩ كلمات هى .

« يجب على الحكومة مساعدتى ، ولا بد من إجابة مطي »

كف تصرف قبضل البحرا فى هذا الاستصراح ؟ كتب لى الورد خراييل
يقول : « إن البحرا عوردون والسر ستبوات يالحا فى وجوب فتح الطريق بين
سواكن و رر لنجاح مأموريتهم المحصرة . أما أن فلا يمكن تأييد مدحاء تتعرف
سيوارت من ارسل فرقة من الخيالة الانجليزية أم الهندية لى سواكن »
وكتب القصل فى رسالة شبة خراييل .

« أشرف بأن أحمر سعادكم أن البحرا عوردون كتب لى لتعرافاً بأن لو
أرسلنا ١٠٠ (مئة) حدى لى أصول وحلف نأمن من بكل حص ، ويكون فى حالة
اطمئنان كاسواح اسافرين فى اسيل وبتيج مهب تحول صغير ، أم أن فلا أريد مطلقاً
أن نحاطر بحياة فرقة صغيرة مؤلفة من مئة حدى فقط »

وعلق قلوبى بش على هذه الرسائل بقوله

« كان قصد عور دون بكل محاربه مع اسر بارح أن يكون ان ينج حكا به
و بين ، محتر ، ولما نعت سلطات قبل وصوله إلى الخرطوم شواهد أن الاضطرابات أهل
م كان بطن ، وأنه يرى أن لا مسودة له من تمحيص حكومه جلالة المسكة الصبح
سكين الاضطراب في السودان الشرفى ، وتقوية خطوط الاتصال بين مصر وشواهي
المجر الأحمر من جهة ، و بين حدود مصر من جهة أخرى . وحاول أن ينع اسر بارح
أن السودان منصر كل الاصر إلى اشراف احكومه الحديثة عليه لحقوق السيادة ،
وسأله ان ال امرمان الذى كان يحمله نأح يحتج على ان السودان وحوب اصروع مصر ،
فدهست مساعيه كلها ادراج ارياح ، وأصر اسر بارح على هذا الحطة اننى نوحاه أولا »
والحققة ان موقف عور دون كان عامصاً كل العموض ، فقد سار أرن الأمر في
ركاب النهضة المصرية ، وبعد رعبات الخديوى اسماعيل ومائة إلا أنه اضطرب عند
ما بين سياسة ملاده جبان أعالي النيل ، فاسحب من مهمته ، وعاد إلى القاهرة ، لكن
يعتبر بتقدير الخديوى ، حتى أنه احتاره برأس لجنة التحقيق الدوية في مدينة مصر ، وهذا
بدأ دور اصطدام شديد بين قنصل المحتر السير بارح

و وصف عور دون صورة من هذا الصراع بقوله

« كنت في الدوا لأرصى في إحدى غرف قصر المدينة التي أولاهي سمو خديوى
فوجدت بارح وما نبح في مدعمة الملكية أو ثأفى فرقه للمهندسين انكيين . وفيه
كان بارح في مهدد لكنت مشتركاً في حرب لقمه ولاحتى على وجهه مظاهر
الادعاء والفتامة فكلمنا قليلاً وقت به « إني سأفعل ما يطلبه منى الخديوى » فذهب .
« من هذا في مصحة الدائين » وبعد هزيمة افترف . وإذا كان رب يتخرج بالماء
« منى استطاع الانعاف مع بارح »¹

ترى من كان هذا المور لشخصي بين ارحين هو سب كيه مصر في السودان ،
وعبراً كرومر على التصحية بعور دون ، أم أن اسيسة الاسمية لعمه كانت تقصى

هذه التصحية .. الحق أنى أميل إلى وضع العاملين معاً في الميزان وإلا فهذا يصر
أصراراً كرومر على أنه لم يفهم ما ورد في إحدى عشرة بركة ، في حين أنها كلها كانت
معهومة واضحة وهي ترتيب مظاهر عسكرية تنفي خط الارنداد معسوخاً أمام عو دون
لكي يتراجع أمام المهدي وبقدر عشرات الألوف من المصريين

ومن الواجب أن نعش عن مركز اخديوي نوفي في هذه الأبرمة ، لقد كان حدث
عبد الثورة العراصة ، وكان مهك القوي مما حدث فيها ، وما حدث معها ، وما حدث
بعدها . ولكنه مع هذا عر عن آرائه بوصوح في حدث شر في الصحف قال فيه .
« لم يكن في استطاعتي أن أمدى دليلاً على حسن مقصدي بأحسن من تعيين
غوردون باشا حكاماً عاماً للسودان ، ومعه كل السلطة في عمل ما يراه ضرورياً
لإصانة انصرص الذي ترمي إليه حكومتى ، وحكومة خلافة الملكة ، حتى أنى قدته من
السلطة المحولة لى ، وتركته الحكم على الحالة ابراهه ، ولارب في أن ما يستطيع انباه
من الأعمال أحسن ما يكون . وقد قنت سلفاً ما يمكن أن يقترحه من الوسائل ،
وما يراه حسناً من النصرفات يكون الزامياً بالنسبة اليها ثم انى بعد أن جعلت عظيم تقى
هذه الكيفية في هذا الباشا لم أشرط عليه إلا شرطاً واحداً ، وهو أن يبدل عناينه فيما
فيه طيبه المنصرص المتمدة من أوربيين ومصريين »

ثم قال . « إن قننى بدوب عند ما أفسكر في الأوف الموعة من رعائى المخلصين
الذين نكبي غلطة منه هلاكهم . وانى لا أشك في أنه سبدل كل ما في وسعه خفس دماء
أكثرهم على الأقل . فان يحج عور الله في احلاء الخرصوم وأهم مواين السودان لشرقى قلبه
الشكر مدى الدهر على حجة رعيتى التى ترعد فرائصها من توقع ما يخشى حصوله بعدحين »
وذكر الحدوى أن على عو دون أن يعتمد على معوته ومعونة حكومه بقدر
ما تصل اليه بالامكان . وسكن هل كان في امكانه شىء والسياسة كلها ندر في لندن
لا فى القاهرة "

مذبذب تذبذب

أحد الوقت اثنين يصعب في اسسجاد عور دون وفي صمت لندن والقاهرة ، حتى قطع طريق رر بعد ثلاثة أشهر من قدومه ، وأحدث حلقة حصار المهدي نصبق على عاصمة النيل لثانية ، وبدأ أهلها يحسبون نوطاة الحالة احساساً قويا .

وكان أول قتال جدي في سبيل استيلاء المهدي على الخرطوم في رجب سنة ١٣٠١
إذ أمر المهدي فائده « أبا قرجه » بالتقدم إلى الخرطوم من جهة الخريف ، وهي قرية على
اسيل الأثرق تمتد عن العاصمة أربعة أميال ، ولما تكامل الجمع وانصمت إليه جموع
من الصواحي الحائرة رحف على استحكامات الخرطوم ، وطلت الحامية صمته لاتبج
على يراه حتى صارت على بعد ١٢٠٠ متر من سور المدينة ، حيث يوجد حقل صحم
من الأنعام ، أخذ يتفجر فيهم ، ثم تناولت سادق ومدافع الحصون المهاجمين فحسروا
أربعة آلاف قتيل عدا المحرقي .

ولم علم المهدي بما حدث ، فرر أن يوفد فائداً من قدير قواده هو عبدالرحمن النجومي
ومعه مسون ألف مقاتل ، وأصاف إليه عبدالله بن سور مع عشرين ألفاً ، وروده بمدفع
كروب ، وست مدافع حلبة . كما أصدر المهدي إدا عاماً لكل من يرغب في مراضة
النجومي من قتائل السودان الأوسط ، بأن يسير معه وكان عدة الحيلة في هذا الجيش
عشرة آلاف ، وحملة اسادق عشرة آلاف ، والساقون من حملة الحراب . وفي آخر
دي الحلة من هذا العام ١٣٠١ ، وصل النجومي إلى قرية الخريف ، ونولى لقيادة العامة .
وكتب القائد الحدد إلى عوردون بعرض عليه أن يسلم ، فرد عليه باشا الخرطوم

مستهرانا . وكان يعلم أن حشش الدراويش يعانى أزمة فى نموه بالأعدية بسبب فرار أهل
 القرى ، وقلة الحاصلات ، فإرسل عوردون إلى الحوى على سبيل الاستهزاء —
 أو الحرب المعنوية . . . أقفه من التقسيط ، لكي يريهم أن رآده أوفر ، وأنه لا يعبأ بحصاره
 هل كان عوردون فى نسر حقيقى ، وقد توفر له من الرد ما تكفى أهل هذه المدينة
 انكسرة وحاميتها ؟ الحقيقة أن عوردون كان فى أزمة محقة ، فقد ظهر أن كمية ابيدة
 المنتجة فى الدفان لم تكن صحيحة بسبب حياة الموطنين ، وانتهائهم فرصة الاضطراب
 «لأثرا» . كما أن معهدى نوريد العلال كانوا يأخذون أثمها ويهربون إلى المهدي أو
 إلى جهات أخرى

وقد أدت هذه الحاس إلى مضي الجماعة فى المدينة ، ووصفها فوردى باشا كما يلي :
 « كانت الجماعة مرة جدا ، حتى أن كثيراً من السكان تورمت أطرافهم وصار
 قوت الحامية من الصمم مخلوطاً مع حمار الحبل ، وقد شوهه أن الدير تقتنون بهذه
 الأصناف يصابون بالاسهال وتغادر على وجوههم أعراض تشبه أعراض مريض اليرقان
 الأصفر ، ثم تتناقص قواهم الجسمة فى مدة ثلاثة أيام تعقبها أعراض الموت
 «ومن عرائس ما رأيت فى حصار الخرطوم أن صياحي السمك كانوا يصطادون فى كل
 يوم نحو ألف قنطار من الأسماك ، وما سأ اخصار انقطع ورود الأسماك كما هب قوت
 من قعقة سادق وهرم المدافع ، حتى أن عوردون اشهى سمكة يعبدى بها قبل سقوط
 الخرطوم باربعة أشهر قد يتيسر الحصول عليها .

«وكما أن الأسماك هجرت سواطى الخرطوم ، فإن أراضي ساين لاند كانت تقوم
 بحاجة سكانها من القبول والفاكهة ، وفى ابن الحصار تلف كل مرروعاتهم ، ولم يست
 فيها شيء من القبول ، ودلت أشجار الفاكهة ونلاشت محصولاتها »

« وقد قامى عوردون من ألم الحماة ما فسد أصبر معدى من الحماة ، أو أحقر
 شخص من سكان المدينة ، فله اضطرب إلى العدى بحمار الحبل حتى أصب بذلك معدى

كاد يردى بحبائه . وفي ذات يوم جاءني الطبيب « أكسيدو » كي « اليوناني صيب
الحامية » وأخبرني أن مداومة عورددون على تناول الجمار لا تحمد مغبتها ، وأن صحته
الآن على خطر كبير ، ولا بد من مداراة عداء حمله ، فكنت أتوصل له بعد كل يومين
أو ثلاثة في دجاجة أو روح من الحمام الطاعن في السن .

« ودحات عليه مرة ، وقد قدموا له شيئاً من المرق ، وكان لم يطعم شيئاً من ٢٤ ساعة
فهم تناول من المرق إلا قليلاً . فالتحت عليه في تناول كمية تقوم بتعديته ، فامتنع وقال لي .
إني لا سهأت في نال ، ولا تميل نفسي إلى طعام ما دام جنودى يموتون جوعاً وإني
فعلت الواجب على والله بعمل ما شاء .

وكانت أسعار لقوت في المدينة حتى سقوطها كما تلى
« ثلاثين ريالاً ثمن الكيلة من العلة . وعشرة باللات ثمن الأقمشة النسيطة ، وخمسة
ريالات ثمن الأقمشة من اللحم المفري . وكان بعض السكان يدبحون الخمر الأهلية وتعاقب
الحكومة من يركب ذلك ..

في يوم العبد (آخر رمضان سنة ١٣٠١) ، أعلن المهدي أن أسى صلى الله عليه وسلم أمره
بالتقدم إلى الخرطوم ، وبشره بفتحها ، وفي اليوم التالي بدأ رحلته الشير ومن حوله جمع
هائل من الجنود والأصاير يرد عودهم على نصف مليون ، ولما وصل إلى مسيرة ثمانى
مراحل من الخرطوم أقام معسكر أهيك .

وفي محرم من العام التالى (١٣٠٢) ركر المهدي هجومه على أم درمان ، وسكن
مدفعية المدينة رده بحب ثمنوسطة . وكان يتولى قيادة الحامية فرح باشا ، وهو صابط
سوداني كان رتبة اليو رنشى ، وصل عورددون يرفيه حتى مسحه رتبة اللواء .

أرد المهدي ، ولكنه شدد الحصار على أم درمان ، ولما كاد ربيع الأول ينتهى

كان القوت قد مد عملاً من الحماية ، ولم يكن لدى عوردون في الخرطوم أى وسيلة
لامدادها سمويتها ، لأن الخرطوم نفسها كانت في محنة كما ذكرنا . وبعد تبادل الرسائل
بالإشارات ، مع فرج باشا ، حاول محاولة فاشلة في إخلاء الحماية بالسواحر ، ثم أوعز له أن
تسلم للمهدى . فطلب فرج باشا كتاب الأمان وفي آخر هذا الشهر (بوافق يناير ١٨٨٥)
دعا المهدى شخصه من حديق المدسة ، فقدم الصراط نحوه ، وترحل المهدى عن فرسه
وحس مع الصراط على الأرض ، وقدم لهم شرباً من العسل ، وأمر بأن يصنع فرج باشا^(١)
من أحد قواده و عد سقط ام درمن ركر المهدى كل جهوده للظفر بالخرطوم .

ومد وصول المهدى إلى صواحي الخرطوم ، وهو يتبادل ارسائل مع عوردون يعرض
عليه شتى العروص لتسليم المدينة ، ومنها :

١ أن يسلم عوردون المدينة ويسمح له المهدى بالعودة ، هو ومن معه من المصريين
إلى مصر ، بشرط ألا يحملوا معهم إلا أخف المتاع ، على أن يؤدوا أحر الخيال التي
تنقلهم إلى الحدود .

٢ أن يرحل عوردون بدون قيد أو شرط ، ويترك المدينة للمهدى .

وكان عوردون رد قائلاً : 'ه إذا وقع أميراً على حكومته نغديه بشري ألف
حبيه^(٢) . وظل يطاول المهدى ، وكان يقصد من استمرار المكاتبات أن يقف من
رسائله على أسماء السجدة التي كانت تشق طريقها في الليل لانقاده من الخرطوم ، أو رد
الحصار عنها . وكانت هذه الحملة قد سيرت في بعض سمن ، ولكنها كانت عاجزة تماماً
عن أن تنصل بالخرطوم أو بمن فيها . ولما وصلت طلائع كانت الخرطوم تحترق وقد
دح معظم من فيها .

(١) أحسن فرج باشا في خدمته للحكومة انصريه حتى يوم لتدليم ، ولما أسره المهدى ، أحسن
له بدوره ، وهو القائد الذي هاجم حدود الحبشة في عهد الخليفة عبد الله النعاشي ، وقتل النعاشي
يوجا ملك الحبشة ، وهرم حده .

(٢) ورد في رسائل المهدى رداً على فديه لشري أنب حبه : «أنت إن قلت تصعافها وبعثت
والا إن أردت أن تجتمع على الاغليز فدون حمة قصة رسلك اللهم والسلام »

ودكر سلاطين في كتبه «السيف واسر» وكان أسيرا في جيش المهدي « بعد
سنة أيام من سقوط أم درمان سمعت عويلا في المعسكر لم أسمع مثله منذ خروجي من
دارفور . وكان المهدي يجمع الناس من اطراف الخرطوم على الموتى أو القتلى ، لأهم في مذهبه
يدخلون النعيم . ففهمت انه لابد أن قد حدث شيء غير عادي حتى يحلف الناس أو اسر
المهدي . وكان الحراس المسكفون بحراستي يتطلعون لمعرفة سبب هذا العويل ، وقد
تركوني لهذه العاية . وعادوا بعد قليل يقولون إن طلائع الجيش الانجليزى التقت بالقوات
المجموعة من الدار والجبانين والدعيم وكمانه ، الذين كانوا يترقبون موسى واد حلو وهرتهم
في أوكلية ، وقد هلك كثيرون ولم ينج إلا عدد قليل عادوا وأكثرهم به حراجات ، وقد
فى الدعيم وكمانه قريبا . وقتل موسى واد حلو ، وعدد من الأمراء (لقواد) أيضا .
وبعد يومين أو ثلاثة جاءنا أخبار هرايم أخرى للبراويش . وعقد المهدي ومراؤه
محسبا للتشاور ، فقد رأوا أن كل ما جئوه من الانتصارات السابقة قد هت في خطر ،
حتى أن المحاصرين للخرطوم جافوا وارتدوا من الحصار . وصار القضاء على المهدي مسألة
يمكن انهاءها في نصبة أيام ، فيجب عليهم أن يحاطروا بكل شيء .. بهذا أرسلت
الأوامر لقواد الحصار أن يسعدوا الاسعداد التام نهجمة الأخيره .
هذا كل حال المهاجرين حول الخرطوم . أما انداقعون عن الخرطوم فقد ذكر ابراهيم
باشا فوري عنهم ما يلي :

« كان غوردون ومعه قناصل الدول واقفين على سطح اسراى يبطرون بالطائرات
المعطية إلى كثرة الدراويش الذين يجنارون اسهر ويلحقون بمعسكر اس النجومي ، وقد
استحووا من وقوف الناس في صعيد واحد أن المهدي لابد أن يكون في معسكر
اس النجومي ولا بد أن يكون قدومه شأن دى بال لأنه لم يقدم على معسكر اس النجومي
مدخل بام درمان .

« وفي منتصف النهار استدعاني غوردون إلى اسراى وأخبرني بما شاهدته مع
القناصل من كثرة احتار الدراويش الليل ، وانضمامهم بمعسكر اس النجومي ، ثم قال لي

هيا سا بطوف حول الخندق ، وتتقدم الخندق ، فرافقه إلى الخندق وقصبا أربع ساعات
في الطواف حوله ، وكان يشجع الحمود ويحثهم على المقاومة والثبات ، ويعددهم ويحصى
محنة الأسير في العدة ، فلم يلتفت أحد لأقواله ، وكان كمن يصرح في برهة أو يطلب من
العداء جدوة بار . أدان العساكر كانوا صرعى لا حراة هم

« فعدنا إلى السراي وقد أخذ الناس ما كل مأخذ ، واحتنع عنه فحصل الدول
لدى عودته ، وكان الليل قد أقبل وما تزال السماء سليمة بعبوم حجب نور القمر . فقال
غوردون للقاصد :

— لقد رأيتم تجمع العدو . واني شفتى الخامية ، وحدثت الحمود قد فقدوا كل
قوة وشجاعة يقدرون بها على حراسة الأسنحكام في هذه المدينة المشؤومة . واني موقن
سقوط المدينة قبل أن يسير الفجر . وقد كتب عملت ما في وسعي لإيقادكم من هذا
الخطب ، فتعاضدتم ، وأيتتم ، يتم قضاء الله عنكم . وإلى هذه اللحظة ، فاني أدعوكم
لإعداد ما اتفقنا عليه أولا . فهاهي الساعة ، فقوموا وسيروا بها ومعكم إبراهيم فوري كما
تقرر فلا عسى أن يقرن سعيكم بالنجاح ، وتقاتلوا الحمود الإنجليزية ، أما أنا فاني موقن
بعدم لقاءهم . فأحاوره بأن حياة الساعة مستحيلة لأن طوائى العدو قد تصاعفت ، وراى
عندها أصعافا على السرى رؤاه يوم الجمعة . وعلى ذلك فحين نأقرون هيا ، والله يفعل
ما يريد ثم هموا بالانصراف ، فصالحهم كلهم قائلا انى أرى إلى الله والعالم أجمع من
سعة أى كارثة تحل بكم . فقلوا نحن شهداء نقول فصالحهم وودعهم الوداع الأخير .
ثم استدعى غوردون إبراهيم باشا فوري وقال له .

— أنا موقن بوقوع الحادث الأخير على هذه المدينة في هذه الليلة . واني كما علمت
لم أذكر شيئا من سعي في سبيل إيقادها . ولكى لا أزال أشعر بتشكيت الصمير الذى
يؤلمى لتركى أهلى هذه المدينة الذين وثقوا بى ، وحاربوا معى ، عرصة لانتقام المهدي .
ولو لم أكن طول حياتى أطلب رضاء الله في كل أعمالى لانتحرت تخلص من وسخ الصمير .

سكن الانتحار ينفى التعمد نص والتوكل على الله الفاعل لكل شيء ، ، : موجب عصه
سبحانه وتعالى .

ثم قال عوردون لغورى وهو يودعه الوداع الأخير :

عليك بحراسة المدينة عن معش من الأوربيين ، وأنا أعم أن هذا لا يحصى
دعما ولكن تقوم بواجبنا الى اللحظة الأخيرة

في صباح يوم الأحد ٨ ربيع الثانى خرج الميهدى من كوحه يحمل على رأسه مقطف
من الخوص مملوءا بالزمل ، وضعه الناس حتى انتهى الى صفة الهر ، فحاط به الخمود ،
وهو لا يكلم أحدا منهم ، وأحد تقص من الزمل بيده وبقدفه في لهر ويرفع صوته
قائلا : « الله أكبر على الخرطوم » فيحاوونه من حوله بمنش ما قاله ، حتى فرغ مائى
المقطف من الزمل ، وانعت إلى من حوله . وثن لهم بى النبي صلى الله عليه وسلم أمره
بالحوم على المدينة في هذه الليلة وأن سقوطها في يده صرة لأرب . ثم ركب دورفا
واحتا: لهر إلى الصفة اشرقيه حيث قصد معسكر ابن الحومى كما ورد قبل .

وبعد صلاة العصر ، رتب الميهدى الخش ، وجعله تحت إمرة ابن الحومى ، وولاه
قيادة الفرسان ووضعهم في قلب ، ووضع على اسمه اخاح محمد أنا قرحه ، ووضع على
الميسرة محمد بوبوى

وكان قائد الميسرة هو المكلف بالاستيلاء على سراى عوردون ، وقد حاط به
الميهدى قائلا :

لدى دحوالك المدسة يجب ان تقصد سراى عوردون على الفور ، ونسعه تحبتي ،
ثم تحافظ على حياته ولا تتراء أحدا يعتدى عليه حتى توصله إلى ساد عيران يصيبه مكرره .
وحصب الميهدى في الخش نفسه قائلا :

- لا يعرضن أحد منكم لحياة "وردون" سواء لأبي أريد أن أقتل به
أحمد عرابي باشا.

ثم صدرت الأوامر إلى ١٠٠ ألف مقاتل كي تنضم إلى معسكر ابن الحومى ،
وكلهم من قبائل النصارى ، وقد انضموا إلى المنسرة تحت قيادة بوبوى ، وكانوا مسلحين
بالحراب والسيوف .

ولى فجر يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الثانى (١٥ يبر سنة ١٨٨٥) كان حذو الخرطوم
قد احتيج ولما دخل محمد بوبوى المدينة قصد بكل مقاتله سراى وردون ، وكانوا رهاء
١٠٠ ألف مقاتل ، وأمر وردون حرسه بالاحتياط للمهاجرين ، ثم لسن كسوة
التشريعة الصغرى ، ونقله سيفه ، ووضع على رأسه كوفية من الحرير ، ورطه بغطا كرى
الأعراب . وكان بوبوى وبعض الدراويش أول من دخل عليه ، فوجدوه جالسا على
كرسيه ممسكا بيده مديلا أبيض ، فاندبه أحدكم وقال له :

- أين أموالك يا وردون يا كافر ؟

فتسهم غوردون وقال له :

- أين محمد أحمد (المهدي) ؟

فابتدته الرجل قطعة رمح في صدره حر مهاصر به على الأرض ، والدم يبحس
من حرقه ولكنه لم يفقد حواسه ، وصاح أحدهم الخاضع :

- لا تقتله بل ألقه كما أمر المهدي ، فاحاب محمد بوبوى .

- إن الخليفة التعايشي أمر بقتله !!

ثم سحوا غوردون من رحليه ، وكان متسهما يحدث له ، حتى أرسلوه إلى ساحة
السراى ، ثم قطعوا رأسه وأرسلوها إلى الخليفة محمد الشريف ، فاندب أحد أقارب
المهدي ، فركب اساحرة اسمعيلية لكي يوصل الرأس إلى سيد الخرطوم ، وسيد
السودان كله محمد المهدي

ويكمل سلاطين بقية القصة . وكان يرسف في الأعدال في معسكر المهدي — يقول :
 « طهر قرص الشمس أحمر في الأفق ، فساءلت : ماذا يأبينا به هذا النهار؟ وقعت
 أسطر وأنا في أشد الفلق وهياج النفس . ثم سمعت أصوات الانتهاج وصيحات النصر من
 بعيد . وتركنا الحرس وحروا لكي يعرفوا سبب هذه الأصوات . وبعد دقائق عادوا اليها
 وأخبرونا بأن الخطر طوم أحدث عوة ، وصارت الآن في أيدي الدراويش وبقى لي شك
 أتعلم به . هل تكون هذه الأنباء كاذبة ؟

« ثم رجعت ، ومهتت أنظر في المعسكر فوجدت جمعا صغيراً من الناس قد تألبوا
 حول مكان المهدي والخليفة (عبد الله التعايشي) ، ثم رأيت هؤلاء الناس يسرون نحو
 وكان أمامهم ثلاثة من الروح يدعى أحدهم « شطة » ، وكان في يده فأس مشرب بالدم
 قد لف على شيء ، وكان وراءه جمهور من الناس مكور . واقترب العبيد الثلاثة مني ،
 ثم وقفوا وهم يشيرون إشارات الإهانة والسباب ، وحل « شطة » الفأس ، وأحرج لي
 رأس عور دون . فدار رأسي ، وشعرت كأن قلبي قد وقف . وكفى جمعت كل قواي
 وصبغت نفسي ونظرت إلى هذا اسطر المروع وأنا صامت . وكانت عينا عور دون
 الرافاوان قد فتحتا إلى النصف . أما انهم فكان في هيئة العادية وكان شعر رأسه .
 وعارصيه قد علاهما الشيب

قال « شطة » : أليس هذا رأس عمك الكافر ؟

فأجاب سلاطين بهدوء :

— وما في ذلك . جندى شجاع وقع وهو يقاتل . إنه لسعيد إذ قد انتهت آلامه .

فقال شطة .

— ها ، ها لا تزال تمدح هذا الكافر ، ولكنك ستري النتيجة .

ثم سار « شطة » إلى معسكر المهدي . ويروي هوري باشا :

« لما وصل رأس عور دون إلى المهدي أسكر قتله . وصاح قائلاً :

— لماذا قتلوه . ألم
أحكم من قبله ؟ قال له
التعاشي .

— إن قتل خير من
استحيائه .

مدت حل وجعل المهدي
علامات القمص ، وأسرع
بالقيام ودخل منزله .

ونصت رأس موردون
على حشة طولها متران ،
وأخذ النساء والصبيان
يرحمونه بالحجارة ، ربهيهوها
بالصق حتى نهشت قطعا
صغيرة



موردون باشا

عندما كان موردون يخوض القلعة المتحدة ، أرسل مراقبه السير سنيورات ، قوامهم
نحوى أسماء الأسرى المصرية الموجودة في الخرطوم ، وإحصاء حدهم . وذكر أن حجة
الطلوب ترحيلهم ٢٠٠٠-٣٠٠٠ حتى أمد سنة ثم عموغ المصريين الذين هموا أمام عسكر
المهدي من أمحاء السودان ، ونكدسوا في الخرطوم في انتظار القبول والتدو

وعندما سقطت الخرطوم ، سقط هذا العدد العظيم من الرجال والنساء والأطفال في
أيدي عسكر المهدي ، ودارت بينهم مدحة قطيعة ، طع عدة من قتل فيها كما ذكر فوري
منا أربعة وعشرين المرحل وثلاث ساء ، ثم لم نعث المدحة أن وصلت إلى الأبطال



اميراهيم باشا فوري

الذكور حتى لو كانوا رصعا . وقد بدأت
المدحجة عند طلوع الفجر ، وقيل شروق
الشمس أصدر خليفة شريف الأوامر
بالكف عن القتل . وأخرج السكان من
مساكنهم غلاص اليوم ثم أودعوا في
مكان خارج الخندق بعد تفتيشهم وفي
اليوم التالي كان أمين بيت المال يستدعي
كل أصحاب مازن ويقول لهم : انكم
كفرتم بالله ورسوله وحارتم المهدي .
ولنا أهدر الله ورسوله دمكم وحرم مالكم
عليكم ، وصيره حمة للمهدي . والمهدي
عنا عر دمكم ، ولا سلامة لكم في الدنيا

والآخرة إلا بتسليم جميع أموالكم حتى الحيط وأحياط
وقد صرب كل رجل بي حيا ألف سوط ، وكل امرأة نصفها وبقى هذا العدد
مستمر شهرا كاملا حتى جمعت الأمرار والأمنعة في بيت المال .

وكان من بين ما جمع نحو ألف فتاة عسراء من سائر أعيان المصريين ، أهدوا
سبائيا وأرسلوا إلى المهدي فاختار منهم لحرمة ثلاثين وورع ما سعى على حاشيته . كما
أرسل إلى النعائشي وبقية القواد جموعا من نساء المصريين السبا . وقدر فوري ناش
عددهن جميعا خمسة وثلاثين ألف فتاة وسيدة . ولم يحق لأحد من القواد أو أحد أن
يحصل على واحدة من هؤلاء الأسيرات الشقيات إلا بأمر كتابي من أمين بيت المال

يوضح فيه اسمها
واسم أسرتها ومن
اقتار امرأة من
غير اذن يماقب
بمقربة السارق
وأصدر المهدى
أمرا بطلاق جميع
النساء من
أرواحهن — لأن



طريقة الحلة للحصول على المال ويرى اثنان يشاؤون على
حلد مصرى معمر .

هذا الرواح حدث في عهد الفترة أى ما قبل الاعتقاد بعهدته ، ثم أمر الباقيات من النساء
اللاتى لم تكن ذات حمل تسمى لأحده ، بأن يزوجن معقود جديدة لأرواحهن أو لغير
أرواحهن حسب الظروف

وغنم المهدى من الخراطوم نحو ٣٠٠ ألف حبه ، و ٣٠٠ ألف مال محيدى وميسارى ،
ونحو ٣٠ (ثلاثين قنطارا) من الذهب المصنوع حلد ، ونحو ٤٠٠ (أربع مئة) قنطار
من الفضة .

أما أثاث المنازل وأرياش والملا من ، فأنها لا تدخل تحت حصر ، وقد كومت في
هيئة لال عذبة الارهاق . كما عجم المهدى عددا من الدافع والبادق والذخيرة .

وقد هدم من الخراطوم جزء عظيم ، وما تبقى منها أصبح أشبه بالانقاض كوت إليه
قول المصريين المضعمة المروعة المدعورة ، وقد منعت من كل عداء اللهم إلا رطل ذرة
بورع على كل فرد يوم .

وهكذا .. هكذا دمجت الخراطوم .

الأسير

كان ابراهيم باشا فوري أكبر مصري في الخرطوم أثناء محنتها ، مسح هناك رنة اللواء ، وعين حاكما عسكريا للمدينة ، ومشرقاً على دفاعها ، والتألى لعور دون من سكان المدينة . وصف ما حدث له عند اجتياح المدينة بقوله : ار الدراويش اوثقوا كفافه ، وأحاط به مئتي رجل شهروا سيوفهم وساروا به إلى أمين بيت المال وهم يصيحون به : يا كافر .. يا عدو الله .

ولما وقف بين يدي الأمين ، كان منزله مليئاً بأساء السايك ، وهو مشعل بالنصر إلى فتاة فانتة وهي مجردة من ملابسها ، ويدها حارقة تستر بها عورتها ، وهو يقبضها بيمينه ويسرة ، والدمع يجري من عينيها ، وهي تتمتم : « رصيدا نقضاء الله » ثم حانت منه الفتاة فرأى ابراهيم فوري فصاح .

— أعود بالله من هذا الوجه الأبيض^(١) . من هو هذا الكافر ؟ فقالوا :

هو ابراهيم باشا فوري فقال :

لماذا لم تقتلوه ؟.. فقالوا :

— تركناه حتى يظهر أمواله وأموال عور دون والحكومة .

ولما لم يدلمهم فوري باشا على هذه الأموال ، صاح الأمين بالعبيد فطرحوه ألبساً ، وحلس واحد منهم على رأسه ، وأمسك اثنان بالسياط ، وصرباه حتى كلت سواعدهما ، فأبدلا مائتين آخرين ، حتى سال الدم من جلده . وبعد أن مرق جلده ، رحوه في

« ١ » حدثني سوداي كبير ، قال ان أهل السودان يرفضون زواج الأوريات لأنهم « ملوحد » في طهرهم ، أي قد نزع عنهم جلدهم . كما أن ساء السودان في انساب لا يحسن انساب الأورين لأنه « كافر » لا يعامل معاملة الرجال .

السجن ثلاثة أيام ، وفي كل يوم يعاودون صريره وتغذيه لينظم على ما لا يعلم مكانه .
ثم ساقوه إلى الأمير أبي قرحة ، لكي يأمر بعدامه ، فإذ بهذا الأمير يعفو عنه ،
و يلحقه بيته بعد أن اطمان إلى أنه لا يبغي مالا ، ولا يعلم عن أموال الحكومة شيئ .
و حين بعد هذا إلى المهدي ، ومنعه انسداد لك جمعه مدير الفاشر ، فلما فرغ من صلاة
الظهر ، ووعظ الناس ، قيل للمهدي :

ها هو ابراهيم فوري

فمشى في وجهه وقال :

يا ابراهيم فوري إني أعرفك منذ كنت حاكما في مقاطعات البحر الأبيض ،
فقد أدركت إني الكفار ، ولم نسم لي . أولم يكن الواجب لي مثلك إحانة دعوتي فأجاب :
يا سيدي إني من كبار قواد الحكومة ، ولا يليق بي أن أتركها في أوقات
شدّة ، وسويغات الأزمات . وكأني وفيت لها ، فسأوفيك لك أيضا . فتبسم وقال :

قد عفوت عليك . وأمره بالندوة معه فذهبوا معه ^(١) ، ثم رجع المهدي مرقعته
(حته) وقدمها ل ابراهيم باشا فوري ، فلبسها ، وكان هذا أكر دليل على رضا المهدي .
ولما حرج الأسير الذي أصبح طليق من حصرة المهدي تجمع الناس حوله . هذا
يلتم الحمة وذاك يبكى لفورده بهذا الشرف ، ولم يقده إلا أحد الأمراء الذي ردّه حته
فأحدها وسار إلى بيت يوسف منصور فمندان طويحية المهدي . وما أن وصل حتى وصلته
مسحة من المهدي ، هي ملاءة للغطاء ، وإناء لطبخ الطعام ، وقصعة للأكل ، وحارية
باعتها عشرين ريالا

وصبح ل ابراهيم باشا فوري أن يقاس الخليفة عبد الله التعايشي ، فحاف من هذه
المقامة لأن هذا الخليفة كان مشهوراً بالعبث والقسوة ، وما أن قدم له حتى عس في وجهه

(١) كانت صيغة بيعه المهدي هي : « يا أيها الله ورسوله . وما يملك علي توحيده الله ولا سرك نافذة
شيئ لا يسرق ولا رقى ولا تأني الكتمان ولا نصيبك في المروءة . ما يملك علي ترك الدين والآخرة
(كما ...) ولا شر من إحياد »

ودعش لثقائه حيا ، مع * الأمر كاب صريحي في قتل كل دى شارب وحمية . ولكن
 اراهيم باشا فوري كان لثقاً ، أو لعله اضطر أن يكون كذلك فعالج الخليفة بقوة .
 ياسيدي الخليفة المصدق ' إن سبب نحائي من القتل هو نعتي قبيح تحببت
 ومحبة سيدنا الامام المهدي لمستظروا إن أعارك وأنوار المهدي كما سبب نحائي من الموت .
 وإني احمد الله على منته محبة نورك ونور المهدي ، وقد صرت الآن لا أكره الموت
 لالعماسي في دنك النور !!

فاصرق التعاشي إلى الأرض ثم دفع رأسه وفان .

- تاموسف مصور . لقد هزمت عنه

وهكذا يحافوري باشا ، وما كاد !!

وعثره ، الآن اراهيم باشا فوري ، سحدث قبلا عن شخصية المهدي الذي وصل
 إلى كل هذا لتوفيق ، وكل هذا اسباح في تودته ..

وقد أجمعت اشروح والبعيقات التي أضفيت إلى حصول هذه الثورة ، على أن سببها
 كان فساد الحكم المصري ، وحوار الحكدار بين وأنامور من الناس كانت تعيهم حكومة
 القاهرة في السودان وجاء الوقت لكي نقول أنه ما من شيء أضر على الاستثمار
 والفسوة من هذا التفسير المعرض الخطيء الذي يضاف إلى ثورة السودان في أواخر
 القرن الماضي من ذي كل صوابا حالصا أن قرر أن السودان انما تدار ثورته لأنه
 أحسن نفسه ، وأن جهود مصري وصله ثور العصابة ، قد ثمرت ثمرها لعاص ، فتأيد
 طموح السودانيين ، وحشت نفوسهم بشقي المعاني ، فكانت الثورة . والنأمل في تواريح
 الثورات الكبيرة التي قامت بها شعوب ، يؤكد هذا المعنى ويركيه . فلم تقم في فرنسا
 ثورتها الكبرى أثناء عصف لويس ارامع عشر ، ولكنها قامت بعد ماضرع . حال فرنسا
 في عهد لويس السادس عشر يستغلون ضعفه ويضعون قواعد الاصلاح الحقيقي . و ثورة

الديمقراطية في روسيا ، التي قُلت حكم آل رومانوف ، تمت بعد أن سلم القيصر فعلا
بسلطان الدوما « مجلس النواب الروسي » واعترف بحقوق الانسان في بلاده . والثورة
العراقية في مصر ، لم تنشأ إلا بعد أن أحرى اسماعيل اصلاحاته الكبيرة ، وانصلت مصر
بالآراء الحرة اتصالا قويا عن طريق مدرسة جمال الدين الافغاني وعن طريق رجال النعوش
التي عرفت كيف كانت الحياة في الدول اراقية ..

ويدا نحن نعمق في دراسة الحياة في السودان قل أن تصل اليه يد محمد علي الكبير
ثم اصلاحات سعيد واسماعيل . فاما بعد حكما اقطاعيا خضع فيه الأهالي لطائفة من
السلاطين والملوك وشيوخ القبائل المسدين . كما أن السودان كله حصص قروبا طوالة
لحكم صيادي ارقيق ونحاره ، الذين كانت لهم سطوة مطع لها القلوب ..

دعوا أن الضرائب التي فرضت على السودان كانت كثيرة ، وأن الحياة كانوا
يسرقون أضعاف ما يصل الى الحكومة . ومن الجائر أن نسم نصاد نظام الحماية ،
ولسكن حصيلة الضرائب الرسمية التي كانت تصل إلى خزينة القاهرة كانت قليلة ، اذا
قيست بمقتات ادارة السودان نفسه ، ومقتات تعميره ، وتعليم أهله العلوم والحرف المختلفة .
ما أكثر ما عملت القاهرة لنشر الزراعة ، واصلاح المواشي ، وشق الطريق للتجارة ،
وتيسير الأمر . وما أكثر ما اعتقت مصر من المال ، ومن جهود العمال وأرواح
الرجال لكي يأخذ السودان نصيبه الكامل من نفس الحياة التي كانت تحياها مصر .

وهل يمكن أن تقدر حياة قطر ، وحدثت فيه المحاكم ، والمدارس ، والزارعات ،
والنرف التجارة ، والمسشعيت ، وشركات الجسد النظامية ، والصناعات المتوسطة ،
والطرق الممهدة ، والمسد المسية على أحدث طرار ، والساب المفتوح للرحلة الى الخارج
والداخل ، بحياة أخرى لا يسود فيها قلوب ، ولا تعرف من العلم شيئا ، وتجارها الذهب
والسلب والاعارة ، وطبها الكهانة والحرافة ، وحدها عصابت صيادي العبيد وقطاع

الطرق ، وصناعة الخراف وصيد بعض الوحوش البرية ، وطرقها البرية ولها ية معينة ،
ومساكنها أكواخ من القش والغاب

ان من انظم كل الظلم أن يكرر دور مصر في نقل السودان من حال إلى حال وهي
تجاهد في توحيدها معها واندماجها في حياتها اندماجا تاما ..

حقيقة كان السودان يعاني من ظلم في عصر بواحيه ، وقسوة في حياة بعض
الصرائب . ولكن هل كانت مصر نفسها ريشة من هذا العيب ، وهل كانت دول
العالم الأخرى في منتصف القرن الماضي لا تشكو من علة ، ولا تتدمر من نظام .. لا
من طوائع الحكم في كل زمان ومكان أن يوحد بين مصفيه أفراد عادلون وآخرون
ظالمون ، وكان يجب هذا على الحكم المصري لو أنه قصد أن يحل الظلم محل العدل ،
والقسوة محل الرحمة ، والفساد محل الإصلاح وسكن رحلات أولادة وانحد بويين ،
وتدبل احكام في كل آن ، والاستماع إلى شكوى المظلومين كل هذا كان يجب
أو يربى كل ترسوء ، وكل ظل لشر في السودان ، فقد أكثر مما كان يحدث في مصر .
وإذا كان بعض المديرين أو المأمورين قد أساءوا استعمال سلطة من السلطات في
أيديهم ، فمن الخير أن نذكر أن هؤلاء الاحكام في الأطراف لم يكونوا جميعهم من المصريين
لا بل كان منهم المصري ، ومنهم السوداني . بل ربما كان عدد المديرين والمأمورين
السودانيين أكثر من المصريين ذلك أن مصر لم تكن تحكم أهل السودان ، وسكانها
كانت تتحد مع السودان في معشة مشتركة .

ولقد ثار المهدي . وكانت ثورته دين حبوية السودان ، ودليل تقدمه ورقية ،
لا دليل حوله وتأخره وتدهوره ثار المهدي . ولم يكن سبب ثورته ظلم حاكم ،
أو قسوة مأمور في تحصيل ضريبة ، أو الإساءة إلى إنسان ..

لا ، بل ثار المهدي لأنه كان يطلب مريداً من التشديد في تطبيق قواعد الدين ،
واخذ من الحرية مسموحة للسودان واسودانيين في ممارسة عقائدهم ، وتطبيق المذاهب .

نور المهدي لأنه كان يريد إصلاح السودان ، وإصلاح مصر ، وإصلاح بلاد المسلمين ..
نور المهدي لأنه عرف أن الأمة الإسلامية كلها تحتاج إلى أن تعود إلى ما كانت عليه أيام
سيدنا محمد ﷺ فقد تعلم بعض السودانيين ، وقرأوا النوازح والفقهاء والدين ، وعرفوا
ما كان عنه الأوائل والأواخر .

وأخيراً ، أو قل أولاً وأخيراً ، نور المهدي لأن مصر ثارت ، ولأن ثورة مصر ، وثورة
السودان كانت سلسلة في حلقة الحركات الكبرى المنظمة المترتبة التي أعدها السيد
جمال الدين الأفغاني وقد كان وهو في لندن ومعه صفه وحواريه الشيخ محمد عبده ،
يعملون لحاح ثورة المهدي ، ولإحلاء السودان ، ويدفعون السياسة الدولية كلها في
هذا الاتجاه تنفيذاً لحطة مرسومة .

ولقد أوضحت في كتابي عن محمد عبده ، أن الأستاذ الامام تنكر وهو في منفاه ،
وبدأ رحلته للسفر إلى السودان ، لكي يتولى قيادته ، ولكن موت المهدي أوقف رحلته
ولم يكن صدفة ولا ارتجالاً أن المهدي أمر بالانقاء على حياة عورددون لكي يفادي به
عراقي لقد كانت هناك صلة أقوى صلة بين الثوريين ، ثورة شمال النيل وثورة جنوب النيل
فكيف . كيف بالله يحظى به إنسان إلا أن يكون مشوهاً للحق ، مروجاً للتاريخ ، يبرعم
أن المهدي كان ثائراً لأن الحكم المصري في السودان قد فسد ، أو تعفن ، أو استحق
أن تطبق هذه العقوبة عليه ؟ !!

ثم ثم إن المهدي كان يعيب على مصر أمراً هماً وحظيراً ، وهو أنها سمحت
للأحباب بالدخول في شؤونها ، وإن أهل السودان أنفسهم رأوا هؤلاء الأحباب بينهم -
لا سائحين أو تجاراً - ولكن حكماً وقراراً فكان هذا في عقيدة المهدي . وهي
عقيدة تعصب ، وترمت ، كفرأ ما بعده كفر .

وإذن فقد ثار السودان تحت قيادة المهدي ، وكانت ثورته من أجل الدين .. أي
صد الخلافة التركية . ومن أجل الحرية .. أي ضد التدخل الأجنبي

كتب المهدي كتابي الخديوي موفق - بعد أن استولى على الخرطوم - يقول به في مستهلها:
 « إن دسائس أهل تكفر التي أذحوها على الإسلام ، وصلالاتهم التي مكبها
 من قلوب الأمم ، قد أقصت إلى اندراس الدين ، وعظمت أحكام لكتاب ونسبة يقيين
 فصارت شعائر الإسلام عريضة بين الأمم ، وتراكت الصلوات ، وانتشرت البدع ،
 وأبيحت محارم الإسلام ، واشتد الكرب على أهل الإيمان ، فصار القاص على ديه
 كالقاص على الحجر ، نراكم النفي ولعدوان .

وقال : « صارت جيوشك تأبى ثلة بعد ثلة ، وأقدم لهم الاندارات ، ولم نسمعهم ،
 والله يؤبى ويصرى عليهم كما وعدنى ، ويقطع دارهم . إلى أن قلت حيلتك ، وتلاشى
 أمرى ، فسمعت أمرة محمد صلى الله عليه وسلم لأعداء الله الأبحير . واحطت لهم دماءهم
 وأموالهم وعراضهم ، شاء الأبحير نكرهم وحيلائهم واعتدعهم على غير الله ، فمما سول
 الشيطان لهم إدراك « عردوسهم » بالخرطوم رأيت من هداية أهله ، وعمت أن تكرر
 الاندارات لا يسمعهم ، وحققت عليهم كلمة العذاب ، وصروا مثل من فد الله تعالى في
 شأنهم « سواء عبيهم أمزنتهم أم لم تنذرهم » بحس الله نصحه ، وبهلاك من فيه .. »
 وقال : « ما كان يحسن منك أن تحب الكافرين أولياء من دوى الله وتستعين بهم
 على سفك دماء أمة محمد ﷺ »

وقال : « وما يساويست إلا الحجة الخاصة بوجه الله تعالى ، ويكون بحس الجميع
 يداً واحدة على إقامة الدين وإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين ، وقطع دارهم واستئصالهم
 من عند آخرهم إن لم يسيروا ويسلموا .. »

وفي رسالة أخرى وجهها المهدي إلى سكان مصر يقول:

« قد رأيتم ما بل الدين من الأسراس الذي لا يخفى ، ولما أن أراد الله بحبائه ،
 وإظهار شعائره ، أنجز موعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فاصبرى بالخلافة المهديّة ،
 وأمرنى بمعاينة اخلائق إلى سنة المروية ومن عيد طهورى بهذا المعبر الدينى مارالت

دولة الترك تحيى حيوشها وترسل رجاها لبحارتي من غير استناد إلى دليل شرعى ... »
وإذن فالانحياز والترك - أو الخلافة - كالمهدف الثورة ، ولم تكن مصر نفسها
ولا حكمها فى فساد أو صلاح هو السبب .

وصدق دعوة المهدي كثير من أهل مصر ، حتى وصل دعاته إلى جرجا ،
ووجدوا لهم أنصاراً وأعواناً .

رقدت أحقت هذه الحركة كما هو معلوم ولاخفاها أسباب :

أهمها أنها كانت قائمة على العصص الدينى وحده ، وما كان يمكن لحركة تظهر فى
مطامع القرن العشرين ، ويكون هذا العامل وحده هو قوامها . وعلى الرغم من أن
جمال الدين الأفغانى أيد الحركة ، إلا أن هدف الأفغانى كان تجديد فهم الدين ، وفتح
أبوابه مسيرة روح العصر ، فى حين أن المهدي لم يفهم هذا الهدف ، أو لم يستطع أن
يسايره . بل على العكس حاولت الحركة المهدية أن تنمى كل جهود العلماء وفقهاء فى
شرح الدين ، وفسيره ، وتخرج قواعده .

التى الفص مرة على عالم شهير ، فكان مما قاله له « عبد الله التتاشى » خليفة
المهدي : « يا عالم السوء . قصيت عمرت انشؤوم فى تحصيل علوم حاء المهدي مسحها
فقد كتم تقولون حدثنا فلان عن فلان ياسايد طويلة ، ونحن الآن تلقى الشريعة من
المهدي ، الذى يتلقاها مباشرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . فاحذر يا شية السوء أن أسمع
عنك أنك تعم الناس شيئاً من العلوم القديمة المنسوحة ، وأعلم أنك مد الآن محتاج إلى
التعيم من أحقر اناس من أصحاب المهدي » ثم دعا عبداً أعجمياً ، وقال للشيخ : « هذا
أستاذ مد الآن . فصل بجانبه ، وتلق شريعة المهدي عنه . أما ما تعلمته قبل الآن فانه
مسوح ، وخير لك أن تحمر له فى الأرض حمرة نقيه فيها . »

وقد حر هذا النمصب إلى نتائج سيئة جداً ، هى فقد الحركة المهدية على كل من لم
يسلم ها ويدعن لأمرها . ومحاولتها استئصال جميع العناصر التى عارضتها أو وقتت فى

وجبه فن المهدي رعم : « أن من شئت في مهديتي ، فقد كفر بالله ورسوله ونفسه
وماله غيبة للمسلمين »

وهذا الزعم هو الذي حر عديده وعلى الحركة الدمار ، فقد دعاه إلى أن يصادر كل
مل يصادفه ، ويقتل كل اسان يعارصه ، أو لا يتفق معه في أنه المهدي المنتظر ، وإن
كان مستعداً للاعتراف بأنه « مصبح » منتظر .

ولقد كلف تعصب المهديّة شعب مصر كالكيف باهظة من الأرواح والأموال ..
ودع عنك أرواح الحمد والمجاريين ، وإعما نحدث عن رواح الأهالي المديين . فقد
احتث المصريون في طريق المهدي ، وأبدوا إبادة تامة ، لا لأشهم مصريون ، ولكن
لأشهم غير مؤمنين ' .

وكانت لمصر في السودان ثروات تجارية ضخمة ، ومصانع مادية لا تحصى ولا تقدر ،
صودرت كلها اللهم إلا القليل الذي أمكن بعض ثروة الخرطوم نقله إلى مصر قسلا
استفحال الأمر . ودع عنك حسارة مدينة صحمة عطسه كالخرطوم هدمت ، وحررت
تجريباً .

ولو أن بعد امتداد المهدي فترة أطول من الزمن ، سكال قد عرف كيف يستفيد
من النقية الباقية من المصريين ، وأصحاب العلم والسكفاية ، الذين نحوا من مدينة الخرطوم ،
وقد صاع فيها ٢٤ ألف رجل ، غير الحماية كلها .

وكان من سوء حظ المهدي انه قام بثورته قبل أن يتجمع للسودان عدد أوفر من
أصحاب العلم والبراية نشؤون السياسة والحكم والصناعة وغيرها .

وكان المهدي نفسه أعلم جماعته ، وأوفرهم تحصيلاً ، وأكثرهم دراية بالشؤون العامة ومن
يطالع رسائله يجدها مكتوبة بأسلوب مستساع ، ويحد استشهاده بالقرآن والحديث دليلاً
على تعبه وتفهمه للكتاب والسنة . وهذه الدرجة من العلم هي التي لم تحمل المهدي
ضيق النظر إلى الأمور ، كما كان أصحابه . فهو لم يسرف في القتل اسرافهم ولم يحكم

بعدم شخص إلا ضرورة قصوى ، وكان العمى أقرب إليه من العقوبة ، وبأيدي القلوب
أدنى إليه من تميرها .

أما صاحبه النعاشي - حليته - فلم يكن على علم المهدي ، بل ربما كان حظه من
العلم ضئيلاً وهذا حرص على ألا يبقى على أحد من ذوي الكفاءة والقدرة انعقية ،
فقد سارعه في سلطانه ، إذا ما وصل إلى هذا السطار ولهذا أوعز بقتل غوردون ،
لا بعضاً في غوردون ، ولكن خوفاً من أن يأتي عرائي إلى السودان فتكون له الكلمة
العليا .. ولأمر ما لم يتابع الشيخ محمد عبده رحلته العسكرية إلى الخرطوم ، بعد أن عم
ب وفاة المهدي عنه ..

وقد قيل في صفة الرجل كلام كثير . وصفه فوري باشا بقوله : « كان المهدي طويلاً
القامة ، أسمر اللون محصرة ، عربص المسكين ، مقتول الساعدين ، واسع الخبهة ، أقي
الأنف ، واسع الصم والمعين ، مستدير اللحية خفيف انعاصين ، أسنانه كاللؤلؤ .. وبالجملة
فانه كان ذا صورة جميلة جدا بين السودانيين أمثاله ، وكان نعمهم على قلوبهم من نوع
ما يتعمم عليه أهل مكة ، وعظامه كبيرة مسفرة من الأمام ، يرسل (عدة) منها على مسكه
الأيسر حتى تنجار سرته »

ووصف سلاطين المهدي بقوله : « كان طويلاً عريض الأكتاف خفيف السمرة
متين البنية وكان رأسه كبيراً وعيانه راقنين ، وكانت له خية سوداء وعلى كل من تحديه
ثلاثة حرور ، وكان أعنه وفمه حسي الوضع . وكانت عادته الانقسام على اللوام ، وإذا
انقسم بدت أسنانه الناصعة ، وكان أفصح ، وكان فله حب النساء له وكان
يعطر جسده بالمسك والصلبل والورد ، واشتهرت عنه هبسه اراشحة حتى صارت تسمى
« راشحة المهدي »

ووصف حليته عند الله النعاشي « بأن لون وجهه كان السمرة الخفية ، ووجهه
عربي عليه مسحة من الرقة وكانت لا تزال آثار الخدري بادية فيه ، وكان أعنه مقارياً

وفيه حس ، عليه شاربان صغيران ، وعلى حده شعر خفيف تكاثف حول الدقن. وكان
رعدة بين تقصير والطويل ، وسطا بين السمن والحنافة . وكان لاساً حبة مرقعة مؤلفة
من رقع مرصعة كل رقعة تختلف في اللون عن الأخرى ، وعلى رأسه طاقه قد تعمم
عليها نعمة من القطن ، وكان إذا تكلم تنسم ، فتبدو أسنانه البيضاء .



يعود الآن إلى أسير ، وما كان من أمره وأمر من استحيى من المصريين في
السودان إبان الانقلاب المهدى .

من لتسير جداً أن تصور ماضى إبيه إبراهيم باشا عورى بعد أن مجاً بأخوته من
القتل . فقد كان هذا الرجل ، المصرى الأول في السودان ، يأتمر بأمره جيش كبير ،
ويحكم مدينة الخرطوم ، ويمتد نفوذه إلى النجاش حتى حولها ولا يزال للحكم المصرى عليها
سلطان حقيقة كانت قد ألفت به محبة سابقة ، وهى تحرر منه من رتبته والقباه لا شترأ كه
في الثورة العراقية ، ولكن معرفة عوردون به لسابق خدمته معه في السودان كانت سبباً
في استصدار عفو عنه ، وعادته إلى الخدمة ، ثم سفره إلى عاصمة الجنوب ، حيث يسطره
مستقبل طيب . وقد شق به طريق هذا المستقبل بمحبه رسة اللواء . ولكن هذه هى
الديار العربية التى أمل ردها ، ثم من بين يديه فراراً ، وهذا هو ذا أسير لا يملك مالا ،
ولا طعاماً ، ولا يملك شيئاً .

تذكر في ساعاته السود الأولى ، آخر أحداثه مع عوردون ، الذى كان يوعز إليه
باسفر من الخرطوم رفقة القناصل ويقول له . « إذا أصبحت أنا أسيراً فى أيدي هؤلاء
الاشقياء ، فلا تتركى حكومة جلالة الملكة ، وأنها تقدم القناطير المقبضة من الذهب
عداء لى ، وأنا أتمنى لك النجاة من صميم قواذى يا عزيزى فورى لأنك إذا وقعت
أسيراً فى أيديهم لا يذهب حكومتك ولو بدراهم قليلة . »



« المهدي »

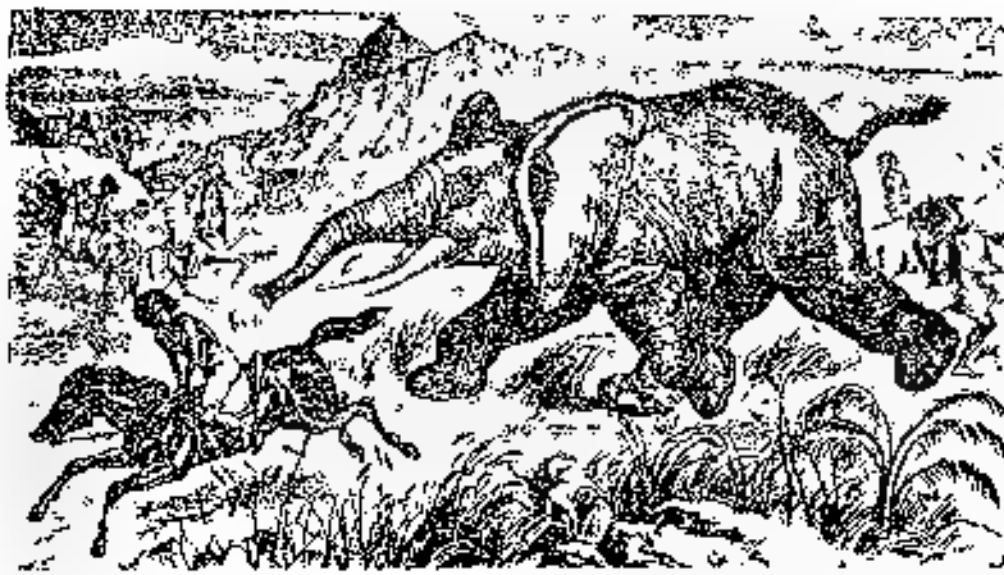
ودارت دورة الأسوع ، وداعوردون قبيل ،
وإذا هوري أسير ديل ، لا يعرف طريق المحاة ،
ولا يسمح في الأفق بادرة من نوادر الأمل .

وقد حدث في سير الحوادث أصحح ما يمكن
أن يحل بهذه الدولة الجذبة ، وهو موت المهدي
بعد سنة أيام من إصابته بحمى التيفوس ، وكان ذلك
في يوم الاثنين التاسع من شهر رمضان سنة ١٣٠٢ .
وهكذا لم يعيش المهدي بعد فتح الخرطوم أكثر من
أربعة أشهر ، وقد أهدر عموته كل أمل في تنظيم هذه

النودة ، أو تحويلها إلى حكم صالح مشر

وتولى من بعده حليفته عبد الله التعايشي ، نوصية مه . والتخليفة الحديد من قبيلة
البقرة ، وقد تولى رعاية هذه القبيلة بعد أن اشتهر ، واستطاع ذكره . وقد ذكر أن صيد
الأفيال من شارات الشهرة وأخذ لأفراد هذه القبيلة ، وأن من طفر مهم نيل ، أسماء
يومه « التور » لشجاعته و نائله ، ومطقة هذه القبيلة — وهي دارفور — عية بالأفيال
عناء المناطق الأخرى بها .

ولم يكن الخليفة الجديد منعما ، ولا كانت له صفات الكياسة التي اتصف بها
سلفه المهدي إلا أنه وصف كثير من المظالم العاشمة ، والأمر بأوامر عرسة تعسفية ،
كانت السب في خراب كثير من ماضق السودان وهجرة أهلها منها . ويظهر أن في
نسبة هذه المظالم له بعض المدفعة . فلا شك أن المهدي لمح فيه صفات طيبة من الشجاعة
والنفاق في الدعوة حتى جعله حليفته ، من دون أهل قرأته ، والمقدمين من كبار قواده ،



كيف يصطادون الفيل في السودان

أمثال النحوى وأخلاقه
وشرف وعيهم .
ولو ان التعاشى كان
نكل هذا النقص
الذى وصف به ، لما
اسمر حكمة اتى عشر
عاما حتى أزالته عنه

حيوش كئسر ، وما عرف كيف يحصع القبائل الكثيرة المتعددة المصالح والراعات
المنافرة . والحقيقة انه تمكن من أن يصرب بعضهم بالعص الآخرة ، ويبعد منها ما لا يسلس
قيادته . كما غير مغيرا أساسيا في طبقة الزعماء التى تركها المهدي . نقص من هودها
وحد من تأثيرها على العامة .

وعلى كل حال ، فان ما يعيننا من أمر الطبيعة الجديد في هذا الكتاب ، هو موقعه
من « نقابا » المصريين ، التى طبت تحت حكمة .

● يقص علينا فوردى باشا هذه الفترة الحكيمة من تاريخ حياته في الأسر ، بعد وفاته
المهدي بقوله « إن المصريين أخذوا في السعى للارتقاء بالهن الهندية ، مثل صناعة النحر ،
وفتح حوايت الأظعمة . وهم في كل آن عرصة للاضطهاد ، وفي كل يوم يقع بعضهم في
تهمة إحصاء المال ، فيعد تعذيب الواحد منهم تا بقشعر منه المدن

« وكنت أقيم في كوخ في أم درمان بحوار مارل يوسف منصور (قائد المدينية) ،
وبعد وفاة المهدي ، كانت في روجة على وشك اوضع ، كنت تروحيا قسلا سقوط
امدية ، وهى بنت أحد الصباط المصريين العظام ، فانتقلت إلى الخرطوم للحصون على
قائمة مصرية بها ، وما كادت تمضي على أيام حتى تمى إلى التعاشى أبى دعت إلى
الخرطوم لتوحيد كلمة المصريين ، وانضم لعمل مصدا للمهبة . فما شعرت في إحدى الليالى

إلا بالداء . فإن كل ذكر من الدير خرجوا من حديق الخراطوم ، يهدر دمه أدانت في
المدينة ، بل يجب أن يكون في النقعة التي عند نقطة ملتقى السهري الأبيض والأزرق
« وبيت كان الرجال يودعون أطفالهم وساءهم المخرج إلى محل الاجتماع ، إذ عاد
الداء بوحوب خروج النساء والأطفال إلى ذلك المكان أيضا ، فحرقا سائنا وأطفالا
وحس في حالة لا أقدر على وصفها ، وبعد وصولنا إلى تلك النقعة جاءنا دراويش من أم
درمان ، أحبرونا بأن المراد من الاجتماع قتل إبراهيم هوري ، وبيع بقية المصريين أرقاء
فقصينا ملك الأسرة ، وفراش الأرض وعطاؤنا النساء . فكنت لا تسمع غير صياح الأطفال
وعوئ النساء .

« وی اسوم النبی مکشائی قرب منتصف النهار حتی جاءنا التعایشی متعلی حاراً
 یحیط به یحو الف حارس ، وأمامهم أشخاص یفحون فی أنواق من العاصح بصوت
 مرعح منقطع . ولما دنا التعایشی من موقف أمرنا بالوقوف مصطفین رافعین أصواتنا بالتهنئ
 ثم استدعانی من وسط الصفوف ، ومعی بضعة أشخاص من أعیان الحرطوم ولما مثلنا
 بین یدیه قال .

« أيها الأتراك أهالي أحرطوم ، وفصله سيف المهدي عليه السلام !
 اسكنم أصلتم ساس وعزرتهم بدياكم ، وهذا أيها المساققون انتم في أحرطوم ،
 ولم ترحبوا إلى أم درمان فهل أنتم لا تزالون مكذبين للمهدي أو ما هو السب ؟ »

وأخته (أى ابراهيم باشا فوری) قاتلا

ياسيدنا الخليفة نحن نعوذ بالله من أن نكون مصريين على تكذيب المهدي ،
ونحن نعتزف أمامك يا نانا مؤمنون بالمهدي وحقائنه ، والذي متعبنا من الإقامة نام درما
هو عدم قدرنا على تشييد الأكوانح فيها ، وتمكنا من الإقامة في حراب الحارطوم
غير مشقة . فاجاب النعاشي في غضب :

— اُمّتِ مَسَاحِقِ وَلَا اَرَى غَيْرَ حَرْبِ عَقْتُ اَقْتُلْتُ

باسمى الخيفة . أنت تعلم لعب وما تحميه الصدور . ومن الخصر عليه السلام
وزرك ومشيرك . وقد قال فيك المهدي عليه السلام أنك أوبت الحكمة وقصص الخطأ
وطرق بوجهه إلى الأرض ، وقد سره هذا الاطراء ثم رفع أسه وقال

- يا ابراهيم هوري ، لقد تحققت براءتك مما نسب إليك . وقد عفوت عنك ، وعن
جميع أهالي الحطوم ولكن لا بد من مغادركم الحطوم و قاصمكم ثم درمان . لأن الخرصوم
دا كفر ، والمهدي عليه السلام قال : لا تكذوا في مك الكفر ، ولا لمسوا
ملاسهم ، ولا تزيوا نريائهم

فتت به :

- يا سدا الخيفة ، نحن لا نملك أحرة احبب اصيل فأسر باحارب محب .
« احبره » لهر ، وأقمنا نام درمان ، تقاسي من صوف ابدال ألوانا . »



● وتتحلى فسوة الحياة على هؤلاء البؤساء ، في استعرض أواع الحرف والأعمال التي
كان يؤديها ابراهيم هاشم هوري لكي يحد ثمن ما بقتت به هو وأسرته
قال إن أحد معارفه من أهالي السودان زاره ذات يوم ، وأعضاء حسين ربالا ، وأعطى
حاراً له من المصريين - على خير الدين - عشرة رمالات ، فانهق الاثنان على أن
نشق قبة على شاطئ النيل ، أقاماهما من الوص والخشب ، وسكلا عشرين ربالا حتى
استقام لها حانوت . وما أن أعدا العدة للعمل ، حتى جاءهما محبس اساطي (أنوردة)
وأمرها يهدم ما سياه فوداً ، ولم تجد ضراعتهم عي سبل من الشتائم ، ثم ما لبث الحدان
هدموا الحانوت ومهوا كل شيء فيه حتى الوص .

و فرراً أن يعودوا النحرمة بما سقى لهم من المال في مكان بعيد عن نفوذ هذا
المحبس ، وقد أقاموا حانوت ، وأحد اندراو يش يترددون بكثرة ، ويطلبون

القهوة ، فادخلوا بالتمس ، صرنا أصحابي القهوة فائزين أنتم ما رلتم كدفراً لا تعطون
شئاً من أجل الله .! وأخفق هذا المشروع

فعود فوري ناشا التفكير ، وساقه هو وصاحبه إلى الأبحر في البطيخ ، واشترى بافعلا
كمنة من البطاطيخ من قرية محاوردة ، ولما أترلاها إلى البر ، مر موكب النعايشى ، فذهب
حده البطيخ ، وحفظوا ما سقى ، فصاع رأس المال ، وترا كمت الديون وحرر ابراهيم
فوري وصاحبه حرراً عطياً ، وقرر أن سذهب إلى النعايشى يشكوله حور حده . فلما
لقية ، وعرض عليه أمره قال له الخليفة :

— ما ذا قلت لما أحد الأنصر بطاطيحتك ؟ فأجاب :

قلت في شأن الله ، وفي حب سدنا الخليفة . فبسم النعايشى وقال :

أهكذا قنت مع أن رأس المال دين ؟

فكذد ابراهيم فوري أن هذا ما حدث . وعداد نعة أيام أرسل له النعايشى ٤٠
ريالاً من النوع « المقبول » وهى تعادل مثنى قرش

ومحت الرحلان عن حرفة حديشة ، فاهديا إلى فسكرة طيبة ، وهى أن يدها إلى
سوق المشاة ، ويكتنا عقوداً بين النافع والمشتري ، تنصن أوصاف البهائم المشتراة وكان
سقف الرأس من الماعز أو النصار قرشاً . وعقد الفقرة قرشاً ، وكذا الأمل وما أن أقبل
الطهر حتى كان يرادها ٤٠ قرشاً ، وقد فرحنا بهذا العمل البربح فرحاً حريلاً ، ولسكن
مالنا أن داهمهما حده ، أو سعوها صرباً بالسياط ، وأخذوا مبهما فقروس كلها وساقوها
إلى مسجد للصلاة فلما تصرنا في استزداد شئاً ، رد لها خمسة قروش ، مع الأمر بعدم
العودة إلى هذا العمل لأنه مريح ، ولا يجوز للمصريين الكفار أن يحصدوا على أكثر
من ثمن البحر بعبادام .

هذا هو نوع الحياة التى كان يجباها أكبر المصرين شأنه ، وسطيع أن نقيس فيها
درجات النؤس التى المحصر إليها قية المصريين

● وم يبق أمام ابراهيم هورى إلا أن يطوف سبب النعيشى عسى أن نعهه بعض
 ما على إعالة أسرته . فلارم المسجد ، وبكته سمع ذات ليلة الحديث يدور حول مسيح
 دجال يوشك أن يظهر ، ووصف الخليفة هذا المسيح بأنه : أبيض اللون ، قصير لقامة ،
 صحنم ، خنثى ، مسندير الروح . وراذ أحد الحضور انه سيكون مصرياً ، ولا حظ ابراهيم
 هورى ان هذه الأوصاف تطبق عليه ، وهمس أحد الحضور فى أذنه مداعباً ، بأنه قد
 يكون هذا الدجال . فداخل هورى وحل شديد ، من أن يكون هذه الغريبة حيلة
 خديعة امكرها الخليفة كي يقع به ، فانسحب بسكور من الحلقة وحس بعيد حتى
 لا تقع عليه عين أحد . وبكته ما لبث أن سمع مناداً يناديه من حلقة الخليفة ، فجس من
 من الدعر أو كاد ، وسار فى خطا متعادلة ، حتى اقترب من المجلس ، فادا بالنعيشى يهم
 من وسط الجمع ، ويقف ، ويمسك ابراهيم هورى من يده ، ويسير معه خطوات إلى
 الباب ، فهامس كل من فى المجلس : لقد نزل الوحي على خليفة مهدي الله ما هذا هو
 المسيح الدجال !

ولما وصل النعاشى ابراهيم هورى إلى الباب قال له : انى أريد أن أروحك من
 امرأة مؤدبة متدعة حسة الحق ، وهى احدى سائى فأجاب هورى :

— يا سيدى انى متزوج . فقال الخليفة :

أليست لك زوجة واحدة ؟ فرد هورى :

— بلى ! فقال له الخليفة :

— وما المانع من أن يكون لك ثلاث زوجات أو أربع ؟ فأجاب :

لا مانع يا سيدى سوى أنى رجل فقير مدقع وليس لى كسب عايش على

القيام بواجبات زوجتين فأجاب المهدي :

لا تفتت إلى هذا ، لأن الله متكفل بأرزاق الناس .

ولم يكن من أن يرشح الأسير لهذا العيب الجديد . وبعد أيام كانت الزوجة

الجددة في مرله ، وقد تمككه اقناع شديد بأن هذه السيدة ، لم تكن إلا عينا للجددة
عديه ، وكان يحكى في بيته بعض النع فأسرع ونفله حتى لا تشي به الروحة انفرودة
عديه ، فيحكم عديه شدة العنوبات لارتكاب هذا المذكر الذى حرم في السودان
كحرمة الحجر .

وفي ذات يوم جلس هورى باشا مع هذه الزوجة يناولان الطعام ، وكان من حذر
النرة ، وإدامه من ورق اللوبيا . فرأى الدموع تنساقط من عينيها ، فسأها عما يبكيها ،
فأشارت إلى هذا الطعام مائقة فتناول منه مدحشا :

— هذا طعام أسرار أسدى .. فردت وهي تفتجب :

— نعم الله أسدى وحليته لقد هنكا عرضى ، وقتلا أهلى ، وسلبا عملى .
وعاودت بكاءها بصوت يمت السكند . فسألها فوزى باشا عن أهلها ، فذكرت له اسم
أبيها ، وكان من قواد الترت في الخرطوم ، وله ابن كان يشغل مصصا ساميا في حط الأسواء .
ولم تكن هذه السيدة تعلم عن أهلها شيئا ، بعد أن سبيت ، وصفت إلى حريم الجديعة
فأرسل هورى باشا ، واستدعى أهلها ، وكأوا بالقرب من كوخه . وكان لقاء ، وكان
بكاء ، وكانت فرحة الأسقاء بالأحباء ..

وقد أسى هور المصائب هؤلاء المصابين في بيت هورى باشا ، بأن في البيت
زوجين ، وإن العيرة من طنائع السموس . فقد أغفلت الزوجتان ، القديمة والحديثة كل
شيء إلا أن معاونا زوجها المكروب في احتمال أعائه ، وكانتا تقصيان الهزار ، وشطرا
من الليل في حياطة الماس للدرأويش بأحر طفيف ، ولكنه كان يكفى لكي لا يموت
الجميع جوعا .

ولم يس الله هؤلاء الأسرى الساكين ، فقد كان الأهل والأصدقاء في مصر ،
يهربون لهم النقود ، ويضعون بعضهم نخططا للهرب إلى الشمال . وكان من الذين عوا
هورى باشا صدقه محمد ماهر باش محافظ القاهرة ومحافظ أسوان أثناء هذه الحوادث ،

اسى أرسل مع أحد لتحرار عين حبيبها المحير يا إلى أسير الخديعة . كما قدم له هذا
البحر هدية من السكر والصون والبن والملاس ، وكانت هذه المنة كأنها لفته من
السم ، فتحت فيها يبيع السعادة وبردق .. ارعون حبيب . ملاس . سكر .
هذا عظيم . هذا شىء ، أكثر بكثير مما كان يحجر به لعذب المسكين في محبته .

وكان فوري باشا يقيم بحوار يوسف منصور كما قضا ، وكان يوسف هذا عبد عنه
ومكلفا بحراسته ومراقبته . فقرر فوري باشا أن يبنى لنفسه منزلا جديداً في حي
المسيحيين ، كلفه نحو مئة ريال ، وانتقل إليه . ولكن ما لست يوسف منصور أن
الخديعة بأنه غير مسؤول عن فوري . فر بعد أن أقام بعيداً عنه ، فصدر الأمر بعودته
فوراً ، فدفع المسكين مائة الحديد وحسب فيه ٧٥ ريالاً .

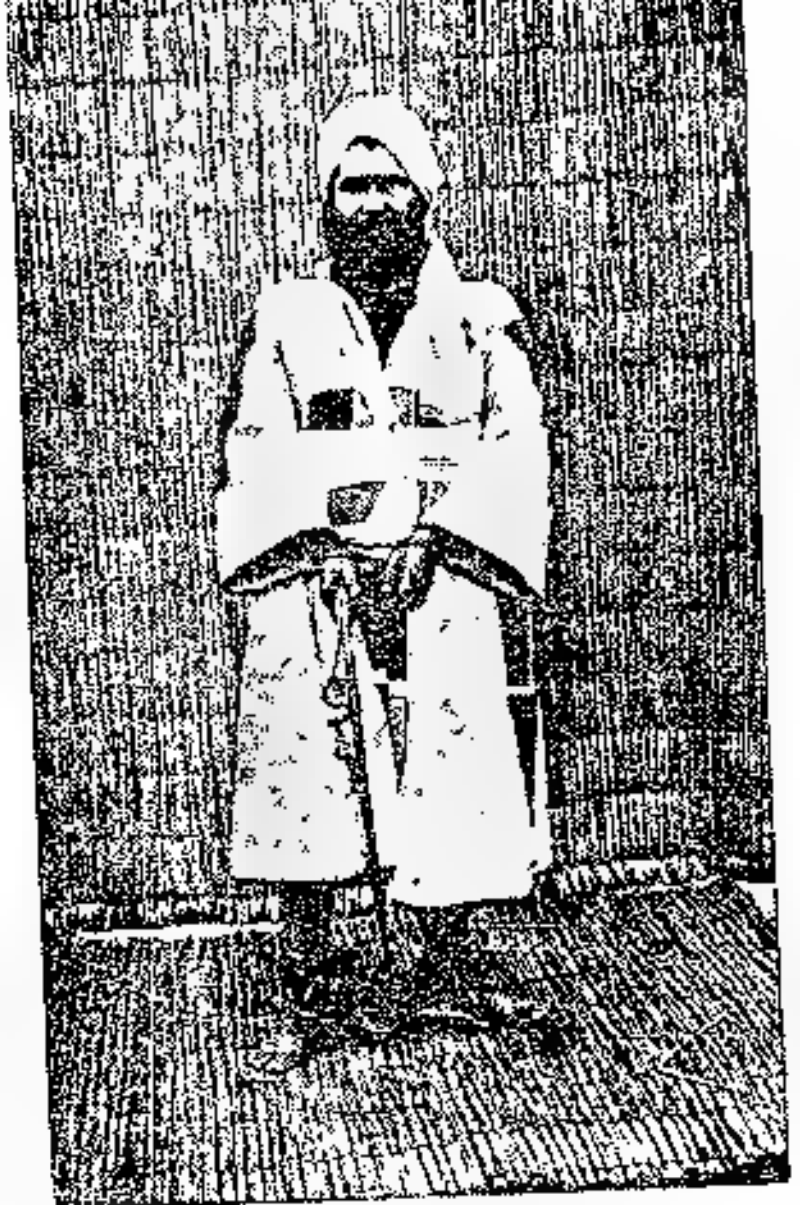
● ولم يكن الحرب بعيداً عن ذهن ابراهيم باشا فوري ، ولا عن ذهن أصدقائه لا
حكومته — وحدثت محاولة من هذا النوع ، كانت غاية في الخطر . فقد رنوا له في
مصر اعرابيين . بسلكا به طريق الشمال حتى الحدود ، ووصله ١٠٠ حبيه من مشين
أرسلت له ، فسد دونه من ٢٠ ، وترث لأهله ٤٠ ، وسار بالتقى مع دليله . وكانت الخطه
أن يسيرا إلى الجنوب ، حتى إذا أما انطلق عاد إلى الشمال على حال حثت في
إحدى القرى .

وحرم فوري باشا أمره ، وسار مع صاحبه ، في رورق الليل إلى الجنوب ، حتى
إذا أوبا إلى مكان متفق عليه ، رفض السير معه حتى يأتي معها آخرون من انصريين
وعده شهر مهمأ صا . وطن الانظار سبعة أيام ، كاد التلق حلالها يقتل ابراهيم فوري قتلا
وفي مهانة هذا اليوم . آه أحد كتبة يعقوب أحيى أخيه ، فقال له إن اعاشى يقب كل
حجر في اسودا بحثاً عنه . فم يستطع الحرب صرا ، وأندس صاحبيه . أن يعودا به إلى
الليل يعود إلى أم درمان ، إن لم يسيرا به إلى الشين فوراً . فأثرا أن يعودا به إلى النيل ،

وهناك وحد قاربنا ، أسلم نفسه له ،
وسار به حتى وقف عند إحدى القرى ،
ووجد مصرياً في القرية ، كان صائطاً في
الحامية ، فاسمعه يهتف بأرادت من
الأدب وصعباً على الشاطئ وأقام
محواره وبعد قليل أصبحا اثنين
يصلان نحوه ، بعد أن أراحا هجيهما
ولم يراه قال لهما .

أنتي قادمان من النجعة
المسورة ؟ فقالا نعم . فقال :
أهل حليلة المهدي عليه
السلام بخير ؟ فقالا .
نعم بخير وهو نقرأ عيبك
السلام .

فوثب واقف على قدميه وهما
يقولان



« فوري ناشي في ملابس الدراويش وقد شد قدميه إلى أثقال من الحديد »

بن الخليفة يدعوك للحضور عنده . فصاح بهما فوري

— ونادى لم يحراني بذلك قبل النجعة . إن أوامر الخليفة واحدة النجدة في الحال .
وسألاه عن غمامته ومطقتة ، فقال إن اللصوص سرقوها ، ثم نفق لها سلب وجوده
هنا ، وهو أنه كان يجمع بين بعض المحسنين حبوا ، وهو في انتظار سعيه يعود به إلى
الخرطوم . وجاء صاحبه الصائط وقد قوته ، وجمع سه عجمة وحامها ، وأردف أحد
الرسولين النشأ وراءه . وساروا حساً إلى أم درمان ، وقد وصلوها بعد ثلاثة أيام .
وأنحوا أمام باب النعشي فصاح به .
أين ذهبت يا زاهيم فوري طحان .



« فوري باشا وقد أنجحت قدميه بالحدود وأمامه أمه ، وجهها شارل بيوفلد وسوداني يبولان الطغام »
 — يامولاي إني شحصت إلى إحدى قرى الليل الأبيض لأال شيئا من احسل
 أولى البر ، فجمعت عشرة أراذب من البيرة ، فلم أجد سعيه شرأعه تحمسي فاقمت عنده
 حتى جاءني رسولاً»

وأيد ناسولان كلامه ، وقصا مشهده . وهذا الخليفة وقال .
 — من الذي أدن لك بالسمر ؟ فاستحل فوري باشا كدونة وهي أنه أحد إداما
 من مقدم « حاويش » فقال اخليفه :
 أمثلك ياخذ إذه من المقدم ؟ فاجاب

— كلا ، ولكنني اضطررت لهذا السمر بسبب ماخفي من الجوع وصيق العيش
 فامر التعايشي بان يوكل بآراهم فوري ، فقارى وهي قبيلة الخليفة — لكي يلازمه
 دواما وما أن رآه فقارى حتى قال به في دهشة
 — ياولد انك لم تد أنت صحم هكذا ؟

فاحي فوري باشا أسه في نفس ، وقال
 هكذا حاقني الله ثم رد فقارى مع فوري باشا إلى ممره يساول معه

الطعم . وطل يلذمه هذه الصورة ، أروع سين كاملة . لم سقمه منه إلا .. إلا حادث
اعقه السحن سجن فوري لا التقارى —

وقد احتفل الثعاشى ناعشور على ابراهيم ماشافورى احتمالا صحيا ، وطست الطمول
بدق والأواق نفع ثلاث ساعات كاملة .

ومد ذلك الوقت أصبح من واحسات فورى شاشا أن يطعم حارسه وأن يداريه
بالمال حتى لا يحتق عليه الأكاديب فسكل به الخليفة . وكان عليه أيضا أن يخدم
هذا التقارى . أن يحمل له سلاحه إذا سار ، وأن يصكون وراءه دائما ، تعظيما
لحرسه وإكباراً .

وارداد الحرس حارساً آخر ، فاصحبا اثنين وحاطباه نقولها :
ناولد ابرهف ، أعلم أنك كافر وقد أسعكت الخليفة اليما لعلمك الصلاة والصوم .
وهكذا لم استطع فورى شاشا التحلف عن الصلاة بالمسجد ، وكان يسه بعد عن
المسجد أربعة أميال . فسكل يخرج قبل صلاة الفجر ساعتين ، ويظل في المسجد يتابع
انصوات في أوقاتها ، بحيث لم يجد وقتاً للراحة ، أو الاختلاف إلى منزله في أثناء النهار
بعده عن المسجد .

والخاجة شق الخيفة . فقد اتفق مع الحارسين على أن يرشوشا مرارين في كل مرة
يتحلف فيها عن الصلاة في المسجد ، وهذا ردة على وحسات الطعام معه في بته ،
وردة على قبوله الذهاب إلى حيها مرة كل أسبوع ليكتب نحو مئة خطاب أو أكثر
للقارة ، ويقرأ لهم ما يرد من رسائل . وكان أهل هذه القبية واثقين من أن الخليفة
أنعم عليهم بهذا « العبد » الأبيض لكي يخدمهم .

وكان نساء القارة يصنعون آنية من سعب الدوم ، محكمة الصنع إلى درجة أن الماء
لا يقطر منها ، وكانت تشهد للشرب . وقد ألزم الحارسان أسيرهما أن يبيع لهما كل أسبوع
بعض هذه الآنية وإذا أحقق في إيجاد مشترين فنسب به شهمة الكفر فوراً ، ويهدد

تسبيح الخليفة، ويعود إلى معرفته يسجدونهم ثم هذا الخوص ، وعند ما يعود به يقول له
حارساه الآن سلمت ١١

وقد أمطت صربية لصلاة عاتق فوري باشا ، فطال تسجل ويتدلى ، والصربية
سجعت إلى أن وصلت بعد عدة أشهر إلى قرشين عن كل فرض
وطل فوري باشا في ملاء من حارسية أمة أعوام ، وفي ذات يوم دن المؤذن في
المصريين من الرجال ، أن يجتمعوا في صعيد واحد ، وفزع « أولاد ارف » من هذا
الدير ، فقد كانت هم عهود بامناه يس فيها ميسر ، وليس فيها إلا كل شؤم وشمر
فما كان موعد اللقاء ، أقبل التعايشي ، فقبل المصريون لمقدمه ، وكانت عدتهم في
ذلك الوقت نحو خمسة آلاف رجل وكان فوري باشا مرونيا في آخر الصوف ، فإداه
الخليفة ، وبعد حديث ، فيه أنواع الملقى اتى أحادها ، أمر الخليفة ، فثرت على الأرض
رعة أكياس من التمر ، وأمر المصريين باستطعمها فاقبلوا عليها ، وحمل فوري باشا
حرأ منه وقال للتعايشي أنه يتبرك بتمرحبته المهدى ، ويريد إهداءه إلى أهل بيته ،
فسر منه الخليفة ..

ولم يكن هذا الاجتماع يحمل مدحاً سيئة ، بل على العكس ، أمر الخليفة فأنصرت
راية سميت لفوري باشا وعين أميراً (رئيس أو قائدا) لجند مصر لطاميين الدير دخلوا
في طاعة المهدى ، وعين آخرون من المصريين أمراء على طوائف أخرى
وقد فرح فوري باشا بهذا « المنصب » الجديد ، لأنه أحله من حراسة القارين .
بعد ردها أمره إلى الخليفة أنه لا يدرمها في الصلاة ، فأسدعه وسأله ، فقال ان يعينه
أميراً ، دلالة على رضاء الخليفة عن ندمه ، وأنه يستطع الآن أن يتبرع هو انكسر من
قلوب الناس ، فحاره ، ورفع عنه هذه الحراسة المقيدة التي أرهقته وأعنته مادياً ونفسياً
عدة سنين .

● وكان أساع المهدى بالحملة يحتقرون المصريين ، و شكور في واياهم وفي كل حركة

تصدر منهم . حدث ذات مرة ، أن حاويث مصر ما كان يبيع « الترمس » وصادى عليه نقوه : « نرج » . فأمسكه حاكم السوق ، وقال املك مهدنة عو لله أن يعود حكم الترك مرة أخرى ، وتروى المهدية من السودان ثم أمر بحلده مئة جلد . فلما اشد وقع السياط على حسد الحارث أشد بصيح « لا نرج .. لا نرج » . وترى الرجل هذا النداء واستندله نأحر هو « حليها على الله » ، فجلد مرة أخرى نفس التهمة ، فعدل عن كل ساء من هذا النوع ، ولعله اكفى نقوه « ترمس »

وحدث مرة أن إمام أحد امساحدى احدى القرى ، دعا الله فى حطه الجمعة قائلا : اللهم حول حالنا إلى أحسن حال . ولما بلغ الخسفة هذا الدعاء أمر بعزل الرجل وحلده ، فلما سألهم ماذا كان يمسك أن يقول ؟ .. أجيب : - « اللهم أدم علينا هذا الحال !! »

ومع مصى الزمن تسلى بعض المصريين إلى اوطائف الكسبة فى بيت المال ، والنعبة فى مصنع للارود ، وذلك لسدرة عدد المتعدين والقيين فى معسكر المهدية ، إلا أن عددا كبيرا من الذين يحوا من أصحاب امراكر السامية ، والسكاة الاجتماعية المروفة كانوا يبعون الخمر ويتحرون فى السلع التافهة ، وما أكثر ما كان تصادفهم ما صادف فورى ماشا حين أبحر فى الطييح .

وقد أصدر الخليفة أمرا بأن كل مصرى يوحده عند نقطة معينة فى الشمال (حور شنات) يهدر دمه وقتل فورا ، خذرا من الحرب . ومع هذا كان بعضهم يفر ، ومنهم من مات فى الطريق ، أو رد إلى الأسر فالقتل

وظل حال فورى ناش ومن معه على هذا السؤال إلى أن هرب سلاطين

● وسلاطين عمسوى من أسرة كبيرة كان يعمل أفرادها فى بلاط الامبراطور ، وقد شغف بالرحلة والمعامرة ، حتى اختارته الحكومة المصرية - ماء على وصيه غوردون - مدبرا لدار فور عام ١٨٨٤ . فلما صيقت عليه الحركة المهدية اخفاق استسلم معه أن فقد كل أمل فى اثناء منطقه على ولائها الحكومة ، وقبيل تسليمه بظاهر باعتراف الاسلام وأسمى

عنه « عند فقد صلاح الدين » ، وطل في أسر اميدي ، ثم تعايش إلى سنة ١٨٩٥
وقد هيئت له القصصية المسموعة كل أسباب الفرار ، كما أحكم إعداد حصنها قلم الخانات
ابريطاني ، لدى كل رأسه « داك سر وحت » ، وقد تمكن من الفرار إلى الحدود المصرية
في ذلك الوقت .. وصحبت اقامته وفراره لكثير من الحوادث الصريفة المثيرة ، أوردها
في كتابه « السيف ودار » ، الذي ترجمه سر وحت إلى الانجليزية ، واستفاد منه ، ومن
معلوماته في حمة كسبر للقضاء على حكم التعايشي

وما يعيننا من قصة سلاطين أنه عند ما هرب ، حدث في أم درمان قلق كبير جداً ،
واضطرب التعايشي اضطراباً عظيماً لفراره ، وأوقع بعدد كبير من الدس الذين اشتركوا
في شهره ، أو طرأ أنه كانت لهم صلة في فراره . وقد تراء سلاطين رسالة ^(١) للتعايشي
كان له فيها مد أن أهدى عليه أعزباً من المدايح ، به بعد أن أقام بيت الخليفة عشرين
استمتع خلالها بعطفه وكرمه ، اختد به حبه لأهله ووطنه ، فسافر ليبراهم . ولكمه وهو
يرحل ، يعرف عن شدة تمسكه بالدين الحق . ويدكر أنه لن يخون الحر والملح حتى
يدركه الموت ، ثم يقول انه أخطأ إذ لم يستأذن قبل رحيله ولكمه بطلب العفو والسماح
ويعود فيؤكد وفاءه ، للخليفة وللإسلام ويطلب تركاته اميدنه .

وقد وجدت هذه الرسالة في أم درمان بعد سقوطها ، وكان للثورة عليها دوى كبير ،
وسكن يظهر أن سلاطين اتحد من كتابتها خط رجعة له ، فيما إذا قص عليه ، وأعيد
إلى الخليفة مرة أخرى

ويدكر « بيوفلد » اندي أورد ساً هذه الرسالة ، أن الخليفة بعد أن تنس من إعادة
سلاطين ، أمر بأن تقرأ هذه الرسالة في المسجد ، وفي نواحي أم درمان ، وكان قصده

(١) لم يورد سلاطين هذه الرسالة في كتابه ، ولكن الذي ذكر بأها ، هو شارون بيوفلد ،
في كتابه « سبعين الخليفة » . والمؤلف الذي من المشتبهين بالتجارة أعمره ريش السودان وعنه
وصيحه محاولة الوصول إليه في أيام حكم الخليفة لمفس عنه ، وكاد يشق ، وسكن ظاهره
بعساق الإسلام أنجاه

التعيشى من اداعة محوياتها أن يطمش أنصاره على أن فرار سلاطين لن يحمل في عقابه
أى شر . كما به أراد أن يعهم الأسرى المسيحيين أن صاحبهم الذى فر لن يعدم شيئ ،
هنازال على وفاته لأسريه ، وتمسكه بالاسلام ١

والحقيقة أن موقف المسيحيين المتطهر من بالاسلام كان حرجا ، فقد حسوا أن فرار
سلاطين سيحلف و يراه أسوأ انطون بالنسبة لهم . إلا أن حادثا عارضا كان قد وقع في
مطعم هذا انعام ، وقام إلى حين .. وهذا الحادث هو أن أحد أنصار الخليفة (يوسف
مصور) اقترح أن « ينظير » المسيحيون وهم انديس سمون « السهاميون » وقد قتل
معظمهم احراء عمية ، لتنظير ، على أماليب الجراحة الخشنة التى نقت في امد من ولكن
احراء هذه العملية لهم . كان سدا نفسيا من أسباب الاقلاق من الشك فيهم . فلما
حدثت محنة فرار سلاطين ، حاتم ما أحدث في أجسامهم قبل شهور من رد فعل سريع
ولكن عودة الرجال الذين أرسلهم الخليفة في كل وجه للظفر سلاطين ، دون أن
يعثروا على حبره ، أشعل يراى اعصب مرة أخرى في صدر سيد السودان ، فجمع قصده ،
وأحد يشاورهم ، فقال له أحدهم انه لا أمان لمن كان وحمه أبيض ، خصوصا اذا كان
ذا وظيفة في الحكومة . وتطوع آخر وقد كر أن سلاطين كان صديقا لاراهيم فوزى ،
وكاذا يشربان الخمر ، ويدخان النع معا ولا بد انه علم بفرار صاحبه قبل حدوثه . وقال
ثالث انه اذا كان سلاطين قد هرب ، فلا بد أن فوزى سيهرب ، لأنه أرفع مكانة من
سلاطين في الحكومة اذ يحمل لقب باشا ، في حين أن سلاطين لم يحمل غير لقب بك ..
ولم يعلق التمايشى صبرا ، فأرسل من أحصر اراهيم فوزى وأحد استحوذ به عن
سلاطين ، وفوزى يتصهر بالدهشة البالغة وهو يسمع قصة فراره ، وحاول أن يكرر اللقاء
الأسودة المعتادة التى كان يلقى به عصب الخيفة ، فقال .

— يا خيفة المهدي عليه السلام . ان سلاطين نصراني ، ارتد عن الاسلام ، وعاد
إلى دين النصرانية ، وقد أسسه الله عن التمتع بمشاهدة أنوار حبيبة المهدي عليه السلام

في الدنيا والآخرة . ومع ذلك ، فانه لحق بمصر التي يسوى مولانا الرحف عليها في هذا
العام ، ولا بد من وقوعه في قصة لمهدية ، ويندوق حراء حياته وفراره
ولكن لم تجد هذه التعويذة في الاقلال من شكوى الخيبة وهو اجسه ، وأمر به ،
فسيق إلى السحر ، وكان السحر يسمى السائر ، على اسم سحائه .

ووصف هوري باشا ما حل به في طريقه إلى السحر قال « اجندبي أربعة من
الحراس إلى خارج الباب ، وهناك اجتمع نحو خمسين مهم ، فاحذوا بمصر توبى حتى سال
الدم من أبي وحسى ، ثم برعوا عماقتي ، وشددوا بها وناقي ، وساروا في السحر
والسياط تمرق حسمى ، فلم أقدر أن أمشي إلا بعص حطوات ، ثم سقطت على وجهي ،
وقد أعنى على ، فأمسكوني ، وأسندني بعضهم ، واسمى الآخر أخذ بمصر في السياط
حتى بلغت باب السحر فلتقاني حراسه بالنصر بالسياط أيضا ، ووصعوا في رحلي ستة
قيود يربو ورها على راسين رطلا ، ووصعوا في قبتي حديد اكرام من الحديد ، وأمسك
الحراس عن صرلي بالسياط ، فالتفت إليهم ، وقلت أسقوني ماء . فكان جوابهم إعادة
انصر و هم قولون : مثلك لا يستحق شربة ماء ، يا عدو خليفة المهدي عليه السلام
ثم أدخلوني السحر »

وبعد أن قضى هوري باشا يساه في السحر ، جاءه في ليوم اسالى قاصيان من قبل
التعاشي يقولان له إن خليفة رأي وحب قتلك لأنك عمل ما يخالف مشورات المهدي
عليه السلام . فقال هما السجين : ان خليفة المهدي أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، وان
المهدي عليه السلام أخبر بأنه من أهل الكشف ، عاذا كان هذا القول من عندياته فهو
صادق ، وإلا فان أعداءه قبل زمن المهدي يريدون ، لو شاية واسكيب به . وعلى كل حال
فهو لا يطلب في ديباه وآخريته غير رضاء الخليفة ، فاذا عزم على قتله فهو رص ، وارا
استحياء فهو راص !

ودهب الفاصيان مهد ، الخواب ، وعادا يقولان إن حليمة المهدى عذ عنه ، واكتفى
بالسحر المؤبد بدلاً من القتل !

وما لست أحرور أن ألتحقوا فورى ، شافى سحبه منهم شرل بيوفد الالامى . وفى
مرة أمر كبير السحدين أن يربط الرجلان معاً فى حديد واحد ، وتصدف أن أصيب
فورى مخي ، وأصيب صاحبه الأمانى متوسطار ياشددة ، كانت تدفعه إلى قضاء حاجته
كل مصع دقائق ، ولكنه لم يكن يستطيع استصحاب فورى معه لأن الحى كانت قد
سلت قوته . فقام الاثنان خمسة أيام يتعلمان عذاباً لم يره أحد ، حتى مرت بهما إحدى
روحان « السائر » ، وهى مصرية ، ورأت مافيه مواطنها المصرى من كرب عظيم ،
فراحت تشمع روحها الذى أمر باطلاقهما من القيد المشترك ، وحصل كل منهما قتيده .
وكان عدد حراس السجن نحو مئة . ولم يكن هم مرتبات ، من حزمة بيت المال ،
اكفاء ، بما يهرصونه على اسحويين من صرائب والويل للمسحور الذى لا يوفى ما يطلب
منه ، ولا يهدى السحابين فى أعيادهم ورواحهم ومولد أسائهم .. الخ . فانه يعرى من
نيابه ، ويوضع فى شمس الصيف المحرقة ، وتهال عليه الشياطين متواليات بغير عدد

وقد فرض على ابراهيم فورى أن يدفع ريالاً كل يوم فى سحبه ، نظير تركه واء
أحد الأبواب لكي يستشق اهواء من شقوقها . ولم يكن يملك مالا ، وسكن كارب
تولى عنه هذه المصرية نحر يونانى كانت له بفورى باشا صلات قديمة أيام أن كان
حاكماً لمدرية سط الاسنواء . وحلت هذه المصرية بدفع حتى سقطت أم درمان فى يد
العساكر المصرية بعد خمس سنين طويلة

وحدثت للسجين هذه سئة ، فقد تمى إلى اسحدين ، أن ابراهيم شاف فورى ،
قرب الخديوى عباس ، فعاد أسكر هذه القراة ، ساقوه صرباً بالنسيط إلى كبير
السحابين ، ودكروا له إنه قال عن العاشى « حليكم » ، ولم تكن حليمة المهدى .
فتح المسكين فى الاسكار ، عسى أن يعاثر من عذاب الخلد ، وامتشهد شرل بيوفد

فاحصروا شارل وهم يوسعونه في الطريق صرناً ، وقد أيد شهادة فوري أمر كبير السجائين بأن يجلبه الألمانى خمسين حدة ، وأن تصاعف قيوده ، لأنه لم يحسن الشهادة . أما فوري باشا ، فقد صبح به هذا الصنيع ، ورح به في حرفة الاعداء ، حتى يستصدر صاحب السجن أمراً بالتنفيذ . وبعد شفاعته ، وصراعه ، قل أن يتقاضى عشرين ريالاً على أن يسكت عن اطلاع الخليفة ..

ولم يكن فوري باشا يملك دافعاً واحداً ، ولكنه كان يملك عبداً اسمه « لدوم » إذا باعه لا يتقاضى من ثمنه هذا المبيع كما أنه أصر على عدم بيعه ، وآثر الاعداء ، لأن « لدوم » كان يطوف كل يوم بيوت المحسين من معارف فوري باشا ، يجمع منهم هباتهم لكي تقتات أسرة السجين . وفي آخر الأمر رثا لحاله اثنين من أضياء بربروسا على أثر فرار سلاطين ، وقاما بدفع هذا المبلغ ، وبذا نجا من موت محقق

وكان لاراهيم باشا فوري اس اسمه محمد ، وقد اقترن ميلاده بشبه المؤامرة التي انصفت تأييده في الأيام الأولى لقوط الخرطوم . وقد شب هذا انغلام وكان في الساعة لما سجن أبوه ومضت شهور السجن حتى أصبحت أعواماً ، فلما رادت على ثلاث سنين ، أوعز فوري باشا لاسه محمد ، وكان قد جاور العاشرة ، أن يذهب إلى الخليفة يستعطفه لاطلاق سراح أبيه .

وكانت هذه شفاعته شراً على الجميع فقد قال الخليفة : هل يلد الثعان إلا ثعباناً . ثم أمر به فوضعت القيود في قدميه ، ثم أمر أحد أعوانه بأن يسجن انغلام عنده ، وأن يوكل اليه خدمة الخيل .

وقد حزن فوري باشا لسجن اسه ، أو كاد . وطل في هذه الحالة الألبسة حتى أتمتت الجميع حيوش الفتح .

الفرج

لم يكن اعداد الجبهة المصرية الانجليزية لاستعادة السودان متفقا تماما مع خطة الحكومة البريطانية. فقد كان التصميم الأول يقضى بأن تمنح السودان من الجنوب قوات من الامبراطورية ، تقتطع اجراءه من الدولة المهدية تناعا . إلا أن عامدين حلا على أن يكون الفتح من مصر ، وهما عدم الفرنسيين في منطقة بحر العرال ، والرعة في مساعدة القوات الايطالية، التي هربها الأحباش هزيمة منكرة في عدوة، على الانسحاب دون أن يضايقها السراويش .

وقد أعدت هذه الحملة حسب ما يقضى به القواعد العسكرية الدقيقة ، إذ نظر إلى مواصلها ، وقرر أن يكون ورائها خط حديدي يصممها بحفا كما أحسن تمويها وإمدادها بالأسلحة والذخائر الكافية وأضيفت اليها مجموعة من البواخر لتهريب الأسلحة كانت ذات أثر قوى حذا في تدمير القوات المعادية . وإذا أضفنا إلى هذا كله أن الحكومة المهدية في السودان لم تستطع أن تقيم قواعد ثابتة لتموين الأهالي ، مما أدى إلى انتشار الجماعات الدريعة ، التي لم يكف في التحصيف من فتكها الدعوات ، ولا قراءة الرواتب المهدية المقررة .. كل هذا أضعف الحماسة للحركة الانقلابية ، وأكثر من أسباب التدمير ، والرجاء في أن تعود مصر إلى السودان كما كانت بحيرها وعدلها ^(١) ، وإن كان

(١) عندما بدأ من النجوى رجعة عن مصر ، اشتبك مع الحماسة المصرية أول مرة عند « أرعين » وفقد نصف جنده هناك ، ثم ألقى هيبه الحبش في معركة « حوشكي » كما ذكرنا . وقد كتب أحد الكاويش إلى أهله في « أرعين » يقول إنه دح حرسه في ليلة المعركة ، ونفى من خلفها هو ومن معه ، وادحر الباقي لكي يوصله إلى حدود (السكفار) المصريين ، وهناك سيجد طعاما أو حرا ولحدي أقوى يضطر إلى دح حرسه ، لأنه أن يكون هو ومن معه في منك شديد

هذا لم يتبع الحقيقة عند الله . من أر يعتمد على قبلة القناريه القوية . ذات الحلة في الحرب .
والجسمه في القتال . وعلى آحر من ما تزال قلوبهم متدفقة بالحراره المدييه
وسبق الآن في المرحوم ، وفي سجن « السير » بالذات الذي صم كدر الأسرى ،
وعلى رأسهم ابراهيم باشا قورى ، نسعرص أساء الزحف المصري هناك . فقد كان
الحدث يكثر في كل مكان عن « شيطان من حديد » يستعين به الكهنة في رحلتهم ،
ولم يكن هذا الشيطان غير القطر الحديدي الذي تنده انوحات المصرية ، والذي لم يكن
لمعظم السودانيين عهد به

وفي كل لحظة ، كاس نبي الأساء هريجة الجيش المصري ، واستعصار
« الأنصار » . وكس رج في السجن بعض السودانيين الذين هجروا القوات اراحة
إلى صفوف الدراويش ، فشك الحقيقة في أنهم جواسيس كشر فأمر بهم فسحبوا .. ومن
هؤلاء ، عرف المسجونون كل ما حدث ..

بحرارة الجيش من عكاسة إلى فرقة في طانورين . أحدهما بحذاء النهر وهو مكون
من ٧ آلاف حدي والثاني من طريق الصحراء شرق النهر وكان مكوناً من ٤ آلاف
حدي . وكانت الأوامر تقضى بالرحف ليلاً ، وأن يكون المسير في هدوء ام ، وكل من
يشمل سيحارة ، أو راً من أي نوع بدم هوراً . وقد أشت المصريين في رحلتهم الليلي
أهم على أعلى درجة من درجات النظام ، باراء هذا الامتحان الدقيق لقوة أعصابهم أثناء
رحلتهم الليلي^(١) . وبعد سير طويل اقترب النهر ، وأحد طانور الصحراء مكانه
مواجهاً بعسكر الدراويش الذي كان يقوده حموده ادرس . وفوجئ ، حد انتعاشي
مفاجأة امة بسيل منهم من القبائل والرصاص نصب عليهم انصافاً وبدأت المعركة ،
واستمرت مدعه ونصف ، وانتهى القتال بالفصاء على قوه العدو . وفقد المصريون عشرين
قبيلة وثمانى حرجى ، وفقد الانحير قبيلة واحداً وقتل من حش الدراويش فائدهم
حموده ، وعدد كبير من أعوانه وحموده قدر ثمانى مئة في نفس ايدان

(١) هذا من كلام « توريدج » الراسل الحرجى الذي كان مرافقاً للحملة . وقد امتدح بسالة المصريين
و سودانيين امتداحاً كبيراً في جميع مراحل القتال ، وأثنى على سائهم العسكرية الفريدة .

ومن مفاوضات الحملة ، أن جديا سودايا في لقوة مصرية وجد أنه - وكان من
الدرايش - قبلا في ميدان المعركة ، فلم يبد تأثيرا كبيرا ، إلا أنه استأذن في غسله ودقنه ،
فأذن له

وتابع الجيش المصري مطاردة العرب الهاربة ، وأوقع بها خسائر جسيمة رفعت عدد
قتلاها إلى ألفين ، منهم أربعة وأربعون أميرا وشيخا .

وكانت هذه الهزيمة صدمة فسيية على دفاع الخليفة عن مراكزه الشمالية ، فأخذ
يسحب منها واحدة بعد الأخرى . ولو أن الجيش المصري لم يواجه قوة يعتد بها ، إلا
أن مرض الكوليرا هاجمه ، وبدت جهود حذرة لإيقاف سريان العدوى بين المعسكرات
حتى أمكر انهاء الوباء بعد أن سكب المصريون منه خسائر ليست قليلة

وعند ما وصلت القوات المصرية المصرية إلى دنقة واستوت عليها ، أمكن أن
يضاف من مهر النيل ٤٥٠ ميلا كانت تحت الحكم المهدي . وكان من بين الذين أسروا
في طريق الرحف الأمير حسن ولد السحومي ، أخو عبد الرحمن السحومي الشهير .

وكانت هذه المعلومات وهي تلقى إلى فوري باشا وأصحابه ، تزلزل كيدهم همة
وشوقا ، وكلما كان وقت خلاصهم يدور ، كان قلقهم يزداد ، ودق قلوبهم ندوى دوى
الطلل بين حوصهم .

ولم يكن فوري باشا ومن معه هم وحدهم الذين استند بهم لقلق ، ولكن معسكر
الخليفة أيضا بدأ يروع بهذه الأنباء الخفية . ولم يكن عبد الله يبالى سلسلة المراثم التي
حافت مجوده على شواطئ البحر الأحمر ، وعند الحدود المصرية ، بل ربما سر من عصها
لأنها خلصته من بعض دوى الرؤوس الصلبة . أما الآن فقد تغير الأمر ، ونددت الأحوال .
أقبل عثمان دنقة على الخليفة ، فسأله :

ماذا لديك من الأنباء ، وكيف حال الأنصار ؟ فأجاب

— سيدى .. قدت الأنصار إلى الحمة !!

ولقد تعود الخليفة على ممانع هذا الرد ، وهو يستمع إلى الهزائم ، فكان يقله ساكناً ،
أما الآن فقد ران السكون ، وقال الخليفة لقائده .

— ولماذا لم تحقق بهم إلى الجنة ؟ فأجاب غيبر :

لم يأذن الله عد . ولعله سبحانه وتعالى ادخرنى لعمل مهم سأقوم به .

وهكذا بدأت أم درمان تحبس بالقبضة الثقيلة التي بدأت تطلق على عقبها .

وكانت مهمة السجاء محصر في أمرين : أولهما امداد جيش الفتح بأدق المعلومات
عن حالة جيش الخليفة ، وعدد سادقه ، ومواقع طوابيه ، ونوع بادهقه وهكذا . . ولم
يكونوا يعدمون وسيلة لهذا ، ولا سيما أن الملاحور ونجيت ، رئيس الخارات كان معياً
أن يرسل هم الرسل في أرياء مختلفة للوقوف على ما يريد . وأما المهمة الثامنة ، وهي
هامة جداً ، فكانت تتمحور في اقناع أمير السجن « ادريس السير » في أن يحسن
معاملتهم ، وأن يبقى على حياتهم . وقد قص فوري باشا على ادريس ما حدث في أثناء
الثورة العراقية ، فقد كان في سجن القاهرة مدير عدب مسجوبيه وأدافعهم عذاب الهون ،
وفي الاسكندرية آخر أحسن معاملتهم وهياً لهم أسباب الحياة والراحة حتى أقبل جيش
العرو . . أما الأول فقد فر ، ولكمه أحضر ، وشق في سجن . وأما الثاني فقد رقى
وأبقى في مكانه .

ولم يكف أدريس عن تقليب الأمر على وحوه : هل يبقى مع مسجائه ، ومنتظر
الفاحين ، أم يقتلهم ويفر مع التعاشي ويشاطره مصيره ؟ .

وأخيراً .. أخيراً نعلب الرأي الأول . وكلما تقدمت الحملة في رحبها ، كلما ازداد
احساناً إلى من عدله حتى انتهى به الأمر إلى أن أودع جموده من القارة المتحمسين في
درابلات الاعداد وغيرها ، ووكل إلى الأسرى حراستهم . . فمسحوا معير الحال !

وأدت اتصالات السجاء بالجيش اراحف إلى تحديد موقع السجن ، فلما اقتربت
السن المسلحة من مواقعها المعدة لذلك الاستحكامات والطوائى ، كانت القنابل تمر فوق



طوم في يد كفسر

اسودان ، وما يزال حتى الآن مرهوعا بجوار اسم المصري

السجن ، وتبرل في كل مكان ، وكان كل انحمار حولهم ، يعنى فلك حقة من حقائق
الحمد التي تقدمهم .

أما الخليفة ، فقد ظل يوالى عقد محاسنه الحرية ، ويرسل الرسل والجواسيس
يستطلع أبناء كبار أسراه و رأيهم في أحسن حطة للدفاع ، ويتقصى معلوماتهم عن خطط
كثفرا المحتملة .. وأخيراً قبل الخليفة الحركة ، في سهل مكشوف شمال أم درمان ، وقد تجمع
حواله نحو مئة ألف ، بطهم به ما كان سئمهم به عن اتصالاته بالسماء ، وهبوط الوحى عليه
بالصر ، وأوامر النبي ، وأوامر المهدي ، ولكن يظهر أن قبائل المدافع لم تكن
تلقى أى وحى سماوى فقد حصصت الجيش حصداً ، وقتل قائده : يعقوب أخوه ، وشيخ
الدين اسمه ، وعدد عظيم جداً من المقاتلة . وفي أثناء هزاع الخليفة ، مد أن حاول جمع سائه
ومتاعه ، كانت هبة المهدي تهاوى تحت قبائل المدفعية وكان الحكم كله يدوب ويول
إلى الأعداء ، ومعه جميع أقطاله و رجاله من حنية وأمرأ ،

وكان أول الأسرى الذين استدعاهم السردار شارل بيوفد الأمانى ، ولم يذكر
شارل في كتابه شيئاً عن فوري باشا ، ولا كيف أطلق سراحه ، وذلك لسبب بسيط ، وهو
أن هودى باشا كان كبير المصريين في السودان ، ولم يكن من المهم أو اللازم أن تذكر سيرة
هذا القائد ومناصيل إطلاق سراحه وعودته إلى وطنه .

وقد عاقب القدر شارل بيوفد عقوبة عادلة بأن قوبل من السلطات البريطانية في
القاهرة بمغفأة كبير ، ووصف بأنه كان يصنع للخليفة السارود الذي قتل به الانجليز
في حملة الغزو .

هذا محمل سيرة مصر وتضحياتها الشعبية في السودان ، وهذه قصة قائدها هناك ،
وآلاف مؤلفة من أسماء مصر ، وما ذاقوه من كمال في أيام الأسر ، ومن ايمان
— من الجميع — بعد عودة الحرية

ملخص التواريخ الهامة

سنة

١٨١٩ قرر محمد علي باشا فتح السودان وضمه إلى مصر .

١٨٥٧ زار سعيد باشا السودان .

١٨٦١ شرع السر صمويل بيكر في كشف أعالي النيل .

١٨٦٩ عين الخديوي اسماعيل السر صمويل بيكر قائداً لرحلة ضم مسع النيل إلى مصر

١٨٧٤ عين الخديوي اسماعيل الجنرال غوردون لمواصلة ضم مساع النيل إلى مصر .

١٨٧٥ اشترى الخديوي اسماعيل ميساء ربيع من سلطان تركيا، وامتد حكم مصر حتى برره

١٨٧٦ عقد غوردون معاهدة مع ميساء ملك أوغندا ، وأوفد اليه شتمزلر (Schnitzler)

أو « محمد أمين » ممثلاً للتاج المصري

١٨٧٧ بعد انتهاء خدمة غوردون في العام الماضي ، عاد الخديوي فعليه حكمه داراً عاماً على

السودان بما فيه مديرية حط الاستواء . وفي هذه السنة أمر غوردون باخلاء

ميربدى وكيرومو ، وهى من المخططات الرئيسية في منطقة المساع

١٨٨١ أعلن محمد احمد مهبينه ، وبدأ نشر دعوته الدينية .

١٨٨٢ حصلت اخنود البريطانيين مصر بعد هزيمة عرابى باشا في النيل الكبير

١٨٨٣ سقطت الأبيض في يد المهدي وفي نفس السنة احتل عثمان دقنة مراكر

العاميات المضربة في شرق السودان وفي نوفمبر من هذا العام دمر المهدي جيش

الجنرال هيكلسمير بما صاحب الأبيض نتيجة أخطاء فاحشة ارتكبتها

قيادة الحملة .

١٨٨٤ في فبراير من هذا العام أوفد غوردون إلى الخرطوم تمويض لاختلاء السودان

وفي ٢٦ مايو من هذا العام سقطت بربر وقطع خط الاتصال بين مصر والسودان

وفي هذا الوقت بدأت حملة هيرية بقيادة اللورد ولسلي (Wolsely) تتحرك لاقاد

عوردون . وفي سبتمبر أرسل عوردون مساعده الكولونيل ستوارت لشرح
الحالة والتعجيل بارسال بحدة فدية في الطريق .

وفي هذا الوقت استولت بريطانيا على برزة ورابع من الأملاك المصرية
وأصافت هرر إلى أملاك نجاشي الحبشة .

١٨٨٥ في ٢٦ يناير سقطت الخرطوم ، ودفع شارنس عوردون و ٢٤ ألف مصري من
المندبيين ، وسييت ٣٥ ألف فناة وسيدة من المصريات وهذا غير الخيالات العسكرية .
ولما علمت حملة الاتحاد بسقوط الخرطوم عادت إلى الشمال .

وفي هذا العام احتل الإيطاليون مصوع واستولت منها الحامية المصرية .
وانسحب امين باشا حاكم خط الاسنواء إلى وادلاي .

وفي هذا العام حاولت المحلثة أن تستولي على شاطيء البحر الأحمر السوداني
وأن تنشئ حصا حديسيا إلى برزة ، وفقدت قوة قوامها ١٣ ألف جندي تحت قيادة
الجنرال حراهم . ولكن هباء دقة لم يتمكنها من إتمام مهمتها

وفي يونيو من هذا العام مات المهدي ، وحلله عبدالله التعايشي
وفي ٣٠ ديسمبر من هذا العام حاولت حيوش الخليفة عبدالله أن يجتاح
الحدود المصرية ، وردت الحامية المصرية هناك ، وأوقعت بها خسائر فادحة .

١٨٨٧ في هذا العام وانعامين التاليين ثارت دارفور على الخليفة عبدالله . وأخذت قبيلة
الكنايش في شمال كردفان تهرق حكم التعايشي بانتقاصاتها .

١٨٨٨ في ديسمبر حاصر عثمان دقة فارس السودان الشرقي آخر معاقل مصر ، وهي
مدسة سواكن . ولكنه هزم ورد عن المدسة بخسائر كبيرة .

١٨٨٩ في صيف هذا العام حشد التعايشي جيشاً عظيماً تحت قيادة أطهر قواد المهدي
عبد الرحمن النحومي ، لكي يهزم مصر ، وفي أغسطس دارت المعركة الخامسة
عند « طوشكي » بين اسوان والشلال ، وقد تمزق جيش الدراويش وسقط

النحومي قتيلا ، ورددت هذه الهزيمة أحلام النعاشي في عرو مصر إلى حين ،
وأقيمت في مكان المعركة مقبرة ضخمة تكبرا لهذا المعركة

١٨٩٧ تمت معدات الحملة لاستعادة السودان في العام الماضي ، تحت قيادة كوش ، وفي
أغسطس من هذا العام احتلت أبو حمد ، وفي سبتمبر احتلت بربر

وكانت القوة المصرية مكونة من عشرة آلاف جندي وكان عدد صباطهم
٣٣٣ صباطا . وتألفت القوة البريطانية من ٣٣٥٧ جندي و ١٠١ صباطا .

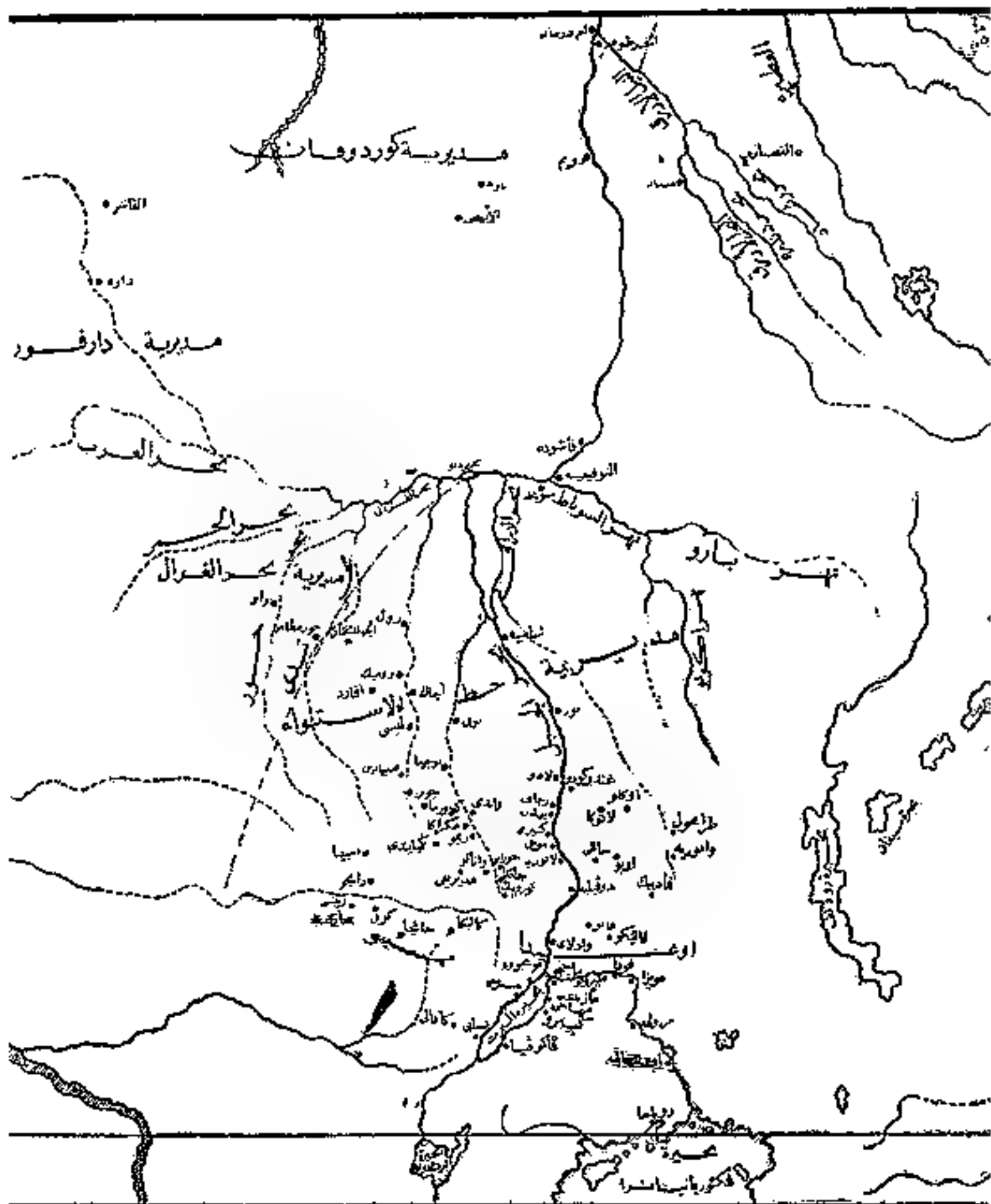
١٨٩٨ في ٨ أبريل احتلت قوات الفتح عطبرة ثم ريد عددها إلى ١٧,٦٠٠ جندي

مصري وسوداني و ٨٢٠٠ بريطاني . وكانت الوحدات المصرية تمتد في خطها
الخط الخديدي الذي كان ذا كبر عون للحمية على البحار مهمتها ساحاح .

وفي ٢ سبتمبر حدثت المعركة الحاسمة بين حشد الخليفة وحيش مصر ، فهرم
الداراويش شر هزيمة شمال أم درمان ، وكانت خسائر الخش في هذه المعركة ٥٦
قتيلا و ٤٣٤ جرحا . وهذه المعركة انتهت الدولة المهدية .

وفي هذا العام حاول الفرنسيون أن يفتالوا جبراً من السودان ، ووصل
مارشان إلى فاشوده ، وأسرع القوات المصرية لتحييض منطقة بحر النهران ، وفي
ديسمبر انسحب الفرنسيون

١٨٩٩ استقال شريف باشا من الحكم وحل محله بطرس علي باشا الذي قبل بوقيع
اتفاقتي الحكم الثاني .



حواش افندى . . وقصص أخرى

« والذين آمنوا وهاجروا وحاهدوا في سبيل الله ، والذين
«ءاؤوا وصرروا أولئك هم المؤمنون حقاءهم معرفة وررق كرم.»

- ١ -

● نحن الآن في مديرية حط الاستواء مره أخرى ، وفي عام ١٨٧٨ م . وهذا هو العام الذى أصدر فيه عوردون باشا حكمدار عام السودان ، أمراً بأقالة إبراهيم بك فورى من حكمدارية حط الاستواء لسماعه وشاية أحد السياح في حقّه ، وعين مكانه طيب المديرية وهو ألماني اعتنق الديانة الاسلامية في تركيا وتسمى باسم محمد أمين . . وقد منحه عوردون لقب بك وأعطاه اسبعت اللارمة لمباشرة مهام منصبه .

وقد بدأ أمين تقسيم المديرية إلى ثلاثة أقسام عين لكل قسم وكيل حكمدار ، الأول في « مكر اكا » (بيا بيا) في الشرق ، والثاني في الوسط ومقره « كرى » ، والثالث في الجنوب ومقره « ماجوجو »

● وفوجى . أمين في مستهل عمله بأمر صريح صدر له من عوردون ، وهو أن يخلى منطقة المايغ الواقعة جنوب بيل فيكورنا ، ويقصر حكمه على الشمال . فتلكاً في تنفيذ هذا الأمر ، فما أصر عوردون ، فبذله ولكنه عاد فاحل المساطق التي اخلاها بمحرد علمه تنحى عوردون عن حكمارية السودان .

وفي هذا العام بدأت صلات أمين اودية ترداد بالملك متبها صاحب أوعده ، وقد جاءت به هدية مكونة من عرتين ، ومزراقين ، وترس مصروع من القش ، وحوصان من الفخار ، وحذاء ، وقطعة من قشور الشجر مشقولة ، ومديتان من صمغ أوغندا

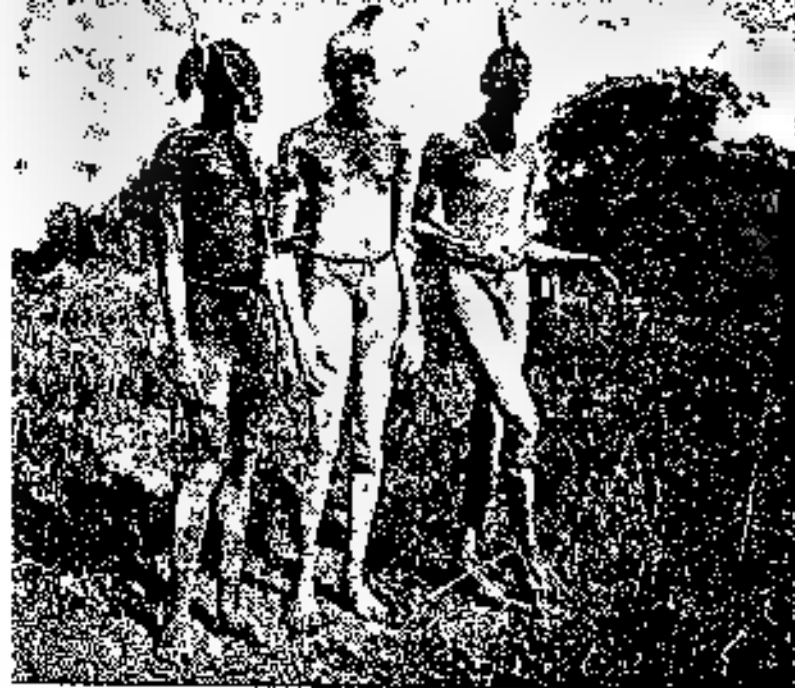
وقد عي أمين بك شوطيد الأمر في مديريته لدرجة أن أحد المنشيرين ، واسمه فسكن ، قام في العام التالي رحلة إلى البحيرات ، ذكر عنها أن الانجليز في إنجلترا سحروا من فكرة أماكن الوصول إلى أوغندا بطريق النيل ، حتى أن ستالي أكد له أن هذه العثة لن تصل ومعها نصف أمتعتها . ومع ذلك وصل أفرادها من « سواكن » إلى « روناجا » ولم يفقد منها طرد واحد .

ودكر هذا المنشر أنه عند ما وصل إلى « ارجاف » وجد قائد محطتها اسماعيل افندي حطاب ؟ وقد وصفه بأنه ألطف مصري وقعت عليه عليه . وسر سروراً لا يريد عليه إذ أهداه اسماعيل افندي كمية من الخبث والسكر والصابون

وكانت العاصمة في هذا الوقت قد نقلت من الاسماعيليه « عوسوكورو » إلى « لادو » ، وهي في غرب النهر وإلى الشمال قليلاً من العاصمة القديمة .

● وظل أمين بك مد تعيينه حكمداراً لخط الاستواء مدة عامين ، وهو يعنى على مديريته من دخها المصل ، دون أن يتلقى اعانة من الخرطوم . ولم تتأخر رواب الجدد مطلقاً . فلما كان عام ١٨٨٠ جاء البريد إلى أمين بك من الخرطوم فادانه بتخص عرله من مديريته ، وتوليته عملاً آخر في سواكن ، لأنه تردد في تنفيذ الأمر الصادر له باخلاء منطقة البحيرات . وقد حزن أمين حزنًا شديداً ، ولكن ما لست همه أن اهرج عند ما وصلت المعلومات بسر غوردون وتولية رؤوف باشا الذي تولى قيادة الحشد في هذه المنطقة الجنوبية مدة طويلة . وقد ألقى رؤوف أمر العزل ، وثبت أمين بك في عمله . وورد سرور أمين بك أن يده أطلقت في إقامة المحطات أينما أراد والتوسع في نشر الحكم المصري على أوسع نطاق .

● وقد استطاع هذا الحكماء أن يسجل زراعة الارز والبن في مديريته ، فأنشئت أحسن النتائج ، وكان محصولها مجزياً . ودكر صيدلى المديرية واسمه فيتا حصار افندي . أنه لا يوجد مرض أو داء عصا في « لادو » العاصمة ، ولا في محطات الحكماءية الأخرى



ولم يتقدم إليه للعلاج إلا أربعة مرضى بالحمل
الصغراء ، وقديس حداثاً مرضى بأمراض
سرية ذهب النجار إلى الأهالي وقام بجهد
اساناً هناك يشكو من ألم في عييه أو أسنانه،
فميت وأسان السودانيين ليس لها نظير في
كل بلاد العالم وأقام هذا الصندلي عشرة
أعوام في الدرة، هي طول مدة خدمة أميين
نك، وكان من الموظفين معه ناء، ونجار،
وحداد، ونقاش، وسكري، وهؤلاء يتقاضون

رواج استقراطيون ، وقد صفوا شعرهم حسب مودة خاصة ،
ورباً صدورهم بقود الخمر ، وهم من سكان مديرية حط، لاسواء

رواتب شهرية، غير أن ما يصعبونه للموظفين أو الأهالي . وهكذا وفي الخديوي اسماعيل
تعميد لأخته في تنظيم اسودان ، فبدأت هذه المناطق تعرف المساكن المية بالطوب ،
بدلاً من العشب ، وحقى المستشفى والصيدلية عرقهما . ولا عرو على الحكمدار كان
طبيعاً .. وما يزال .

● واحتكرت حكومة المديرية التجارة ، وعلى الأحسن تجارة العج وحصص يراد العاج
لسداد الضرائب . وحددت أسعار ديش النعم ١٨ ريالاً لأحسن أنواعه ، وأقمها ثلاث
ديالات وكانت الواحر تقوم من لادو وغيرها بمحمة بالعاج والریش والخلود ، وتعود
بالأحذية والمطالات والمنسوجات والصابون والسكر والبن والشاي والحرير وغيرها .
وكانت العملة قليلة ، وأساس التجارة هو التبادل النوعي ولم يصل إلى هذه المنطقة من
انقود خلال عشرة أعوام سوى ٥٢٠٠ ريالاً نقداً في حين أن كل باخرة كانت تجلب
سليماً قيمتها نحو ٣٠٠٠٠ ريالاً بدلاً من صادرات المديرية

ولم تكن المديرية تصدر الدرة والسهم والقول والشهد والزت وغيرها من
المخاصلات لحاجة الاستهلاك المحلي إليها .



وقدر ثمن أردب الدرة

بـ ٢٨ قرشاً ، والسهم ٦٠

قرشاً ، والفول ٢٥ قرشاً

ورطل الشهد ١٥ مينا ،

ورطل الزيت ١٢٥ مينا .

مطر فريد لفحات الوحوش في السودان ، فقد فاح وحيد القرن ، رسا مروحاً في شجرة ، فكان فريسة مستعانة . ولم ينج الفرس استعانة المتصلة

في هذا الوقت كان

يتولى قيادة محطة «مكراكا»

(نيام نيام) يورباشي مصري اسمه حواش افندي متصرف . وقد نلت عيه من

دلائل الهمة واليقظة ما جعله من خيرة الصباط غيرة على تنفيذ الأوامر ونشر الأمن

والعدل بين الأهالي .

وحدث في هذا الوقت أن أصبحت إلى المديرية منطقة جديدة هي مركز «رول» .

كاتب مضافة من قبل إلى بحر العزال ، وفي إحدى بلاد هذا المركز واسمه «ممتو» اعتدى

الأهالي على رحلة اسمه «حوسكر» فما كان من أمين بك إلا أن نقل قائد «سام سام»

إلى هذه المنطقة ، لكي يعيد إليها الأمن ، ويوطد دعائم القانون ، فسار حواش افندي

على انصر على رأس ٥٠ جنداً إلى منطقة العصيان ، فاذا به يعلم أول وصوله إلى حدودها

أن الحامية أيدت وكانت مكونة من ٨٠ جندياً ، فلم ييأس أو يتراجع ، بل استأنف

السير السريع بقوة الصغيرة ، وكتب إلى الحاكم :

« قنلت حامية ممتو . سأطلق إلى هالك لأعاقب الزوج على ما جئت أيديهم

وأنتقم لسمعتك . فإدا سلمى الله من هذه الواقعة ، وظللت على قيد الحياة أحطتلك على

بالنتيجة »

وأول ما عمله حواش افندي ، أن ذهب إلى قرية الطويل ، وتبادل الدم مع شيخها .

و بدأ ارتبط مع قبيلته بحلف أبدي ، دفاعي هجومي ، لا حياة فيه ولا مكوس . وهكذا

أمكنه قصرات من الدم سكبها من درعته باختياره أن يصب إلى وحدته ٣٠٠ رنحي مسلحين «لسادق» لا سليل إلى توقع العذر منهم^(١). وفي قرية أخرى أخرى تبادل الدم مع شحها، وحصل منه على ١٨٠٠ رجل مسلحين بالحراب وتقل إلى الشمال أيضا ف عقد مهادنة دم ثلاثة^(٢) حصل منها على ١٥٠٠ رجل حريص.

واستطلع حواش افندي بقوة في المنطقة الثائرة فصر ان عدة محارب بها ٣٦٥٠ رجلا، وفتح وفاجأ قوات عدوه وهرمه، وظل يطارده في الغابات سعة عشر يوما. وكان شيخ المنطقة الثائرة، واسمه «ماماجا» واسع الخيبة حم الدهاء. فعذر ان اهلكه اطلب ارسل إلى حواش افندي رسولا يحمل اربع سلال مبيئة بالنس، وقال له: «ان سيدي يحرك أن لديه رجالا معدم مثل عددك في الموضع في هذه السلال، وهو يؤثر أن يكون صد يلقك على أن يكون عدوك ويصحت مصلحتك أن تكف عن مطاردته»

فأخرج حواش افندي على انهور علبة كبرت من حية، وقال للرسول اذا عنت إلى سيدك، فافعل مثلما افعل. ثم قلب السلال، واشعل فيها عود كبريت. وقال له: انه واثق بكن رجالي أقل عددا من رجالك إلا ان واحدا منهم يستطيع أن يعمل في رجالك مثل ما عمل عود كبرت في النيران

وحاول رعيم النورح «ماماجا» ان يبعد وعنده فجمع عدد عبيدا من رجاله، وهاجم محطة حواش افندي، فأمر القاتل رجاله مشددا ألا يتحرك منهم أحدا حتى يصدر لهم أمره مهي حدث. وفيهم الزح الذين معه ما قصد.. فلما أصبح العدو قد ما حدث، احدث السادق تحصد رجاله فيتساقطون كالورق الخريف، في حين لم يصب عسكر الحكومة

(١) يعلق سمو الأمير عمر على معاهدة الدم بقوله: «لم يحدث في السودان مطلقا أن أحد ملوكهم عهد الدم بكث عهده، ويصح ان يختد رجال الذين يطلق عليهم كلمة متسدين بنوحى اترقية في الخاصة على «يهود»

(٢) الطريقة في تبادل الدم هي أن يخرج كل من المتعاهدين معه وشمس في دمه حبة من سادها مع أخرى غمس في دم رمية، ثم يبيع كل طرف حبة صاحبه.

وحلفائهم شئ، لأنهم أقاموا مناريس من احشاش الشجر وقطعهم من كل شئ . وارتد
مما سحا بعد أن خسر ٣٥٠ قتيلًا . فلما كان الليل سحب حواش افندي حوده إلى مكان
قريب ثم اشعل نارًا قرب معسكره ، فطن العدو أن المعسكر نفسه يحترق ، واسرع يهضي
عليه ، ويطهر بعائمه الحكومة ، وما أن اقترب حتى أصبح بين نار الساذق وهب الحرق
ففقده ٤٠٠ قتيلًا آخرين .

وقد كفت هذه التصرفات المتلاحقة في اقناع جميع اهالي المنطقة بان قوة الحكومة
لا تقهر ، وان حيلها لا تنفذ ، فاقبل جميع شيوع النساء ، وعقدوا مع حواش افندي
معاهدات الدم ، وهكذا كثرت جراح اسلم في جسمه ، وان لم تؤذه جراح الحرب
حتى الآن .

ولما وصلت هذه الاساء الى امين بك ارسل تقاريرها الى الخرطوم ، فاعلم رؤوف
باشا على حواش افندي مرتبة الصاع حراء سائمه .

● ولم يردد امين بك في أن يقوم على الفور . رحلة طريفة في المناطق التي احصعها
حواش افندي فوجد النظام على تدهور وخطوات غاية في النظام وانطافه ، وان زراعة تنتشر
والأمم مستتب استتبابا عجيبا ، ، حتى انه عندما كان يمدح لعميد الحرية ، ويسبى ساداتهم
الدافقة إلى الخرطوم ، لم يقاتل تدمر يذكر . وقد حرر اربع مئة عبد ، فكان هذا
العمل مشرفا في كل مكان ، وحقق لدى الدافقة .

● وقد أقام حواش افندي في هذه المنطقة ثلاث سوانتي يؤدي عمه ، ويدكر الصيدلي
حسان ان ممتو كانت المركز العاشر من مراكز مديرية حط الامتواء . وهو مركز واسع
الاضراف يصل قريبا لبلاد الكونجو ولا يفصله عنها سوى لسان علوه الغابات عرصه
عشرون كيلو مترًا . وتمتلك الحكومة المصرية جزءا من هذا اللسان وقد احصع حواش
افندي أقرام « أك » لعاية مسيرة خمسة عشر يوما في العانة . ويعبر هذا المركز اليوم
بيام ، والممتو ، والأولون ضاربون في القسم الشمالي ، وفي حدود مديرية بحر الغزال

أما المسمو فشعلون جميع حبوب المركز لغذية حدود العانة وأهم طعام هذه المناطق للور وليسهم منه عذات ، ويررعون أصا البرة الصغراء ، والبيضاء ، غير أنهم لا يزرعون منها إلا قليلا ، بحيث لا تكفى محصولها إلا لصنع المريسة. وتسدى رراعة البرة البيضاء قليلا من العناية ، ومع هذا نأى محصول يريد عشر مرات على محصول البرة الصغراء. ويرجع الفصل في استيراد ذلك النوع هناك إلى نشاط حواش افندى مسصر المتواصل ، وبوقد دكانه واصاله رأيه . وهو الذى أدخل كذلك رراعة أشجار لبرتقال والتليمون ومختلف أنواع الخصر واسع لدى مسحصر مدورها من انقصارف من أعمال مديرية كسلا

ومع أن الحيوانات نادرة اوجود في هذا المركز ، فان الأهالى لا يسمعون عن الاسماع بأكل لحومها . ورعما عن الصرامة والشدة التى تسعمها الحكومة ، فإن هؤلاء الأهالى لا ينعون عن أكل لحوم الاساس .

وكانت القوة النظامية التى تحت قيادة حواش افندى في هذه المنطقة ٧٠ رجلا من اسطامين و ٧٠ من المتطوعين أو الخطرية ، و ٣٠ من التراجمة . ويجند المساكر اسطامينون من بين الأهالى ، وتقدم لهم الحكومة الكساء والعداء ، وتعلمهم أصول الحرب ، وتصرف لكل منهم ٢٠ قرشا في الشهر أما المتطوعون فيتقاضى الفرد منهم ١٠٠ قرش ويلبس و تأكل على حسابه وأما التراجمة فيتقاضى الفرد منهم ٢٠ قرشا غير طعامه وسلاحه ويكفون بحراسة البريد والواصلات (١)

ويقدر عدد سكان مديرية خط الاستواء ب ١٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ نسمة ، حصص للحكومة حصوا تاما نحو ثلثهم والنقود كانت تحرى عليهم تجارب الاستقرار والرصوصخ للقوانين.

(١) كانت حلة مرقات الحدود في المديرية كلها ٥١٠ جيبه سوبا . وكان راتب الحكمدار (أمين مك) ٦٠٠ جيبه والقائد ٢٦٠ جيبه . والقاضي ١٢٠ جيبه . ورواتب الموظفين المدنيين ٤٣٠٠ جيبه . ورواتب موظفى القسم لطى ٢٠٠ جيبه . وجملة ميرانية المرتبات ١١٠٤٠ جيبه سوبا ، وكانت تصرف في معظم الاحوال عينا لا نقدا . وبعد صرف ما يوارى هذا المبلغ كان يتوفر لمخرصة المديرية نحو ٥٠ ألف جيبه سوبا .

وهذا يحاج كبير لحكم مصر في هذه المناطق التي تريد مسحها على مساحة مصر نفسها ،
وتعد من أحصص تقاع الدنيا لتوفر الماء فيها بكثرة لا يريد غيرها ، ماء انظر ، وماء
رواعد انهر ، وانهر نهره

وقد ذكرنا أن أمين بك أدخل زراعة البن والأرز ، ونصيف أنه حسن زراعة
التبغ ، وأدخل زراعة القطن . ويدكر سمو الأمير عمر طوسون : « أن يحاج هذه
الزراعات الناهري ربح إلى ما نذله حواش افدى مستصر من عظيم المساعدة والهمة التي
لا تعرف الكلال أو اللال . وقد أفاد القطن فائدة عظيمة جداً فيما بعد ، وذلك عند
ما استدعت الأحوال أن يرأول رجال الحكومة وحودها هم أنفسهم صنع ملائمتهم
عند انقطاع المواصلات مع الخرطوم »

● وعلى الرغم من النجاح لناع الذي وصل اليه حواش افدى في حكم هذه المنطقة
إلا أن ظروف السودان بعد تفاقم ثورة المهدي ، و ظروف مصر بعد إحقاق الثورة
انعرابية واحتلال الانخيرها . كل هذا جعل أمين بك صيق الصدر ، كثير الشك ،
سمع للوشاة ، ولا يطمئن لأحد عند صاحبه الصيدلي اليهودي فيتا افدى حسان . وقد رار
أمين بك الخرطوم ، وظل أنما لا تمكن من رؤية حكمدار السودان الجديد عبدالقادر
باشا حامي ، شدة اهمالك بحكمدار في مراعاة الموقف مختلف عن اخطاء سببه ،
ودرس الخطة للحد من خطر الثورة المهدية . وكان عبدالقادر باشا حامي من أعظم رجال
الشرق كفية ومقدرة و بعد نظر ، وسورد شناعه في بعد . فلما فانه وتلقى تعليمه
عاد وقله متملى ، همأ من المستقبل . وقد تعقدت شكة من انوشايات حول حواش افدى
حمت أمين بك على أن يصدر أمره بقله من مركزه اهم ، إلى قيادة الحود في «دوفيليه»
وكما هي عادة حواش افدى ، تطلع إلى المناطق القنقة ، وصرب عليها يدمن حديد ، فكات
مثالا للهدوء وانظام في حين أن منطقة «رول» لم سكف نوراتها منذ عادرها حتى
اصطر أمين بك إلى أن يسدعى بحدة من جاره لسور بك حكمدار بحر انهرال .

في مهرب الربح

● في هذا الوقت كانت ثورة المهدي قد بعثت أوجها ، ووصل شأوه في مائة السعة وتأييد الشعب إلى مديرية خط الاستواء . وقد كتب إلى أمين ك كتابا قال له فيه ما ملخصه : « من محمد احمد رسول الله المهدي إلى الأمير محمد الأمين أمير خط الاستواء . في مرسى ابيات الأمير كرم الله ، القائم مقامى ، فسلمه مدير تكت ، وأنت عدى في البقعة الظاهرة لأصمك إلى جماعتى . فاذا أطمع ك هكت حياتك ، وتحاشيت إهراق الدماء على غير طائل ، أما إذا عصيت ، فعليك تقع جريمة صباع رحالك ، وصياحت أنت نفسك وما حصل لغيرك فيه عمة لك وموعظة للتبصر والتروى في عمالك . ولقد رأيت أن جميع المديرات حتى أقواها مثل كوردان وسار سقطت في يدي . رأيت تعلم من غير شك كيف كانت عاقبة راشدك ، ويوسف باشا الشلالى ، وهيكس باشا وهذا لا بد أن يقيمك أنه لمصل مودة الله العلى لا يقدر أحد أن يقاوم الانصا . وأنت ليس لديك القوة الكافية لنسطيع مصادمة حبشى »

كما جاءه من كرم الله كتاب آخر يحبره فيه أنه استولى على مديرية بحر العرا ، وأرسل له كتابا من لتون بك كتبه بالعربية يدعوه فيه للتسليم . وسكبه كتب بالانجليزية عبارة معناها : « اعمل ما نراه صالحا » .

وعقد أمين بك مجلساً من كبار موظفى المديرية حصره قائد الجند ، ومأمور السجانة ومأمور الخمار ، وعثمان افدى أرباب سكرتير المديرية الثانى ، وهو اس عم المهدي ، وباطر المدرسة ، وقاضى المديرية ، ورئيس قلم المستخدمين ، ورئيس الكتبة ، ورئيس الحسابات .. الخ .

وأخبرهم أمين بك رسالة المهدي ، وندت الرعدة من القاصي لشيخ عثمان حميد في التسليم ، وأيده قوة عثمان أرباب — طمعا — وأما فيما حصل ، فاعندر عن إبداء الرأي لأنه طيب لا يهم في اليلة .

فقال أمين بك انه مستعد للذهاب إلى معسكر الأمير كرم الله ، فلم يوافق على مرافقته غير القاصي وناظر المدرسة ، وابن عم المهدي . ثم وافق فينا حسان على مرافقته . وقر - أمين بك السفر بعد أيام إلى الشمال .

● ولكن منست وهو يفكر في هذا المشكل الخطير ، أن قرر أن يسافر عن طريق الجنوب إلى أوعده مع المواطنين وأن يترك الحدود السوداويين في بلادهم وما عرف عنه هذا العرم حتى تصحهم وتحرف ، وذاع أنه سيبيع السوداويين « لكماريحا » ملك أو بيورولكي يسمح له بالمرور فكان لهذه الأساء الكاذبة أسوأ وقع في أنحاء المديرية إذ بدأت عرى النظام تتعكك .

وفي هذا الوقت كانت نبيه من أطراف المديرية أساء ستة . ففاته « رول » هرب إلى المهدي . وحواش اهدي أرسل يطلب مدداً ، لأن الاهدي شر واية العصيان في « دوفيليه » . فكتب أمين بك يقول له :

« إني لا أستطيع أن أنث لكم بامداد لعدم وجود حدود احيائية تحت يدي وان لديكم وجود الكافية واسم علاوة على ما ذكر ، قد قتم في أصعب الظروف وأحرج المواقف بأعناء ما كلفتم به خير قيام فيحب أن تضافوا سفس القوات التي تحت أمركم ، ويدعوني الأمل إلى الاعتقاد بأنكم في هذه المرة أيضاً تستطيعون منا حلتم عليه من عبو الهمة وحس النديير أن نعلبوا على جميع ما يصادفكم من المضاعف وإني فوق ذلك قد كنت إلى حامية « لاونوكا » باحلاء مطلقها والذهاب لمعاوسكم ولأحد ماصرهم فيلم أن تقوموا إلى أن تصل اليكم الحامية المذكورة . ولا بد أن تغلبوا بمساعدتها على كل أولئك الزوج »

وما أن شاع أن أمين بك يتردد بين الشمال والجنوب وأنه لم يقرر المقاومة حتى فقد احترامه بين سكان المديرية ، حتى أن أحد السكتة ذكر وهو يطالب سبب أحد الخارن موجهاً القول لأمين بك :

« لقد مضى وانقضى منك ، وأتى زمان الأمير كرم الله ، وليس لك أن تعطى أوامر هذا اليوم !! »

وراد في تفاهم الحاش ، أن حريقاً شب في مدينة « لادو » العاصمة أحرق نصفها . ولكن أمين بك بدأ يعقب من كل هذا ، فقرر أن يسافر وفد إلى الأمير كرم الله على رأسه القاضي وعثمان أرباب ، يعلن حصوع المديرية له وكل سفر هذا الوفد في ٧ يونيو سنة ١٨٨٤

● واستدعى أمين بك أقدر صابطين تحت إمرة ، وهما الصاعين حواش افندي مسمر ومرحان افندي الدناصوري . ولو أنه فعل هذا من أول وهلة لما حلت به المتاعب التي سبقت الإشارة إليها

وما قدما ، وعرض عليهم الأمر قراري حرم وإصرار اعداد المديرية للدفاع المصمم وعدم التسليم بأي حال للمهدية . وذكر حواش افندي أن في الامكان حشد ٣ آلاف جندي مسلحين تسليحاً حسناً ويمكنهم صد أي غارة على المديرية . كما اقترح أن يلحق بالتقسيم الإداري القديم ، وأن تنقسم المديرية إلى قسمين شمالي ، يتولى هو الدفاع عنه ، ومواجهة أي هجوم من حيوش امهدى ، وجنوبي تتولاه زميله مرجان افندي .

ووافق أمين بك على كل هذا ، إلا أنه عين حواش افندي قائداً للجنوب لا من الشمال ، ومع ذلك فقد أصبح كل شيء واضحاً . وبتنحصر في المقاومة . المقاومة لتامة لولاء المطلق للحديوي وحكومة مصر .

● ولم يطل الزمن على شروع أنصار المهدى في العودة إلى مديرية حط الاسواء . بل أن الأمير كرم الله ، كسب إلى أمين بك يقول له انه في طريقه إلى « لادو » العاصمة .

وحامت الاساء بأن ١٦٠٠ درويش يهاجمون محطة «أمدى» وهي أقصى محطة في الشمال الغربي لمديرية حط الاستواء .

وحسب الخطة السابقة ، كان الصاع مرجان افندي الدماصورى ، يتولى القيادة في هذه المنطقة . فبالبح الدراويش عبر النهر ، أرسل طلائعه ، فادامالدراويش يحسبون أن الخطة ، وبقية المديرية ستسلم لهم فور قدومهم حسب ما جاءهم عن أمين بك . وقد أحضرت حملة الدراويش كتبا من أميرها علقها على رمح حتى يتسلمها رسل الحكومة . وكان رد مرجان افندي أنه أرصد رحاله وراء الاشجار ، وأمرهم باطلاق النار على كل درويش يظهر في الافق . ثم أحدثت المناوشات توالى بين الفريقين . وكانت الحكمة تقضى بأن يهاجم مرجان افندي معسكر الدراويش ، ويقضى عليهم ، ولكنه آثر أن يذم خطة الدفاع ، وهي خطة سقيمة جداً ، إذ أن قوته كانت متعوقة جداً . فقد كان في حوزة نضع مدافع ، ومعه ألف جندي نصفهم من الجنود النظاميين . ولم يزل يفتا حسان الخطة مسدوداً من قبل أمين بك . ثم له من أول وهلة حط الخطة المتبعة ، وقد أمدى محاولته لمرحان افندي ، وذكر به أن معسكر الدراويش تريد مع الزمن ، ومعسكر الحكومة يتناقص ، ولا بد من الهجوم . فلم يقر فائد الخطة هذا الرأي ، وطلب من حسان العودة من حيث أتى .

ويظهر مرة أخرى ، أن هذا المكان ، وهذا الموقف بالذات كان يحتاج إلى حواش مستمرة . يحتاج إلى صباط بأسلح جريء ، يعرف كيف يدهل عدوه بحسارته ، وسعة حيلته بصرف النظر عن عدد الجنود الذين تحت أمرته .

ولما وقف أمين بك على حقيقة الحالة في «أمدى» كتب إلى مرجان افندي يستدعيه للمشاورة ، وكان يهوى استمقائه عنده وتعيين فائد حرم مكانه . وأحسن مرجان بما تم ، فكتب إلى أمين بك رسالة وقعها مع صباط الحامية يرحوه تركه في مركزه .

وكان حواش افندي رابضاً في مركزه بدوقيه يدرك من الخوف كله ، وما دام قد فات هذا الصباط الشجاع أن يكون هو أول من يلاقى العدو ، فقد رأى من القطة

والخير ، أن يعد مركزه « دوفيدية » لكي يكون معقل المقاومة الأخير في المديرية ، اذا ما سقطت جميع المراكز الشالية . ولهذا فعم بحارته بالحبوب والمؤونة وحشد في رآئيه أكبر عدد ممكن من رؤوس الاعام . كما أنرم الأهلى ، والحدود أيضا ، بمراعة القطن على أوسع نطاق ، ثم جى أول محصور منه ، ودرت حدوده على الغزل وانسح تحت اشراف رجل من دنقله ، ودا بأمنار « الدمور » ظهر وتشكأثر ، ودا بأهل المنطقة ، ثم أهل المديرية جميعا ينسبون من دمور حواش احدى ، يستوى في هذا المديين والعسكرين .

ويعود إلى الشمال ، فيقول ان محطة امادى مرصت لمجوم شديد قام به الأمير كرم الله بعهه ، وانتهى الهجوم بصرب حصار محكم على الحامية ومع وصول أى مدد أو مؤونة إليهم . ولم يكن تموين الحامية كافيا ، فمأست أن تهد على محل ، وأحد الجلود يغلون حلود التيران ثم يطعمونها ودا عدت جميع الجلود ، أخذوا سترعون جلود أحييتهم ويطعمونها ، ولم يتركوا شئاً يمكن أن يؤكل إلا أن كلوه حتى القش كان من بين أعديتهم . ودا اشتد الكرب على الحامية ، اسدى أمين بك ولكن متأخرا - حواش افندى ، لكي يسافر على محل إلى الشمال ، ويهت حصار الحامية ، ويقدها من هلاك محقق . ولكن قل أن يتحرك حواثر افندى لأداء مهمة ، كان اليأس قد سغ من الحامية منعه فشقت موحثان منها الطريق خارج الحصار بعد أن تكمدت بعض الحائر ، وكدت الدراويش أصعاف حسائرهم . وكان من بين المنسحين صابط من أسل الصباط الشان هو سليمان افندى سودان على رأس ٣٠٠ من الحدود . وكانت وجهته محطة ممبتو ، وقد أعصب بحاح سليمان افندى الأمير كرم الله ، فأوفد وراءه قسما كبيرا من جيشه بطارده ، ولكن الدراويش لم يدركوه إلا بعد أن انصم إلى حامية ممبتو ، ثم كروا راحين على مطارديهم ، وهجموا عليهم هجوما رهيبا ، أفى معظمهم . واعدد القليل الذى رجع إلى الأمير كرم الله أقعه أن جسد الحكومة قادمون إليه كالأعصار ، فدا كان منه إلا أن يحل باحراق محطة « امادى » ، وسحب عائدا من حيث آتى . إلى مديرية بحر العرال .

وقد قتل في هذا الحصار عدد من الصباط منهم مرجان امدى ، وكان يمكن للحامية أن تظهر بانتصارات أكثر وتناحى أجمع ، وتبقى على أمادى ، لو أنها أخذت محطة الهجوم المتصل على العدو ومع هذا فلا يسكر مطلقاً أن جميع أفرادها صبروا صبرا عجيبا ، ولم يسكروا مطلقاً في التخلص من أهوال الجوع والحصار بالنسليم . فهذه المعوية العالية تسهل بالبحر للجميع ، صباطا وجودا .

● وفي هذا الوقت عقد أمين بك مجلس حرب من كدر موظفيه ، وقر قرارهم على سحب الحاميات ، وإحلاء حط الهر ، والانسحاب إلى الشرق . وكان من مؤدى هذه الخطة تدمير الساحرين « الخديوى وبياترا » واتلاف جميع المؤن التي لا يمكن قنيتها .

وكان حسان امدى في طريقه إلى ريارة مركز دوفيديه ، فكلفه أمين بك بأن يطلع حواش امدى ما استقر عليه الرأى ، ولكنه طلب منه ألا يضغط عليه أكثر مما يجب بتفيذ هذه القرارات .

وما أن وقف حواش امدى على هذه القرارات حتى صاح في حالة تهيح شديد - أو هكذا وصفه فيتاحسار - : « ان تحطيم الموانىء والسفن ، وإبادة المستودعات بما فيها من كميات المدرة الذمعة ٣٠٠٠ أردب ، وترك الحقول المحصنة ممرورعاتها ، وتأليف قافلة من عشرة آلاف سمة ثلثاها من النساء والأولاد ، ودحيم في بلاد محبولة ليركوا على قارعة الطريق طعمة للحيوانات المفترسة ، كل ذلك من المستحيلات ، بل هو جنون صرف واسبى أعارص في ذلك بكل ما أوتيت من قوة » .

وعاد أمين بك إلى مشاوره أعوانه ، فقرر رأيه على ضرورة إحلاء العاصمة « لادو » والانسحاب نحو بالي « وادلای » ، وهي تقع إلى الشمال قبلا من مدخل بحيرة انبرت . وكانت هذه الخطة سليمة بالنسبة لمركز الحكم ، إذ أن تكديس النساء والأطفال في « لادو » مع احتمال تعرضهم للحصار سيوقعها في حرج الجماعة الذي وقعت فيه « أمادى » . ولكن صباط لادو وحودها اعتسروا عن الجلاء ، وقرروا البقاء لمواجهة حدود المهدي

إذا هم أقبلوا ، ولكمهم رحوا من أمين بك أن يسحب هو لكي يدير لهم أمور تمويهم وامدادهم .

واراء هذه الروح انعالية والحسنة التامة في القيام بالواجب ، لم يسع أمين بك إلا أن يقر هذه اربعة وأن يسافر هو إلى الخوب . فصحب الموظفين المدينين وبعض النساء والأطفال ، وأحد يسحب حروبا . وفي كل محطة حل بها كان يحصل منها على التموين اللازم ، ويرسله شيئا إلى « لادو » ..

● وحامه وهو في الطريق خطاب عريب ، باسم انضباط الثاني في « دوفيديه » وهو سليم افندي مطر . فقد عرفت حامية دوفيديه حطة الانسحاب نحو انشرق التي رفضها حواش افندي ، فتطوع سليم هذا بأن يمدّها حلافا لرأى رئيسه ، وصحب من أمين بك أن يوكل اليه لتبادة . فاستشاط أمين بك غصبا من هذه الانسيبة ، وأرسل كتاب سليم مطر إلى حواش افندي ، وطلب منه حسه سبعة أيام ، هو ومن اشترك معه من المدينين في هذا المعيب ، لأن سليم هذا صابط ربحي لم يكن يعرف القراءة والكتابة ، وكان لا يذمن اشتراك بعض المدينين معه في فكره . ولم يتردد حواش افندي في حسن سليم افندي الذي قبل انعقودة مستسلما

ودكر في حسان في سبب هذا الاستسلام :

« ان الربحي لا تؤثر فيه أصعب الكلمات وأشدها ، وان الذي يؤثر فيه ما كان مسطوراً . ويظهر أن الورقة هي عمريت الخرع الاكبر في نظر هؤلاء الروح . »
وأرسل أمين بك وهو في الطريق إلى الخوب يستدعي حواش افندي ، وبعد تردد وافاه ، وأحاطه المدير بمطف وعناية ناعمين ، ورفاه إلى ربة البكباشي حراء نالته ، ولكي يستوى في المرنّة هو والسككشي ريجال افندي قائد الأورطة الأولى في « لادو » . وقد حلت سدة « كبرى » الحد الفاصل بين منطقة هودز ريخان افندي الشمالية ، ومنطقة هودز حواش افندي الجنوبية .



« إنكاشي حواس أفندي مختار »

وكان أهم ما يقلق مال حواس أفندي هو دسائس الوطنيين المديين ، فيما وصل أمين بك إلى درفله مقر قيادة المنطقة الحربية أقام فيها عشرة أيام وعند معادرته لها جمع جميع الوطنيين ، وقال حواس أفندي على مسامعهم :

« لقد حاق بي من أهم والأذى ما فيه السكينة وليس لدى متسع من الوقت لاشتغال أكثر من مضي دسائس وسخافات الوطنيين فإني أقوض لك الأمر في كبح جماحهم ، وعدم حروصهم عن خلد الواسع »

وأترك لك مطلق الحرية ، وأؤيد سلفا ما تتخذه من التدابير . »

وفي ١٠ يوليو سنة ١٨٨٥ ، وصل أمين بك إلى عاصمته الجديدة « وادلاي » ، حيث أقام بها عامين كامدين . وكان عم المدير وهو على مرأى بحيرة البرت ، أن يمد دعوى الحكومة المصرية إلى مورا الحيرة ، ويفهم فيها محطاته ، وذلك ليوسع منطقة استحكامه إذا صفت المهديون ، كما يريد في ساحة مديريته العظيمة التي شغل هوأتها العلل وحصلها السادر ، ومناظره الفاتنة . وكان يحتاج في مد دعوى الحكومة جوبا إلى مساعدة الأورطة الأولى العسكرية في « لادو » وكان يتعمى لوأتمها اسحت وأحدث مرأكرها حبوب خط الاستواء ، وهذا يكون حواس أفندي هو قائد الشال . . ولكن شغل الكششي ربحار ، وحجوده لبقاء المهديين والانتقام منهم لما حدث في السودان كله ، عمل أمين بك على أن يترتب ويتنظر ماسأني به الأحداث المقبلة

ولكن ملوك الزنج في هذه المناطق كانوا يرسلون رسالهم إلى أمين نكت، ويطلبون
حميات مصرية تقيم عندهم. وقد عد أمين نكت أحد هذه السلطات وأرسل ١٥ جيشاً
وصادعين إلى بلدة «فودا» التي تقع شمال فويرا بين بحيرتي فيكتوريا ونلرت

ويدكر فيتا حسان، أن معظم بلاد هذه المنطقة تبدأ أسماءها بحرف «هاء»، مثل
«فاديت فويرا، فاتيكو، فاورو، داو... انج» وذلك لأن شيخاً عربياً، اسمه
الشيخ فرح مر، بهذه المناطق من سين طولة، وأوصى أسكان بأنه سيأتي يوم يهد
فيه إلى أرضهم قوم بيض، فيسهم أن يعلموهم بالحسي، وأن يظروا بينهم كأصدقاء
لا كأعداء، وأن يعملوا على راحتهم ومفيد أومرهم. وحتى لا يسي الأهل هذه الوصية
على مدى الزمن، أسموا كثيراً من بلادهم أسماء تبدأ بحرف «هاء»، وهو أول اسمه.
والمسجون من أهل هذه المنطقة يدكرون الشرح فرج ويدكرون وصيته!

● وانتهز أمين نكت فرصة سفر الدكتور حوسكر^(١) معادراً إدارية عن طريق
الجنوب - مراً بمسكة أو بيورو التي يحكمها الملك كاريما، ثم باوعده - ثم إلى المحيط
الهندي، فوفد معه فيا حسان لكي يمثل الحكومة المصرية في منطقته أو بيورو. وقد
وصل المدعو إلى بلدة «امدرا» عاصمة أو بيورو، بصحبة رسده، وهناك كانت توجد
مضمار الحكم أنصم، إذ كان لدى الملك ١٥٠٠ حصى درهم وأكبر بهم ٣٠ حصة
مصر باهروا من المديرية أثناء حكم عورديون لها. وحين فيتا معه الهدايا إلى كاريما،

(١) كانت تقود الدكتور حوسكر قد غدت، فمعلم حواش إحدى بدأت وصح تع تصرفه
٧٠٠ ريال، وعده الطبيب بعطائهم لأسرته عند وصوله إلى القاهرة، وكان هذه المعونة التي تدعى
الشهامة أجل وقع لدى الجميع. وقد أمده أمين نكت باسيرة الخديوي حذفت به وبيننا حسان
بحيرة البر بديرا، أقام الدكتور شهراً عند الملك كاريما، ثم رحل إلى أوعد، ومها رحل
إلى برمار، ثم أبحر إلى عدن ووصل أسويس في ٩ يناير سنة ١٨٨٧، بعد أن نفى في طريق
لمودة من قايمة من وادلاي مقر أمين نكت عاماً وتعة نام!

وكانت حلة لإقامة الدكتور حوسكر في مديرية حط الاستواء ثمان سنوات.

وأهمها العاج الذي لا يوجد في جنوب بحيرة البرت ، كما حمل معه رسائل من أمين بك للحكومة المصرية لكي ترسل إلى مصر عن طريق أوعدا

وكانت توجد هناك رسائل واردة من الحكومة المصرية ، أرسلها نوبار باشا إلى أمين بك ، فأحضرها فينا ، وأرسلها على محمل إلى « وادلاي »

وفي « أوبورو » علم فينا ثورة عراقى ، وباحلال الاحلحلي لمصر ، و سقوط الخرطوم ومصر غوردون وكانت كل هذه الأساء جديدة على حكام حط الاستواء على ابرعم من أن نصة سين كانت تفصل أور هذه الحوادث عن آخرها .

وقد أدهش فينا حساب نظام الرفقة الدقيق الذي وضعه كباريجي في مملكته ، والذي لا يقل دقة عن أعقد نظم الجستابو . حدث مرة انه اشترى دجاجة دفع في ثمنها ٥ مليات أكثر من السعر المحدد - والأسعار هناك رسمية - ف لست أن أقل ترحان الملك ورد له المليات الزئمة ، طئما مه أن يراعى الأسعار المقررة حتى لا يصعب ثقوده ، وحي لا يصطرب نظام السوق وقد وقمت على الناجر حقوقه صارمة لبيعه دجاجة « في السوق السوداء »^(١) ومما ذكره فينا حساب ان هذه المنطقة هي أعنى المناطق بالقر ، فالملك وحده يملك قطعاً تخصى بمئات الألوف من الرؤوس . والسبب في ذلك ان الملك حرم دبح أى مرة مالم ينتضج عقمها ولا بد من استئذانه شخصيا قبل دبح أى مرة ، ومن يخالف التعليمات تصادر أملاكه ، وساع أسرته في سوق الرقيق . وكان ثراء المنطقة مهدد الأعدام سببا في تكرار اغارة أوغنده عليها . وقد حدثت عارة اضطرت فينا إلى أن يحزم متاعه ويرحل على عمل ، وما أن عاد « عاصمة » كاريجا ، حتى وحدها طعمة ليران هائلة ، فساكها كلها من القش . وعلم مد ذلك أن جيش أوغنده عم ١٢٠٠٠ رأس من البقر .

وفي عودة فينا ، وجد عدم مدخل بحيره البرت بحريرة يسكنها صياد واحد من الروح

(١) كان سعر الأمة من ٣٦٠ إلى ٤٥٠ قرشا . وسعر البقي من ٢٤٠ إلى ٣٠٠ قرش . وسعر البقرة من ١٢٠ إلى ١٥٠ قرشا . وثمن السل من ٣٧ إلى ٤٥ قرشا . وثمن الخروف من ٩ إلى ١٢ قرشا حسب حدود التسعير الرسمي II

ونتمه إلى سطوة مركزها من الناحية الحربية ، فأقام فيها وظلب مددا حصصها ،
وجعلها نقطة عسكرية دائمة واسم هذه الجزيرة « نونجورو »

● ولعمد إلى « وادلای » فاسا محمد أمين « باشا » اذ ورد له مرسوم بالاعتماد عليه
مهددة المرتبة ، ساحتها خاصا ، ورد له من « بار باشا » ، فقد كتب له يقول :

القاهرة في ١٣ شعبان سنة ١٣٠٢ (٢٧ مايو سنة ١٨٨٥)

« إلى أمين باشا فأنه حدود خط الاستواء

» ان حركة الثورة التي شنت في السودان اضطرت حكومة صاحب السمو إلى
احلاء تلك الأراضي . و بناء على ذلك لا يستطيع أن سمح لكم بأى امداد . ومن جهة
أخرى نحن لا نعرف بالتسويق موقصكم أتم والحدود الآن . بل ولست متوافرة لدينا
اوسائل لامدادكم بما يلزم من الارشادات تصدد الخطة الواجب اتباعها . وعلاوة على هذا
وداك إذا طلبنا منكم ارسال تقرير مفصل عن الموقف لتتفى عليه ما يرودكم به من
التعليقات فان ذلك يستغرق زمنا طويلا ، وقد يكون صياغ هذا الوقت في غير مصلحةكم .

« والعرض من هذا الخواب الذي سوف يصل ابيكم عن طريق زرنبار بواسطة
السير جون كيرك قنصل بريطانيا في هذا البلد الأخير هو منحكم الحرية التامة في العمل .
فاذا رأيتم أن الأصمن لكم والحدودكم الانسحاب والرجوع إلى مصر ، فالسير جون كيرك
وسلطان زرنبار يكتفان لختلف رؤساء قبائل الزنوج الصاريين في الطريق ، ويبدلان
ما في وسعهما لكي يسهلا لكم الانسحاب

» ومرخص لكم الحصول على ما يلزمكم من العملة وأكرر لكم القول ، وأعيده
بأن لك مطلق التصرف بما يناسب مصلحةكم وبمصلحة الحدود . هذا وفي وسعنا أن
نفيكم أن الطريق الوحيد الممكن عبوره فيما إذا أردتم مشاركة عوئلوكورو هي طريق
زرنبار ورعاؤنا هو عدم ما تتقرون على رأي أن تشعرونا في الحال بما تقرر ونه .

« وسيكتب لكم أيضاً اسرجون كيرك المحيطكم بأوسائل التي سيحاول اتخاذها
لسهول لكم الانسحاب عن طريق رربار »

رئيس مجلس النظر

(بوبار)

وقد استغرق وصول هذا الخطاب نحو ٤٠م حتى وصل من القاهرة إلى أمين باشا
عصب أمين باشا ، لأنه وإن كان قد أعم عليه بالناشوية ، إلا أن رسالة بوبار باشا
لم تشف عن عرفان الحكم في القاهرة لدى الجهود الهائلة التي بذلها وأعوته في سبيل
الاحتياط بالحكم المصري في وسط أفريقية ، وفي وسط إيران الثورة الهيدية ، وثورات
الروح المحلية التي لا تقصى . ثم هم يترحمون العودة عن طريق رربار ، وكأما يحسون
أن هذه الرحلة مرهقة مثل رهنتهم في القاهرة وصواحبها

● ولم يكن أمام أمين باشا سبيل إلى تجميع قواته والاستعداد لاحتراق الجنوب ثم الشرق
في المحيط الهندي إلا أن يقع فرقته الأولى العسكرية « لادو » والتي يقودها الكندي
ريمان أفندي بالانسحاب . وبينما هو يفكر في وسيلة اقناعهم بالبقاء سرا كرها ، إذ بالأنباء
أنه بأن ريحان أفندي توفي . وإراد فقد أوكد من محطة لادو ، وأن صاعدا من أفراد
الفرق قادوا مئات من الخمد وذهبوا لإعادة المحطات التي حرسها الدراويش في « مكرাকা »
وعبرها . وكان من غاياتهم أيضا الحصول على حبوب ، إذ أن قتائل الباري لم ترزع في
هذا انعام حبوبا ، وهي القتاتل القوية التي تقع في أرضهم محطة « لادو » والتي كانت
تثور كل حين وحين فتهدد الحامية بأعنف الأخطار

وجاءه أيضا أن الموظفين في لادو — انديين مهم — يتهمونه ، أي أمين باشا ،
أنه تركهم لكي يتهمهم الهندي واعصم هو عن كره المبيع في وادلاي ، مع أن واحده
أن يكون في الخط الأمامي . الح . كما أنهم الرسائل الواردة من الشمال أنه يسمح كل
تشجيعه ومعرفته لخواش أفندي لأنه مصري ..

وإزاء هذه القلاقل ، وسنة الفكر لم يكن أمام أمين باشا إلا أن يوفد صاحبه

أوفى فسا حسان إلى «لادو» سكي يقرأ على أفراد الفوات الشمانية رسالة نور باشا ، كما أنه رقى البور باشي أحمد أفندي حمد إلى رتبة الككاشي مباشرة وطلب منه السير في رقعة حسان سكي يسلمه القيادة العسكرية .

وأقام فيتا حسان في مهمته ستة أسابيع ، كد فيها من أن كل الإداعات التي كانت نشاع عن عمرد جند الشمال لا نصاب له من الصحة ، والجيج مطيعون لأمين باشا ، إلا أنهم يخافون من حواش أفندي فائد الجنوب خوفاً شديداً لقسوته في سفيذ النظام . ونصح حسان أفندي لأمين باشا أن يطمئن حدود الشمال بنقل حواش أفندي مؤقتاً من سركره حتى يتم له سحب الحاميات إلا أن الباشا رفض هذا الرأي إذ لم ير أي عذر على تصرفات حواش أفندي .

ويظهر أن حواش أفندي سمع بمطالب الأوردية الشمالية ، فكتب إلى أمين باشا يعرض عليه أن يعفيه من قيادته في دوفيليه ، وأن يستقدمه معه في وادلاي

وفي هذا الوقت أوائل عام ١٨٨٧ جاءت الأنباء بأن السارشت في محطة لادو ، مقر الفرقة الشمالية ودمرتها تدميراً تاماً ، فانتقلت الخامة ، وجمع السكان إلى بلدة الرحوف ، إلى الجنوب قليلاً من لادو ، ورحل بعض الأهالي إلى محطة مكراكا ، وتم هذا كله ، انتهى لصام ودور أي ذكر .

وفي شهر أبريل رأى حواش أفندي أن يرور أمين باشا ، باستقل الناحرة «الحديني» وأبحر إلى وادلاي ومعه ٣٠ جندياً وفادفة لطف ، وبعض المؤونة ونصاف أثناء قدومه أن كان رسل الملك «كاريجا» موجودين في وادلاي ، فأمر أمين باشا أن يقود حواش أفندي استعراضاً أمامهم يؤثر في معوسهم تأثيراً بائناً ، سكي ينقلوا إلى ملكهم أن الحكومة ماتزال بخير . وكان أمين باشا قد استقدم أربعة صيدين من عند كاريجا ، لكي يعصم اللعبة العربية ، وقد رارهم هؤلاء المرسل ، وحنوا إليهم تحيت الملك .

و بعد أن أقام حواش أفندي أسبوعين عاد إلى مقر قيادته وهو يتمتع بكل ثقة الحكام

● وكثرة الاشاعات والاساء عن الفرقة الاولى ، ومظاهر تمرددها ، وكثرة دعوتها
لأمين باشا كي يوردها ، وما وصل اليه من أن حمية الرحاف تمردت فعلا ، قرر أن
يرحل إلى الشمال وقد وجد السكاشي حامد افندي في انتظاره عند حواش افندي
وعلم منه على وجه التفصيل أسماء الشمل ، ثم استصحبه معه

وكان الشاشا قد حل في جميع المحطات بمحاوطة وحراسة اثنين ، حتى اذا وصل إلى
موحى ، وأوى إلى فراشه ، أيقظه قبل الفجر السكاشي حامد افندي ، وطلب منه أن
يردى ملاسسه فورا ، وأن يعادر المدسة ، لأن قائد مكرাকা - وهو أحد المتسربين -
واسمه على افندي حاور ، بقود قوة من رهاه أم رحل ، يريد القصص على أمين باشا ،
وقد أصبح قريبا من موحى . ولم يمح أمين باشا في تهدئة روع حامد افندي الذي
توسل إليه بكل وسيلة أن يبعد طسه ويرحل إلى الشمال تاركا متاعه

و بعد قليل صعب الأشاعة ، وأقبلت القوة النائرة فلم نجد أمين باشا ، فاستولت على
متاعه . وبعد ثمانية أيام بدم قائد لقوة على ما فعل ، فأرسل إلى الشاشا متاعه ، مع رسالة
يقول فيها انه لم تأت إلا للقيام بواجب التحية ، وعمل التشريعات العسكرية الواحدة !!
وما لبث أمين باشا أن عاد من هذه الرحلة التعيشية ، وكانت ذات تركيز كبير ،
واستقر به المقام عند حواش افندي في محطة دوفينييه حيث قضى فيها بضعة شهور .

● وفي أول عام ١٨٨٨ تابع أمين باشا رحلته إلى الجنوب ، لتعقد جميع المحطات ،
ولتسقط أسماء حمية ، قيل ان الحكومة الإنجليزية أعدتها « لاقتاده » من مديرية خط
الاستواء ، وحملت الرحلة ستانلي رئيسا لهذه الحملة .

وحاءته الأساء بأن ستانلي يصرب في العانات القرسية ، فقرر أمين باشا أن يقوم رحلة
« لاقتاذ » مقده ستانلي . وبعد بحث طويل وصلت من احد مرافقي ستانلي ، واسمه
« حسن » رسالة يقول فيها إن الشعب أصاهم وهم يبحثون عن أمين باشا ، وقد نليت
ملاسلهم ، وحبسوا آخر نقطة وصلوا إليها على بحيرة أدريت .

وأرسل أمين باشا صاعطا مصريا اسمه سيدى لىكى يذهب لحطة «حسن» .
وقد روى هذا الانجليزى المهلك القوى المرق الثياب ككة فى مكرته عن سليلين افدى
قال فيها . « ان سيدى افدى رجل مصرى جميل المنظر يلبس كسوة عسكرية بيضاء
لا عيب فيها ! » . أحل . فقد كانت مشكلة الكسوة من أهم ما يشغل بعثة الانقاذ
وأبحر أمين باشا على الباخرة الحديدى ، إلى حيث كان يقيم هذا الانجليزى التائه
و بعد النجاة ، تسلم منه رسائل متابلى ، الذى كان يقيم فى نقطة عند حبوب البحيرة .
وكان سيدى قد احترق الكونغرى طرغفه إلى بحيرة البرت ، و وصف فى رسالة
برجله ، ثم صمها البيانات التالية :

- ١ - م يحصر معه جنودا ولا تموسا كافيا لأمين باشا .
- ٢ - ان الحكومة المصرية سمحت « بهائيا » عن اسودان ، وهو يحمل معه لأمين
باشا رسائل من الحديدى ومن نونا باشا ، يطلبان منه احلاء المديرية !!
- ٣ - و اذا لم سادر أمين باشا ومن معه فى العودة مع سيدى ، فلا يتظر قدوم أحد
« لاشده » . ولما وقف أمين باشا على هذه المعومات طرح الورق أرضا ، وقال لمن معه
بصوت حريز : « نظرت حملة ستانلى خارج الصدر ، لآتى كست أوئل فى الحصول
على امداد ودخيرة . وقد حملت العناء لحم فى سبيل امتداد المديرية ، وسط حدودها ،
وتظيمها ، وانشاء محطات فى كل مكان واخصاع معظم القبائل . وهم يريدون منى أن
أتحلى عن كل هذا ، وأن أسفر .
- « كلا بن يحدث هذا . لن أتحلى عن القبائل التى قتلت حكماء لىكى تفنيها القبائل
المعادية ، جراء ولاءها لنا . »

وقد عجب رجال أمين باشا ، من استطاعة هذه الحملة الممرقة لاجئمة القدرة أن « تنقد »
حكومة خط الاسواء التى يتكون أفرادها من عشرة آلاف فيهم النساء والأطفال .

وعى كل حال أرحاً الجميع الرأى النهائى حتى يقابلوا « ستالى » معه ، ووقعوا على ما معه من رسائل ومن وسائل بالتفصيل الكافى .

● حمل أمين باشا بحره بالوقود ووسقها بالمؤن والمواسى والطيور ، لانتحار ستالى ، وأبحر الجميع إلى الجنوب .

ولما تقابل الجميع أحسوا بدرسور الموقف ولم تكن المداولات حايه من الحدة ، وتسلم أمين باشا من ستالى طردس ، أحدهما فنه بعض قطع من الخوج أتلغنها الرطوبة ، وفى الثانى رسائل وصحف .

ووجد فى الرسائل كتابا من سمو الخديوى سفيق بتاريخ ٨ جمادى الأولى ١٣٠٤ (أول فبراير سنة ١٨٨٧) يقول به فيه :

« إلى محمد أمين باشا مدير خط الاستواء .

« قد سبق أن شكرناكم على مسالتكم وثناكم أتم والصراط والعساكر الذين معكم ونفعلكم على الصاع ، وكافناكم على ذلك بتوجيه ربة اللواء ارفيعة إلى عهدكم ، وصدقنا على جمع الرتب والمكافآت التى مستحواها للصراط . كما أحطرناكم بأمرنا العالى الصادر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٦ مرة ٣١ سائرة ^(١) ، ولا بد أنه وصل اليكم أمرنا مشار اليه مع الوسطة المرسلة من طرف دواتلو نو نار باشا رئيس مجلس نطار حكومنا .

« وما أن ما بدلتوه من حسن المساعى ، وما كابدتموه من الأعمال الخطيرة اتى قتم بها ، قد استوجب زيادة محطوطيتنا معكم أتم والصراط والعساكر الذين معكم . فقد تروت حكومتنا فى الكيفية التى يمكن بها امجادكم ، وتحريضكم مما أتم فيه من المشقات . والآن قد تشكلت لجنة تحت ربة حجاب المسترست على العالم الشهير والسائح الخبير الذائع صيته بين ابناءك لكامل فضله على أقرانه . واستعدت هذه الرسالة لذهاب اليكم ومعها

(١) يقول سمو الامير عمر أنه بحث عن هذا الأمر فى ملفات القنعة فلم يجده

ما أنتم في حاجة اليه من المؤونة والدخائر تقصد حصولكم أنتم ولصباط والعساكر إلى مصر على الطريق الذي يترأى للمسترساتيلي الموما إليه أنه أكثر موافقة وأسهل عوراً. « وساء عليه أصدرنا أمراً بهذا لكم ، ومرسيديه بيد المسترساتيلي الموما إليه علماً بالأكيفية . فوصلوه تسعونه إلى الصباط والعساكر الموما اليهم وقرأوهم سلام العالي ، ليحيطوا علماً بما ذكر . وان مع ذلك نراء لكم وللصباط والعساكر الموما اليهم الحرية التامة في الإقامة أو تفصيل اعتنام فرصة الحصول مع هذه الوحدة المرسلة اليكم وقد قررت حكومتنا بأنها ستصرف لكم ولجميع المستخدمين والصباط والعساكر كامل ما هيأتهم ومرئياتهم المستحقة .

« وأما من يريد البقاء في تلك الجهات من الصباط والعساكر فله الخير ، إنما يكون ذلك تحت مسؤوليته ، وبارادته المطلقة ، ولا ينتظر بعد ذلك أدنى مساعدة من الحكومة طافهموا ذلك جيداً ، وبلغوه تمامه مسائر الصباط والعساكر المدكورين ليكون كل منهم على بسة من أمره .

الامضاء

وهذا كما اقتضته ارادة .

« نوهيق حذبو »

وكتب نو بار باشا كتاباً في هذا المعنى نفسه لأمين باشا .

❶ وفي أثناء المداولات مع ستانلي فهم أمين باشا أنه أن اختلوا تعرض عليه البقاء ، وتشجعه على احتلال جميع النقاط التي تصله بالحيط الهندي ، على أن تدفع له نفقات الجود وبقائه هو شخصياً ، شرط أن يكون ثلثاً لها

فرص أمين باشا أن يست في هذا العرض ، وذلك لأن إقرار مشروع حطير كهذا ، إنما يملكه قواده وصباطه وجوده الذين يبعون مصر .. ولا بد له من مشاورتهم . ومعنى هذا — بطبيعة الحال — أن أمين باشا رفض عرض ستانلي ، أو عرض المجلثا ، في أن

تكون حاكماً باسم لندن في حط الاسواء
لأنه من المستحيل على الحماية المصرية أن
تجمع حسيها ووطنيتها لغير سبب ، أو
لأى سبب .



ولما دقق سالي في معرفة اتجاهات أمين
باشا الشخصية علم منه أنه هو شخصياً يمثل
إلى اسقاء ، ولا سيما أن الحدوى حيره بين
الأمرين : ادقاء أو الرحيل . ومع هذا إذا
كان الضباط المصريون يرضون في العودة

• أمين باشا •

إلى وطنهم فإنه بكل أمر اعادتهم اسالي ، ويبقى هو حاكماً المنطقة
وهذا أنان سالي عن بيانه بوصوح أكثر من ذي قبل ، فقال له إن لديه اقتراحين .
أولها — أن ملك البلجيك يعرض على أمين باشا أن يحكم المنطقة باسمه ، على أن
يدفع له سبوتاً مبلغاً بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف جنيه .

ثانياً أن يجمع أمين باشا حدوده عند اركان الشمالى الشرقى بحيرة فيكتوريا
ببارا ، وأن يمثل مع حدوده شركة تجارية ، مثل شركة الهند الشرقية التي استعمرت
الهند ، وقد حصص رأسمال هذه الشركة مقداره ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه . و بمجرد موافقته
تبدأ التمويلات فوراً في الورد إلى مقر أمين باشا والشركة ترمع اثناء جميع الضباط
والجنود على رتبهم ومراتبهم وتعيد سفهم .

واطلع ستانلى أمين باشا على شرائط ومكائنات ملك البلجيك ، وعلى رغبته في
العود إلى أرض النيل .

و بعد أيام وصلت باخربا الحكومة إلى مقر المعسكرات التي اجتمع فيها القبطان أمين



وستابلي ، وكان يقودها حواش افسى ، وقد حمل معه
ما أطاقت ساحرتان حمله من ابيرة والزاد ويعلق سمو
الأمير عمر على هذه الحالة تقويه :

« وهما مثار للمحب يد انقلت آية هذا الانقاد
من اسداء للعونة إلى الاحتياح ايها . »

وانتهج أمير باشا قدوم حواش افسى ومن معه
من انصاط ، وأحد يشرح لهم الموقف وعروض

« بيت حسان »

الحكومة . ويدكر فينا حسان أن حواش افسى تكلم أكثر من سواء ، ثم انفق
الجميع على استعدادهم تشعب الأوامر التي تصدر لهم ، وهذه طبيعة افسى المستقيمة الصريحة .
وانفق امين باشا مع سبيلي على أن يترك له « حسن » لكي يعود معه ، ويستبقى
نفسه الخبايات المصرية ، وتقف على نتيجة الاستفتاء فوانق سبيلي على أن يذهب هو
إلى عادات الكونجو حيث ترك معظم حملته وأعوانه ، لكي يحصرهم إلى شاطئ البحيرة

وكان مسلك « حسن » مافراً ، فقد أحرر الخبايات وهو يمر عندها أمهم إذا
لم يستحقوا « فان انجلترا لن تصادهم » وكان هذا الرجل يعلم من حوادث الدنيا وماحدث
فيها أكثر مما يعلم هؤلاء المد كين . فهو يعرف أن مصر كلها حصعت لقوة انجلترا
العسكرية بعد هزيمة التل اسكبير . وهو لا يرى حرجاً في أن يتكلم بوقائع الحياة في
مصر ، ولكن مصريو حط الأسواء كانوا يعيشون في جو مصري حر في جو مصري
عاش يكافح انغزو المهدي والثورة الداخلية ، ودفع أوضاع الأتقان في سبيل الاحتياط
بالحرية والاستقلال . فلم يكن هذا الخيل من المصريين يعهم معنى احلال مصر ، ولم
يكن يفقه بعد مدى سلطة « قنصل » مصر في انجلترا .

عاش هذا انغريق من أساء مصر عيشة نقية رحية ، شديها خير ، ورجاؤها خير ، لأنها
في الخالين عيشة كرامة وعرة . فكأن لغة حسن غريبة عليهم . ولهذا لم يتردد معظمهم

في أن يتهم أمين باشا . . . بتهمة فوراً بأنه يبيع المديرية ، ويبيع قوادها وصباطها وحشودها للأنجليز .

كانت الصدمة عيفة ، وما من جمع من الحشود انصهر حتى أحد يشك في أن هذه العثة ، ثيابها الرثة البالية ، فادمة من مصر ، وأما تتكلم حقاً باسم « أمين » .
واحتفل أمين باشا بهذا كله صائراً . فهو يفهم ما صارت إليه الحال في القاهرة ، وهو يشفق على هؤلاء الحشود الأترياء من أن يهيموا ما يفهمه هو .

وكان يتلى على الحشود نداء من ستالي ، تكلم فيه باسم الحذبوى و باسم حكومة مصر ، يحثهم فيه على معارضة مراكرهم ، وهو نداء طويل تبدو في ظاهره الشفقة ، ولكنه يحمل في باطنه أشياء وأشياء

ووصلت العثة وهي مكوكة من أمين باشا وحسن وفيتا حسان - إلى دوفينييه . مقر قيادة الكباشى حواش افندى مستصر . ويقل كتاب مديرية حط الاستواء عن فيتا وصف استقبالهم هناك :

« كان ذلك في ١٥ يوليو سنة ١٨٨٨ واستقبل حواش افندى العثة استقبالا باهرا ، كانت الحشود فيه مصطفة على صفة الهر ولدى نزولهم من الناحية دحمت جاموسة تحت أقدامهم . وكان الطريق الطويل العريض الممتد بطول المحطة مفروشا برمال صفراء ، الأمر الذى أفسد الناحية سهجة أيام العيد .

« وفى وسط الطريق نصب حواش افندى تحت ظل أربع شجرات صحمه من شجر الجير شبه مصطفة لأمين باشا وحسن وفيتا حسان والصباط . وار هو الا أن أحدوا مقاعدهم حتى قدم لهم الشربات ثم القهوة أربعة من الزوج مرتدين ثيابا بيضاء مع الأبهة المألوفة في سرايات القاهرة . وكانت القوط مراكشة بالذهب وأصحابين من الصيبي المرين بالرهور .

« وكان حسن لا يتوقع أن يرى مثل هذه الخيرات ، ومثل هذا الغنى وارفاهية

لدى أناس يعيشون في قلب أفريقية وكان يطل أنهم يعيشون في أشد حالات القحط ،
ويقاسون أهوال و آلام الجوع ، وفي حالة تسويع الاسعار ، ولذلك دهش وحدث
أعصابه ، وصار يقب الطرف دات اليمين وذات الشمال ويقول لأمين باشا والباحصير ،
أما لعمر الحق حسارة ونى حسارى ترك بقعة كبد

« وأعد لهم حواش افدى مساكن استوفت شروط اراحة ، تمسكوا فيها من
تمضية الوقت الذى أقاموه في دوفيليه باعى المال ، قبل أن يسافروا إلى لا بوريه ومحضات
اشمال .. »

وأنا نتقف رهة أمام هذه الأحاسس الذى علب مدوب الاسمار ، وهو يدعش
لمعة هذا المصرى العظيم ، الصغير فى منصبه ، الكبير فى كفايته ، هذا المصرى الذى
أوجد فى أكرواح القش على قارعة حط الاستواء مستوى من الحياة والمطاقة والنظم
أذهل هذا الذى أقل من مدر والقاهرة لى نقد حواش افدى ومن معه من رائن
المناطق الاستوائية الوحشية .. لا نحب اذن أن نسمع أن المدوب الذى أقل يسحب
الحمايات يهتف من غير وعى مرددا الخسارة الكبرى اذا تم ما أقل من أحله انه يريد
أن يطفىء هذا السراج الوهاج الذى اصاءه مصر بانثها ودمائها وما لها في قلب افريقية ..
● ولما انتقل أمين باشا ، ومدوب « الاتقاد » إلى لشمال أحد الهياح برداد ،
ورغبة في التمرد على قرارات اسفرائية تقوى وتشد .

وأحدث متاعب أمين بان تتصاعف ، وهو مه تزايد وراد في أشعابه وأحراره
حبر محرن ورد له من دوفيليه ، وهو أن صاطا من الشبان معه عدد من الحدود رحل إليها
وأحد يحط في حدود الفرقة الذية يحصهم على عدم تسمر ، ويقول لهم « ألا وجد
لدى أفديب بك من السكوات يستطيع أن يرسله إيسا يد كان يريد حقا وصداقا استدعاؤنا
إلى مصر . » وطل هذا الصايط يحذرهم من مؤامرة « البصرالى » الذى يرعى أنه مدوب
للحدوي ، ويريد أمين باشا أن تتابعه فيها ، ويريد حواش افدى أن يعقد امرها معا ..

ووجد الجنود في كلامه مطلقاً صدقوه ، فما كان منه إلا أن حس حواش افدى في منزله ، وأمره ألا يتصل بأحد .

وكان اسم هذا الصابط الثائر على العودة فصل المولى افدى .

● وقرر أمين باشا أن يعجل بالعودة إلى دوفيه وما أن وصل هو وفيما حسان ، حتى وقعا في أسر الثوار ، وحجزوا في دار الباشا ، إلا أن هو حواش افدى كان يرسل لهما من منزله ما هما في حاجة إليه من مرطبات وقهوة . أما حسان فلم يقبض عليه وترك حراً وكانت مطالب الثوار تتلخص في عدم اسعر ، واصدة ستالي من حيث أتى ، وعزل حواش افدى الذي يميل دائماً إلى تمعد أوامر أمين باشا ويشتد في معاملة الصابط والجنود . وجاءت الأساء بأن ستالي وصل إلى حدود المديرية الحوسمة ، فسافر حسان لاستقباله مع بعض الصابط .

واستدعى الثوار رملاتهم في المخطات للفرقة وعقدوا مجلساً عرلوا فيه أمين باشا لأنه يميل إلى اسفر وحواش افدى لأنه سعد أوامر الباشا وعيسوا أحدهم حاكماً للمديرية (حامد محمد) وآخر قائداً للفرقة الثانية ، ثم أصدرت هيئة الثوار أوامر بترقيات كثيرة منحها نفسها وكان أهم ما عملته أنها بهت من حواش افدى ؟

وتقبل أمين باشا هذه الحالة صامراً فقد حررها عليه ستة ستالي المشؤومة . ولكنه أمر باستدعاء صابطين وقاصي المديرية ، وكتب وصيه ، وحصل امته فريدة وريثته في كل شيء ، وعين سمو حديوي مصر منفذاً للوصية .

● وحدث في أثناء هذه الأزمة العصيبة حادثة خطيرة . إذ جاءت الأساء بأن تسع سمر وصلت إلى المخطات الثانية تحمل قوات كبيرة من الدراويش نعر والمديرية ، بتولي قيادتها عمر صالح . وأرسل هذا القائد رسالة طويلة جداً إلى أمين باشا مع ثلاثة من أعوانه يستعرض فيها تاريخ الثورة المهدية وانتصاراتها ويدعو إلى تسليم المديرية .

وهنا وقع الثوار في حيرة مسكرة ، فافعدوا ثلاثة منهم لاستشارة أمين باشا ، فقال لهم أنه عزل من عمله ، وهو مسجون ، فلا رأي له !!

وأمام الخطر المحدث انقسم المعسكر إلى معسكرين إلا أن أقواهما كان في صف أمين باشا . وسادت الفوضى ، واشتد القلق ، وعظم الخلل ، ولم يعرف أحد في هذا البحر لصاحب كيف تناس الأمور وأسرت حكومة الثوار تمرر حامية الرخاف ، ولكن الأساء حامت ، بأن الدراويش استولوا على هذه المحطة وسوا أولادها وساءها ومهم أسرة حامد (بك) الحكدار الحديد الذي حماره الثوار رعم أعنه

وكان الصابط الباسل مديان اهدى سودان^(١) الذي سفت الإشارة إليه قد أقبل ، فتوى حرب أمين باشا ، وتولى رعايته الصابط سيم اهدى مطر ولم ينس الجميع . ومهم فصل المولى أن اريدوا كساوى انتشاره اسكرى ، ودهنوا إلى أمين باشا يعتدرون ويطلبون منه أن يصح عن الجميع صفحا أويا ، فعامتهم أمين باشا بكرم وسحاء ، وصح عن الجميع .

● وسمح ثوار الحواش اهدى بأن يسافر إلى وادلاى ثم أبحر بعده أمين باشا . وقرر الباشا أن يرسل الواحر على عمن إلى دوفيله لنقل النساء والأطفال ، ولا يبقى هناك غير الجنود . ورحلت السفن ، ولكن لم يرد عنها أى خبر وتبين أن الدراويش هاجموا المحطة ، وأسر وهلك كل من فيها .

وكانت هذه الأساء صربة ألحمة ، لم ينس الصابط في باى الخطات بعدها أن عادوا يستعطفون الباشا أن يتولى قيادتهم العبية .

ولكن أمين باشا لم يقبل هذا العرض ، فقد أحدثت له الحوادث الماضية هزة نفسية عيفة فقرر التحدى عن القيادة ، ومغادرة المديرية . وفي اليوم التالى رحل عن وادلاى هو وبيتا حسان والأخلىزى جفيس وحواش اهدى . وفي الطريق رأوا دحان باخرة ، فحسوا أن الدراويش بعد أن استولوا على الواخر حذوا في أثرهم ، ولكن تبين أن الباخرة « الحديدوى » مازال مصرية ، وأنها تحمل أصدقاء ، وقد جاءتهم بالأساء التالية

(١) أصيب سليمان دياب بعد برصاصه عائلته منها أمين باشا ، ولكنه مات منها

وهي أن محطة دوفيديه هوجت وأب الدراويش اقتحموا بضعها ، واستنوبوا على باخرة ،
ولكهم ردوا عنها بحسرة فادحة ، وأمكن استنقاد الباخرة منهم مرة أخرى . وحتى
لا يتعرض النساء والأطفال للخطر حملوا في السفن ورحلوا إلى الجنوب . وترسل السككاشي
سليم أهدى مطر رسالة هذه التفاصيل إلى باشا وكان تاريخ رسالته ٢ ديسمبر ١٨٨٨
● وعلى الرغم من أن الحالة لم تكن من السوء كما توقع أمين باشا ، إلا أن الفتنة
التي أحدثتها ضده نوابا ستانلي ، خصصته من نكيت الصمير في لوفارق المديرية . فقرر
أن يتبع الرحلة .

وكانت إشاعة عودة ستانلي كادحة ، وقد مضى على آخر اجتماعاته مع أمين باشا سبعة
أشهر كامله حدثت فيها هذه الحوادث العريية فلما كان الشهر التاسع على أوبته إلى
الكويت . جاءت الأنباء بأنه وصل مرة أخرى إلى الراوية الخويبة العربية من بحيرة
البرت . وفي آخر يناير سنة ١٨٨٩ كانت رسالته قد وصلت إلى صاحبه حسن ، وكذلك إلى
أمين باشا

وكان ستانلي عمر ورراً للحسائر الفادحة التي حلت بحملته ، إذ سلك بها طرقاً معوجة
حطرت حتى مات ١٨٠ رجلاً من ٢٧٤ كانوا معه . فكتب إلى حسن يقول له أنه إذا
لم يكن من رحا المهدى ، ولا من رحا أمين باشا ، فعليه أن يوافيه فوراً حيث هو .
فصار حسن ، ثم نعه أمين باشا ومن معه . قال مؤلف كتاب « حياة أمين باشا » (١)
« إن حملة ستانلي ، عند ما وصلت إلى اسحيرة في المرة الثانية لم تكن أحسن حالا
مما كانت عليه عند مجيئها في المرة الأولى في السنة الماضية . ولم يكن لدى ستانلي شيء
من اعطف والميل لا نحو أمين باشا ، ولا نحو صاظه . فكان يعتقد أن حملته أخطأت
عصدها ولم تصب قط مرماها ، وكان هذا الاعتقاد المصى تشعل كل أفكاره .

« وأن مهمة ستانلي لم يكن من مقاصدها تمكين أمين باشا من مواصلة شر العمران
في ربيع مديرية خط الاستواء المصرية ، كما لم يكن من أغراضها إقناعه بتوصله إلى

(١) عن مديرية مط الاستواء ج ٣ ص ٧ ٢ .

صاحب اسحر ، بل كان حل ما ترمى اليه اكتساب اقليم متراعى الاطراف بصاح شركة
المجيرية يشتر بادر الخيرات الكثيرة . يشر حكمه مدير حيدر محنت .

« أما الآن وقد أمسى أمين باشا ، لا يملك جيشاً فليس له منه فائدة و لشيء الوحيد
الذى مارا في الاستطاعة حيه من الحملة هو انقاد ذلك الرجل الذى كانت أوريا بأسرها
مهمة بمره لا تقاده من الممالك مهما كلمه انقاده من مح ور دايما تحمل عن اوصف .

« وكان هذا الانقاد لا بد من انما في أقرب آن مع صرف أقل ما يمكن من المال
« وكان ستانلى يفتت اتسع أمين باشا . وكان يود حصرهم في أقل عدد ممكن . ولو
نقبت حدود أمين باشا ، وناشر المسير على رأسهم نفتح اقليم السحيرة لحساب السحيرة
كان ستانلى قد تصرر منه . وما كان يقيم العراقيلى في وجهه . أما الآن وقد أصبح
هؤلاء الجنود عاجزين عن تنفيذ الخطة التى كان ستانلى قد عنق عليها الأمان ، فقد صار
كل شيء يعمل للحيولة دون انسحابهم ، لأن في استطاعة الجنود أن يصاقوا ستانلى
في ادارة الحملة التى كان يريد أن يكون مطلق العصرف فيها . ولكن يحد أيضاً حجة
مقبولة في الصاهر لا مسعود هؤلاء الجنود والتجلى عنهم ، عرا اليهم بية الحياة ، وأنهم
بأنهم لا يبيتون بية القصر على أمين باشا فقط ، بل على ستانلى وصايله وتسليمهم
لعمهدين وهذه المهمة التى ليس لها أساس أصلا أصبحت مصدر كل ما سبه ستانلى إلى
الجنود من المثالب ، وكل ما صوبه اليهم من انطاعن . »

وبدلا من أن ينتظر ستانلى تكامل موطنى الحكومة الراعين في الاسحب ،
ولا سيما أن بعض المراقبين لأمين باشا كانوا قد تركوا مصر أو كل أهلهم ، وهم ينتظرون
قدومهم . فكنت ترى روعة ينتظر روجب ، أو أنا ينتظر اسه وهكدا .

ولكن ستانلى ذلك الرجل انعط المسند للثوى القصد ، هدد الجميع بمدافعه ارشاشة
وأجبر من أراد المسير معهم على متابعته دون ابداء أى رأى أو مناقشة أو رعاية أى قاعدة
أو عاطفة . ولم يحدث في تاريخ الصلاب البشرية بين الناس عصمهم وبعض مثل هذه

«الفظائع المسكرة التي ارتكبتها سائلي وهو « ينقد » موظفي الحكومة . وكان يكنى أن يرتكب أى فرد خطأ لى بعده . بل لقد أمر بقتل أحد المحامين ، ثم أمر بأن تقطع جثته ثماني قطع ! »

وفى الطريق كانت ترد الأسماء بأن الصابط سليم بك مطر فقد دى إلى رسة قائمقام — محدى اللحاق — لجنة مع ٣٧ صابطا وصف صابط . وأنه ترك حكم المديرية لفصل المولى بك قائد ثورة النقاء ، ولكن سائلي لم يأذن بالانتظار مطلقا .. وكان أمين باشا يدور حسرات على ما يحل بحاله ، حتى أنه عند ما كان أحدهم يمرص بصرنة شمس ، ولا يوجد حمالون لحمله ، كان ستبلى بأمر تركه فى الطريق .. وأى طريق .. حيث توجد الوحوش ولا يوجد اسان ، وبين واحد ، فيكون من أهل بيام بيام ! »
ما أكثر ما يدم أمين باشا ، ولكنه دوس نفسه فى حير مهمل من القافلة ، وكل رحائه أن يعمص عيبيه ثم يفتحهما ، فإذا هو على شاطئ المحيط الهسى . وهباء يفتح صيبيه ، ويستنشق أنفاسا طوالا ، لا لأنه عاد إلى الديار ، ولكن لأنه تخلص من « منقده » سائلي .

وأخير . فى يناير سنة ١٨٩٠ . وصلت اللجنة إلى معبد من المابد إلى نطل على الديار . وصلوا إلى ما كان يسمى أفريقية الألمانية الشرقية . وتناقلت أسلاك البرق ما وصول أمين باشا ، وتهاوت عليه البرقيات من كل مكان تهينه . منها رقية من الخديوى يصع تحت تصرفه وتصرف أعوانه الباهرة لصوره لى تقفهم إلى مصر . وأخرى من امبراطور ألمانيا ..

ولسكن حادثا وقع غير سير الأمور عيبرا تما . فى أثناء وليمة فى بلدة « باحامويد » برر بار نخرج أمين باشا لى يطل من نافذة . وكانت مرتفعة عن الأرض أربعة أمتار ، وغير محكمة الصنع ، فهوى منها الباشا ، ونقل فورا إلى المستشفى حيث بقى شهرين تحت العلاج .

● أما ثمة المصريين وفيتا حسان الذى أرح كل هذه الحوادث ، فقد عادوا إلى مصر على الباخرة المصرية ، فوصلوها في ١٤ يناير سنة ١٨٩٠

وكانت القافلة التي قادها ستانلي - سبقها - مكونة من ٧٠٠ فرد (في رواية ستانلي ٥٥٠ فقط) منهم ١٧٣ موطعا مصريا وأسرههم . ولم يصل من هذا العدد إلى زبردار إلا ٢٠٠ فقط وهلك في الصرب ٢٥٠ شخصا ، وهرب الباقي وهم من الجنادين بسوء المعاملة وعلق سمو الأمير عمر على هذه النتيجة بقوله :

« ومن الواضح اجنى أن رحلة كهذه من بحيرة ابرت بيارا إلى الساحل فيها كثير من التعب والمشاق في ذلك الوقت ، إلا أنه أيضا من المحقق أنه لو كانت حملة مقدمهم راعت أن قفلتهم تمتاز ولو شيئا قليلا عن قطع من الأعاصير ، ما كان لأمرها أن تحس وحلت بها كل هذه المخطوب .. »

« وما من مصري يقدر أن يشعر بمناخية ميل أو ود بحوا ستانلي الذى اشترك اشتراكا قريبا في اقتطاع أحسن وافيدي مديرية من مديريات مصر في السودان ، ولكن لامتدوحة من الاعتراف بأنه رجل صور على المسكاره ، وذو نأس بادر استعمله ويا للأسف صديقا . ولكن حكومة مصر في ذلك العصر هي التي تستوجب منا أشد اللوم ، لسداجتها التي أوقعها في هذا الشرك ، وورطتها في التوقيع على سلاح هذه المديرية من السودان المصري في الوقت الذى لم يكن عليها سوى أن تترك هؤلاء الجنود حيث كانوا ، ولو التزمت هذه الخطة لثبت هؤلاء فيها إلى أن أعيد افتتاح السودان . »

● وما حدث لأمين باشا بعد شعائه أنه التحق بخدمة الحكومة الألمانية ، وأراد أن يعيد المديرية تحت إدارته ولكن لحساب برلين ، وفي أثناء عودته لاحتياز الطريق إلى البحيرات قتلته ابروح ، ولعنهم أكلوه !!

● وأما فصل المولى بك وعيره من المصريين الذين أصروا على القضاء والاحتفاظ بسيادة المصرية على منطقة البحيرات فقد جندتهم شركة شرق أفريقية في خدمتها ،

وعلقوا خدمتهم لها على شرط مواظبة الحكومة المصرية .. ولكن الحكومة المصرية
لم تكن منهم ، أو تسأل عنهم وهكذا اتلفت اشركة المطقة كلها (١)

❶ وأما الذين عادوا إلى مصر فكان على رأسهم عثمان اهدى لطيف وكيل المديرية
والكاشي حواش اهدى منتصر ، والصاع ابراهيم اهدى حليم وثلاثة صباط آخرين ،
وسبعة عشر من الموظفين المدنيين . ومع الجميع فسا حسان ، والايطالى ، ركو حسارى ،
والنور باشى كارانى .

وهكذا انتهت هذه الصفحة المشرفة .. صفحة المطوبة والنصحية
للمخاندن . صفحة مصر ، وأنطاخا النسيين . صفحة أبناء الليل البررة الذين أحسوا
بهرم ، وأحسوا أرض بهرم ، وعاشوا فى مدعه أعر أيم حياتهم ، وكأخوا وكابدوا لكي
تقل الزاية المصرية مرفوعة ، لم يوهن من عزمهم أن مصر تفسد احب ، ولم يصعب
من يقينهم أن السودان نفسه احترق باشورة المهيبة .. لا ، ولم تتحذل شجاعتهم أمام
المفاجآت والخطوب وانتقاصات الروح ، كما رأوهم قبة مقطوعة عن العالم . حتى إذا
انقصى على مقامهم فى منطقة البحيرات عشرة أعوام ، أهملتهم فيها حكومتهم ، بل
حاولت أن تقطع صلتها بهم .. وما كان هؤلاء الا يظال أن يسلموا أرض انوطن ، إلا عندما

(١) كان أمين باشا فى مصرعه والتهام « أفريقية » له قد قابل سليم بك مصر وطلب منه أن
يمن معه هو وحووده وعددهم ٨٠٠ حدى ومجموعهم مع أفراد أسرهم وأساعهم ثمانية آلاف فرس سليم
بك وكان مسكراً فى « كافالى » وقال لامين باشا انهم جيماً من رعايا الخديوى ، ولا يقلون العمل فى
خدمة الحكومة الاناوية .

ثم أقبل الكنى وحار د بياة عن الشركة التجارية ، وحاور استمالة سديم بك مصر ، فقال ان شعرة
يعين فى خدمة الخديوى ، ولا شىء يحوله عن الاخلاص للعلم الذى عاش تحه طوون حياته . ولكنه لمع
هذا يستطيع أن يشتغل فى الشركة مع حووده اذا صرح له الخديوى ، على أن يحتفظ بمجديته ، ويشغل
مصالح حكومه .

وكان رد مصر انها رفضت الاعتراف بحوودها فى حظ الاستواء ، ورفضت صرف مرتباتهم ،
واعتبرتهم عصاة لانهم لم يطيعوا أمر سنانى بالاحلاء !!

وكانت نهاية سليم بك انه مات ، وهو صوفى من أوعده الى الساحل لمقونه على نهر النيل أو وعده !

تحركت الامبراطورية كلها تريد أن تترعهم من أرض أحموها وأحبهم ، واستعانت
عليهم بخديويهم وبحكومتهم « السنية » وقد اقترن بدمير سلطان مصر باعف وأعجب
صروب القسوة التي طبقها ستلي ، وكأنه يتعامل لا مع همع ، ولا مع وحوش ،
ولكن مع من هم أحط طلبة وأدنى منزلة .. فالهم لاجول ولا قوة إلا بالله .

وقد انتهى أمر منطقة البحيرات بأن زعت من مصر ، لا بمفاوضة ، ولا بحرب فيها
هزيمه وبصر ، ولكن باستغلال السلطة التي حلقها في مصر ظروف الاحتلال . فقد
بصت معاهدة الحكم الثنائي التي وقعت بين اللورد كرومر و بطرس باشا على في
١٩ ماير سنة ١٨٩٩ على ما يأتي :

« تطبق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الأراضي الكائنة إلى حوى
الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهي :

« أولا — الأراضي التي لم تحاط قط بالجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢ أو
« ثانياً — الأراضي التي كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان الأخيرة
وفقدت منها وقتياً ثم اقتنتها الآن حكومة حلاله الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد أو
« ثالثاً — الأراضي التي قد سمح بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعداً »
ولم تبص المعاهدة على حدود السودان الخديوية ، وذلك لأن السكوت في بعض
الأحوال من ذهب . واندهب لها بعض مكائنات مع ملك أو عبده وملك أو بيورو مثل
عشرات بل مئات الرسائل والهدايا التي تودت مع الخديوي اسماعيل ، ومع حكاهم حتى
آخر عهد أمين باشا الحاكم هناك وقد اسندت بريطانيا على هذه المكائنات ورفعت
رايتها على منطقة البحيرات دون رعاية لأي مصالح جغرافية أو تاريخية أو واقعية

وإذا كانت حكومة مصر في تلك الأيام قد عاشت في ظلام مطلق ، فإن هؤلاء الأنطال
الجهول من أمثال سليم بك مطر وأعوانه الذين حلفوا في منطقة البحيرات حاولوا أن
يقوا على مصر مصدر ماؤها أو مصدر حياتها ، فلما علموا على أمرهم ودفعوا حياتهم ثمناً
لهذا اتصال المرير غير المتسكاف ، انتهت المقومة الأخيرة هناك .

وقد سبت مصر تماماً بسليم مطر ، بل لولا جهود الأمير عمر طوسون في
الكشف عن شخصيته وأعماله من بين أكدرس التقارير والكتب الأجنبية ، لظل

نسباً منسيا . وكان آخر ما ذكر عن هذا الرجل المخلص ، ما رده عنه اللورد لوهارد —
 فقد منح هذا اللقب — في محاصرة القاها عام ١٩٣٠ ، أي مدة خمسة عشرة عاماً .. قال :
 « ... صممنا اليها السودانيين ، وأمكنا أن ترتبط معهم بعلاقات ودية فاحلاص
 هؤلاء بقيادة رئيسهم الطاعن في السن — سليم بنت مطر — لحاكمهم الحديوي ، الذي
 قاتلوا المهدي والدرأويش في طلال رابته مدة خمسة عشر عاماً كما يقولون ، فهو احلاص
 يحركه العواطف ، ويشير الخداع في النفوس . ولقد مر أربعون عاماً ، ومع ذلك فاني
 لا أستطيع أن أحتمل أن تمر عميلتي ذكرى الظروف التي اصبى عليها نهاية خدماته
 المترعة بالنسالة والاقدام »

وكان الاسلام قد وصل في موذه حول البحيرات في حد لا بأس أي قوة استثمارية
 على بعضها من الوجود معه في صعيد واحد ولهذا يرى الساجور مكدونالد الذي كلف
 تثبيت قواعد الحكم البريطاني هناك يقول في أحد كتبه عن مهمته :
 « لقد كان من حسن حظي ، وأنا قوميير مؤقت ، أن أعمل نصفية قطعية على
 ملائحة آخر مجهود تبذله الحمحية الاسلامية لطرد النفود الأوردي وبشروعات
 المشيرين .. والتقدم »

وقد نسي الكاتب المذكور أن حكومة مصر هي التي كانت تسهل لمشري
 المسيحية الذهاب إلى منطقة البحيرات ، وهي التي أمدتهم بالمال ، وبكل تسهيل ، لأنها
 حكومة اسلامية لم يعلمها دينها التعصب ، وهي تؤمن بمدأ البقاء للاصح . وكان هذا
 هو جراء ما صعب .

وقبل أن نختم هذا الفصل نشير إلى بقايا القوات المصرية ، وهي القسم الذي كان
 يقوده فصل المولى بك . فائد ثورة البقاء الأولى ضد أمين باشا .

فبعد اسحاب أمين باشا ، ظهرت بلجيكا من الغرب راحفة من الكونجو لكي
 تنهب بدورها قسماً من هذا التراث المبدد ، وحاولت أن تصم إليها فصل المولى وجبوده .
 وكان هؤلاء الجبود في حيرة ، ففعلوا أن يأخذوا روائسهم من سجيكا على أن يرفعوا
 أعلامهم المصرية كما هي . وفي أثناء مقامهم بالقرب من وادلاي ، اشكوا مع
 قوات متموقة من الدراويش فقتل فصل المولى ، وسكن ما تبقى من قوائمه على ولاته

لمصر ورايتها حتى وصل الإنجليز إلى البحور ترستين ، وقد أعمل الخيلة لكي لا تصطدم
 بجيكا بالبحر في هذه المناطق ، فرفع الراية المصرية على معسكره ، وأخرج من جيبه
 رداء تعيينه صاعدا في خدمة الحكومة المصرية ، وما ألبسها « أحمد علي » القائد
 الحديد للقوة حتى وضع نفسه في خدمة « ترستين » . فطلب منه أن يسوق قواته إلى
 الجنوب — وكانت مع أساعها وأفراد أسرها خمسة آلاف — وهناك في أوغده صعدوا
 بالصراط ما صعدوه سليم بك مطر ، فقد عزلوا من قيادتهم ، وجدد الجنود في خدمة
 الحكومة البريطانية مع غيرهم من فرقة سليم بك المدحمة ، وكان عددهم يبلغ ١٦٠٠ حدى
 وحظر للحكومة البريطانية أن تسوق هؤلاء الجنود في طريق طويل ماراً بحيرة
 رودلف ، لكي نقاتل بهم حملة مارشان الفرنسية في فاشودة ، فلم يدع عن الجنود ، وفصلوا
 هم أن يقصوا السلطة البريطانية من أوغده ، بمعونة مسلمي هذه المنطقة ، وثاروا فأحصرت
 لهم بالبحر قوات مدية طلت تقادهم أكثر من عام ، حتى أفضتهم عن أسرهم . وفضلهم
 ، نقض آخر طائر روح النمل المصري الحقيقي في تلك المناطق

مصر والنيل

— ١ —

بميراثنا وأرضنا

في سنة ١٩٢٩ ، وصل المعمر له محمد محمود باشا مع الحكومة البريطانية إلى عقد
 اتفاقية النيل ، وهي خطابان متبادلان بين الحكومة المصرية و (دار المدبوس السامي)
 في ٧ مايو من العام المذكور ورد فيها :

١ — أن انفش العام لمصلحة الري المصرية في السودان أو معاويه أو أى موظف
 آخر يعينه وزير الأشغال ، يكون لهم الحرية الكاملة في التعاون مع المهندس للقيم
 بحران سار لقياس التصرفات والأرصدة كي تتحقق الحكومة المصرية من أن توزيع
 المياه ومواردات الخراج جارية طبق لما تم الاتفاق عليه .

وسرى الاجراءات التنفيذية الخاصة بالتشديد والمتفق عليها بين وزير الأشغال
 ومستشاري ري حكومة السودان من تاريخ الموافقة على هذه المذكرة .

٢ - ألا تقدم مبرراتك سابق مع الحكومة المصرية أعمال رى أو توليد قوى ، ولا تتخذ احراءات على النيل وفروعه أو على البحيرات التى يسع منها سواء فى السودان أو فى البلاد الواقعة تحت الإدارة البريطانية ، يكون من شأنها إيقاص مصادر الماء الذى يصل إلى مصر ، أو تعديل تاريخ وصوله أو تخصيص مسو به على وجه يحدق أى ضرر بمصالح مصر .

٣ - تلقى الحكومة المصرية كل التسهيلات اللازمة للقمام بدراسة ورصد الأبحاث المائية لهر النيل فى السودان دراسة ورصدا وافيتين .

٤ - إذا قررت الحكومة المصرية إقامة أعمال فى السودان على النيل أو فروعه أو اتخاذ أى احراء لزيادة مياه النيل لمصلحة مصر ، تتفق مقدما مع السلطات المحلية على مايجب اتخاده من الاجراءات للمحافظة على المصالح المحلية ويكون إنشاء هذه الأعمال وصياتها وإدارتها من شأن الحكومة المصرية وتحت رقاتها رأسا .

٥ - تستعمل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشمال أيرلانده وسانتها لدى حكومات المناطق التى تحت عوذها لكي تسهل للحكومة المصرية عمل المساحات والمقاييس والدراسات والأعمال من قبيل ما هو مبين فى الفقرتين السابقتين

٦ - لا يجوز الحال من انه فى سياق تنفيذ الأمور الرئيسية بهذا الاتفاق قد يقوم من وقت لآخر شئ فى تفسير مبدأ من المبادئ أو يصدد بعض التفصيلات الفنية أو الادارية فستعالج كل مسألة من هذه المسائل بروح من حسن النية المتبادل فإذا شأ خلاف فى الرأى فيما يختص بتفسير أى حكم من الأحكام السابقة أو تنفيذه أو تعديلها ، ولم يتيسر للحكومتين حله فيما بينهما رفع الأمر لهيئة تحكيم مستقلة .

٧ - لا يعتبر هذا الاتفاق نأى حال ما ساء مراقبة وصطف الهر ، فإن ذلك محتفظ به لمناقشات حرة بين الحكومتين عند المفاوضة فى مسألة السودان

•••

وقد سبق عقد هذه الاتفاقية أن التى رئيس الحكومة (محمد محمود باشا) خطبة ذكر فيها شيئا عن منطقة السدود ، وقال إن بعضا يقع فى أملاك بريطانية ، وما أن علم سمو الأمير عمر طوسون هذه الخطبة حتى عصب وكتب فى الصحف مسكراً أن جزءا

من منطقة السودان يقع في أملاك بريطانية وذكر أنه لو احترمت المحلظة معاهدة سنة ١٨٩٩ لكان أول واجب عليها إرجاع هذه البلاد ، وجعلها تحت إدارة حكومة السودان ، حيث أن هذه المعاهدة تشمل عموم الأراضي التي تكون منها السودان المصري القديم كما كان عليه قبل الثورة المهدية ، ولكنها لم تفعل هذا الواجب ، ولم تراع في تطبيق هذه المعاهدة . وهذا لا يجعلنا نعتبر عملها الذي استندت فيه إلى القوة وحدها عملاً شرعياً فإن المحلظة التي أخرجت مارشان من فاشوده بحجة أنها جزء من السودان المصري ما كان يسعى لها بعد ذلك أن تسلح جبراً من نفسها . وهذه الحجة لا تروا إلى الآن باقية »

وقد أدت حطة محمد محمود باشا إلى أن أنف الأمير عمر كتيابه الشهير عن مديرية حط الاستواء ، وذكر فيه عن اتفاقية مياه النيل :

« ما لم يبق بين ناس حصرة صاحب الدولة محمد باشا محمود خدع في حسن بيته في أثناء المحادثات التي دارت بينه وبين الحكومة البريطانية عن المسائل الخاصة بمياه النيل لأنه ما كانت المحلظة تعتبر هذه الأراضي أرضاً بريطانية ، وتعتبها بهذا البعت دائماً ، كان من الجلي أن هذا هو الذي لابد أن يكون قد حدث مع دولته ، وأنه لم يعبه كلماته هذه إلا تحت سيطرة تأثيره بأن ماسمعه يوافق الحقيقة »

•••

ومن الواجب ونحن نكتب عن النيل أن نذكر أهمية هذه المناقشة لمصالح مصر الحيوية من جهة الري واحتياجات مصر المستقلة إلى الماء :

● « وكل شيء منه هب إلى ماسبق أن ذكرناه في المقدمة ، وهو أن ترفع وزارة الأشغال عن عرض أعمالها « التفصيلية » على الجمهور حتى يكون رقيباً على أن هذه الوزارة لم تقصر في حق مصالحه الحيوية . وقد قرأنا كلمة في مجلة المهندسين على بك فتحي قال فيها :

« لاحظت أن الكثيرين من المتحدثين عن مشروع كهربة حراة أسوان على صفحات الجرائد أو في مناسبات أخرى تعرضون لنواحيه التعصبية التي لا يمكن أن تطرح للمناقشة العامة ، ولا يمكن التمسك بها إلا بمعرفة الجهات المختصة . من المعلوم أن لهذا المشروع نواحي فنية واقتصادية يتعدى تفهيمها لكل سائر . وفتح باب المناقشة على

مصر اعيه بهذا الشكل مصر ولا شك بمصالح البلاد . وأمامنا على سبيل المثال حزان حبل الأولياء الذى قامت حوله صحة عظيمة ترتب عليها أن حبل لمطم الناس أنه مشروع فاشل ، أو فيه إصرار بمصالح مصر ، بينما هو يؤدي لمصر حدمة لا تقدر .

« .. وكل ما يمكن للجسور أن يطلبه هو معرفة الهيئات أو الأشخاص المسؤولين عن كل ناحية من السواحي السابق الإشارة إليها .. الخ »

فهذه العنقبة البيروقراطية التى تسيطر على وزارة الأشغال هى التى تريد التخفيف منها . فحسن لا نسكر على مهندسيها كفايتهم ، ولا وظيفتهم ، ولا تقديرهم لمصالح البلاد . كل هذا حسن ، ولكن لماذا بلحا إلى المحلات والكتب الأجنبية لمأخذ منها التفصيل عن مشروعات أعلى النيل ، ومعبدة خزان أسوان الثالثة ، وكهزة الحزان وهل قراء مجلة « المهندس » الانجليزية التى تصدر في لندن ، حير من قراء مجلة المهندسين العربية التى تصدر في القاهرة ؟

لماذا يكتفون في المحلتر وفي أمريكا وفي جميع العواصم المنحصرة لجمهور المهتمين . بالمسائل الفنية كل شيء . وتضمن هيئاتنا الفنية على جمهور المختصين المصريين تفسير وتفصيل لأعمالها .

● وقد ثارت بحوث في الأيام الأخيرة ، على صفحات الصحف من النوع الذى نكرهه وزارة الأشغال ، مدأها سعادة عبد القوي أحمد باشا ، بقوله إن برنامج السر مردوخ مكذب والمالذ الذى أورده في تقريره عن ضبط النيل أصبح برنامجا عتيقا ، إذ أنه حدد الأرض التى يمكن زرعها في مصر بسعة ملايين من الأقدية ، في حين أن في الامكان أن تصل الأرض المزروعة إلى تسعة ملايين .

وانبرت وزارة الأشغال ترد على هذا الكلام فوصفته بأنه كلام مرتجيل . وقالت ان الوزارة رسمت نفسها برنامجا في سنة ١٩٣٣ مدته عشرين سنة ، قدرت أن في استطاعتها خلاله ، أى في سنة ١٩٥٣ أن تصلح وتروى ٤٠٠.٠٠٠ فدان في اوجه البحرى ، وتحول نصف مليون فدان في الوجه القبلى من رى حياض إلى رى دائم . وبعد هذا التبريح ستعى وزارة الأشغال بتدبير الماء لـ ٩٠٠.٠٠٠ فدان من الأرض الدور ، ونصف مليون فدان تروى ريا دائما وهى تروى الآن ريا حوصيا . واذا سارت الأمور على هذا المنوال

الذى التزمته في رامج ١٩٣٣ فلما استدخل في القرن الواحد والعشرين قبل أن تنتهى ،
أو تكون قد أتمته في نهاية هذا القرن .

● وهذه السياسة التى تسير عليها وزارة الأشغال أشد ما تكون خطرا على حاضر
هذه البلاد ، وعلى مستقبلها ويجب أن سمعنا على صوت ، وفى وضوح لا يلحقه إهمام ،
إلى أن مصر توشك أن تلم بها الحاجة لإداسات الأمور سير النهضة التى تترسم ورائها
التيير وقراطية العتيدة

وما أعجب هذا الناقص بين الحالين . مهندس كبير معروف وعصو في مجلس الشيوخ
وكان قبل اليوم وزيرا مسؤولا ، ينادى بأن رامج مكديوالد أصبح عتيقا ، ويجب
أن يعدل عنه

أنعرف ما يقول هذا البرامج الذى يشور عليه عبد القوي أحمد باشا ، وقد وضع في
سنة ١٩٢٠ وأقرة المرحوم اسماعيل باشا سرى ؟

يقول إن عدد سكان مصر سيتزايد حتى يصل في عام ١٩٥٥ إلى ثمانية عشر مليونا
ونصف مليون . وهذه الزيادة تقتضى أعداد مساحة أريه من الأرض المترعة لتدير غذائها ،
هى سبعة ملايين من الأفدة . و إذن فلا بد من عمل جدول دقيق لتسييد مشاريع اري ،
بحيث لا يقضى ٣٥ عاما ابتداء من عام ١٩٢٠ ، حتى تكون الأرض التى رويت ريا
مستديما ، والنور الذى أصلح للرى المستديم قد راد ١٨٠٠٠٠٠٠ ، ووصل المجموع إلى
سبعة ملايين من الأفدة .

وسياتى عام ١٩٥٥ ، ولن تعقم الأرحام ، ولن يكف عدد السكان عن الزيادة ، ومع
ذلك فوزارة الأشغال تعدنا بأنه عند ما نصل إلى الرقم الذى ذكره السر مكديوالد ، نكون
قد حققنا نصف البرامج ، وبعد نصف قرن نكون قد أتممناه !!

أنعرف وزارة الأشغال أن سكان مصر سيصنون في مطلع القرن الواحد والعشرين
إلى رقم قد يريد على خمسة وعشرين مليون سمة ، أى أكثر من ضعف السكان في
الوقت الذى وضع فيه تقرير سنة ١٩٢٠ ؟ ! لماذا أعدت وزارة ابناء لمواجهة هذه الزيادة
غير الاعتصام باستقراريتها العالية ؟ وإذا نادى مهندس مسؤول بأنه لا بد من التعجيل

ومن زيادة عدد المزرع إلى تسعة ملايين ، قالت الوزارة في وقار : لا ترتجلوا .. دعونا
نعمل في هدوء !

وسنرى إذا كان في الامكان زيادة الملايين السبعة ، أم لا ، كما سرى إذا كان
ماء الهر يكتفى لكل زيادة محتصة أم لا ، مع العلم بأن كمية الماء الذي يحتاج اليه برنامج
مكدونالد هي ٥٥٠ مليار من الأمتار المكعبة سنويا .

● الأرض القابلة للزراعة في مصر كثيرة ، أكثر من السبعة ملايين ، ومن التسعة
ملايين ، ويمكن أن تدرها نصف هذه المساحة .. مؤقتا .

وذلك لأن مصر كانت قبل نضعة قرون تررع مساحات أوسع من المساحات الحالية
ولم يكن أهل اليمن المأوى سحرة ، ولا انصاف آلهة حتى يست ررعهم في الصحرا ،
أو سمو من غير ماء .. لا ولكنه كان يست في أرض خصبة قافلة للزراعة ، مأوها موفور .
ومن الخير ، بل من الواجب أن يدرس سادتنا رجال اري التاريخ القريب للأرض
المزروعة في مصر ، فقيه البيان لما يريد ، وتريده البلاد منهم .

ولندكر الآن بعض الحقائق اليسيرة عن المساحات الحصصة الكبرى التي حولتها
عهود الامحلال إلى أرض عامرة علاها الرمل ..

لندكر أن شمال صحرائنا اللوية الغربية ، مابين الاسكندرية و برقة كان مزروعا ،
وكانت فيه مدائن مزدهجة بالسكان كثيرة العدد ، وكانت بسايتيه مصر ب المثل في وفرة عليها
ولندكر أيضا أن قسما كبيرا من مسكان يزرع ، وكان يعمل حاصلات طيبة ..
وهذا هو الدليل :

١ يدكر المؤرخون أن الفتح العربي أقبل على مصر ، ومطقة « سطا بولس »
عرب الاسكندرية كانت كهنة ياسكان والزراعات .

يمول « نثر » في كتابه الشهير عن فتح مصر ، « إنه ليس شيء أعد عن اخن من
أن يقول قائل إن الطريق إلى غرب مصر كان يشق فيبقى قافلة . فليدنا من الأدلة
مايدكر صريحا أن كل أرض الساحل الواقعة إلى غرب مصر بقيت أهلة يركوها الزرع
حتى مصت قرون ثلاثة من الفتح العربي (أي منذ الف سنة)

ويدكر المؤرخ العربي « المقريري » أن مدينة لوبه قاعدة لأقليم يقع بين

الاسكندرية ومراقية وذكره لهندين الاسمين على هذه الصورة يدل على أن الاسمين
القديمين « لوب » و « مرمريق » ، قد بقيتا في اللغة العربية ، لم يكدهما تعبير .
وقال المقريري في موضع آخر إن إقليم « سطابوليس » يبدأ بعد مدينتي لوبية ومراقية
وكان ما قبل لوبية ٢٤ مدينة ماعدا القرى الصغيرة .
ووصف المقريري مراقية بقوله .

« مدينة مراقية كورة من كور مصر ، وهي آخر حد أراضي مصر . وفي آخر أرض
مراقية بنى أرض انطابولس (سطابولس) وهي رقة ، وبعدها عن مدسة « سستريه »
نحو من مريدس (٢٤ ميلا) ، وكانت قطرا كبيرا به بحن كثير ومرارغ ، وبه عيون جارية
وسها إلى اليوم سائين متعددة ، وأقل ما نست تسعون مسنة . وكذلك الأرض بها ، فانه
جيد راء . وسها إلى اليوم سائين متعددة . فلما كان شوال سنة ٣٠٤ هـ (٩١٦ م)
حلا أهل لوبية ومراقية إلى الاسكندرية خوفا من حاكم رقة ولم ترل في احتلال إلى أن
بلاشت في رما ، وسها بعد ذلك بقية جيدة ، وهذه القبة كانت موحودة إلى عام
١٤٠٠ م أي مند ٥٠٠ سنة فقط .

ثم ذكر « سر » أن منطقة مريوط كانت عامرة بأركى الزراعات ، وما زال تحت
رماها غريس يؤيد حصنها القديم

٢ - كان فرع اسيل السودي ، في العهد الفرعوني يصل إلى سينا (شرق قنال
السويس) ويكون دلتاه ومصبه في هذه المنطقة .

وقد درس المهندس على ،ك شافعى هذه المنطقة ، واستعمل هذه الحقيقة التاريخية
وخرج منها مشروع هام يستطيع أن يقل به ماء النيل تحت القنال لبعاد ررع المناطق
الخصبة من سنا مرة أخرى ، كما ستصلح في الطريق مساحات هامة من الأرض البور
في المربة وحوها تررع أيضا .

٣ ومن الحق أن المنخفضات انكثيرة في الصحراء العربية ، والتي تقع في
نطها الواحات صالحة للزراعة . ومن الممكن بعد تقدم علم الميكانيكا والكهرباء هذا
التقدم الهائل ، أن تررع المياه من بحرى النهر ، وأن تسير في مروع جديدة الليل تحترق

وسط الصحراء الليبية مارة بهذه المستحفظات حتى يصل إلى المنخفض الأعظم في الشمال وهو منخفض القطارة.^(١)

وقد ذكر أن الألمان كانوا قد أعدوا مشروعاً صحياً يقضى بحفر بيل صاعى تجمع مياهه من حط تقسيم المياه بين النيل والكومخو، ويتمتع الصانع في مناطق السدود وبحيرة شاد، ويروى صحراء ليبيا، ويحولها إلى مزارع عظيمة من القمح وإذا لم يكن للألمان الحق في تنفيذ هذه المشروعات - وهو ليس لهم قطعاً - فهل يدعى نحن أبناء النيل أن لب الحق في أن نقل الماء الصانع في حط الاسواء، والماء المصبوب في البحر المتوسط إلى صحاريها لكي تتحول إلى حبات يابسة؟!

٤ - لقد أصبحنا الآن في عالم الذرة، وفي عالم القوى الهائلة التي يسحبها شق الذرة. فمن يعيش مهندسوه قليلاً - ولو في الخيال الذي أصبح حقيقة العرب - ليصوروا لنا رباناً قويا جريئاً يحصى ماء خط الاستواء، وماء الخشة مترامترا، وكنت أقول قطرة قطرة، ثم يرسمون رباناً للمستقبل، يختلف عن الرسم الخزيل الذي رسمه لنا السر مردوخ مكدونالد من ربع قرن؟!

- ٢ -

المشاريع الكبرى

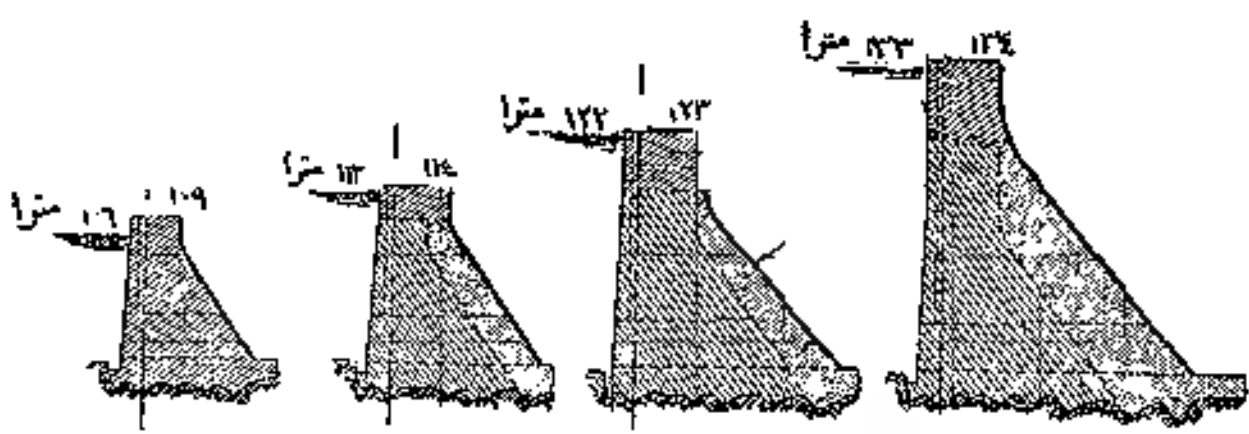
مشاريع الري الكبرى هي :

■ تلمية خزان اسوان تلمية ثالثة . وقد أعد هذا المشروع عام ١٩٢٢ ، ولكنه ظل رافدا في ملفات وزارة الاشغال حتى تصادف وجود السرمدوخ مكدونالد عرسا في مصر فطلب منه أن يدرس الوسائل لتنفيذ هذه التلمية ، ولاترا ان هذه التلمية مصطرة بين الاقرار والامناء .

وتشروع في ذاته خطر ، اذ يصعب كمية المخزون وراء اسوان من ٥ مليار متر مكعب الى ١٠ المليارات او نحوها . وقد وضع المشروع على أساس درء خطر الفيضانات العاليه عن مصر على أن يتممه مشروع وادى الريان لتصريف الماء الزائد .

ولا تعرف بالصط مواسم الفيضانات العاليه والفيضانات المنخفضة . ولكن مصر تواجه الآن مشكلة فياضانات منخفضة قد تنهى في اى وقت . وعمرائة ماحدث من سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٩٣٧ يتبين

(١) ذكر المهندس ليب سيم في محلة المهارة تاريخ فرع قديم لميل كان يحترق منتصدا صحراء لوبيا تقريبا ماراً بمناطق الوحدات وأكبر إمكان حياته من جديد



التعليق الثالث المقترحة بعد التعليق الثاني بعد التعليق الأولي الحزان الأصلي
١٩٤٥ ١٩٣٣ ١٩١٢ ١٩٠٢

١- في السنوات الثلاثين الأولى (حتى ١٨٩٨) حدث ١٩ فيضاناً خطيراً وفي الثلاثين التالية حدث ٦ فيضانات خطيرة ومدمرة ١٩٣٧ حدث فيضانان من نوع الذي قد يدل على إمكان اشتداد فترة الفيضان العادي .

ولا تقتصر فائدة التعليق الثالث على درء هذا الخطر ، ولكنها أيضا توفر كمية عظيمة من الماء ، من تصاعف فائدة الحزان في وضع الحالي .

■ إنشاء حزان « مروا » بالقرب من الشمال ابرام ، ولا يزال هذا المشروع قيد الدراسة وستظهر نتائجه في إنشاء القدم (١٩٤٥) وذلك لأن وزارة الأشغال ذكرت ان مهندس رى السودان سيقدم تقريره عنه « بعد عودته من الخارج »

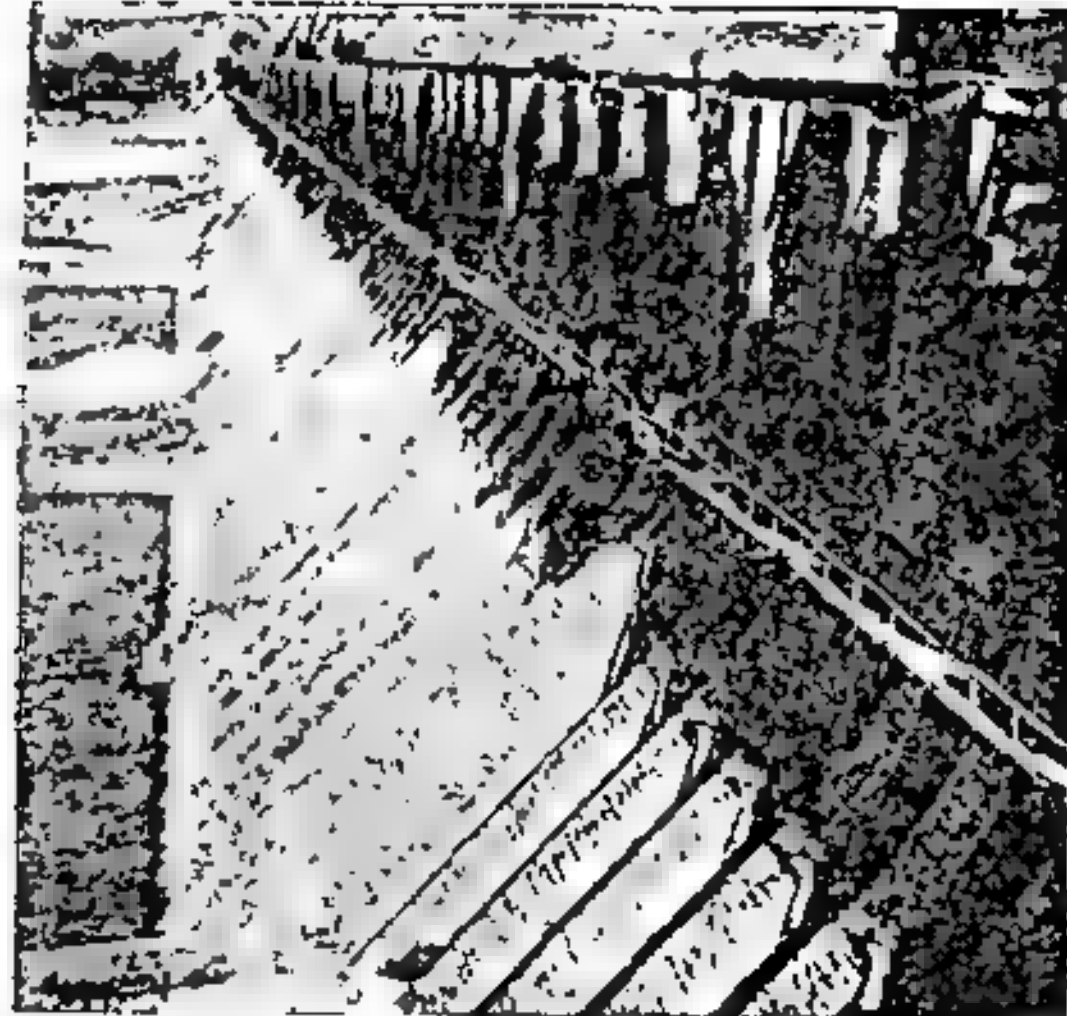
■ إنشاء حزان « ملا » في قمة الحلال الحبيشة وتقدر كمية المياه التي يسحرها هذا الحزان بحصر ٢٣٠٠ مليون متر مكعب

■ يصمم لي منصرف سدود كل عام نصف الماء الذي يمر عبر الحبل وقد اقترح اسحق حارستون في تقريره عن اعلى اسل أن شق قناة من بلدة بور إلى بحيرة نو ، وهذا يمكن تصدئ منطقة السدود . وقد وسع هذا المشروع في أوائل هذا القرن ، ولكن حدث في سنة ١٩١٧ ان مياه بحر الحبل فاضت وامتحت بحري اسمه « ديمبو » حتى وصلت إلى النيل الأبيض عن طريق ممر تنسود والسواط ورماعا كان اتخاذ هذا الطريق اوفر من العبادة المستقيمة ، وما تزال وزارة الأشغال تدرس انظر يوم المشروعات ، ورحو الا يطول تخدتها فيها

■ حزان بحيرة البر :
ان اقيم سد عند بلدة « سامور » على مدخل البحيرة ، يرفع منسوبها من ستة إلى ستة أبارافها بحزن زيادة على ما بها حصة ميارات ونصف مليار من الأمطار السكمة .

■ حزان فكتوريا ببارا
أ- قلم حرائات الماء في العام . ومن الواجب أن تدرس الاستفادة من ماء البحيرة على نطاق كبير . وبمستطصرف البحيرة ينتج لأجهاالة جدا . إذ أن كل سنتيمتر ونصف يريدها السوب أو يخفض منه ينتج لنا ميارا من الامطار السكمة . أى ان يستطيع أن يحصل على كل ما يريد من ماء لرى الصحارى وري السودان كله فاقامة سد وحفر مصب البحيرة في النيل .

■ وإلى جانب هذه المشروعات يوجد أيضا مشروع عظيم وهو بحزن بحري في السودان لكي نحصل على كل مائه .



● ولا يحصر جهود مصر لا تتسبب في طسرة التلة على مائه ، والله الا - نوان كله قاحل في حولى النيل ولكن هناك مصر وبنو كبرائى على أعظمها من الامم ، وما أولا - استخدام كهرباء المسط من المرات ومن الشلالات : والشلالات في طرح الهند كثيرة ، ولي الامكن أن تولد قوى كهربائية عليه لا على من قوى شلالات باحرا ولا - ب - اها تجد ان صلاب سيدة من خارج السيرات الحوية

المطاطات لمراسلون وكيف تحت

كما أن المراتب الصلبة لها فائدة لا تولد منها الكهرباء ، ولو أن المراسلون مروج - قى بطور لان أعظم حديث من استخراج كهرباء ، تاريا - تيميد النيل للامعة الهيرة ، في مناطق الشلالات التي لاغام عليها حراوات إذ يوجد في مصر انهر أميرة كثيرة من السور بح الا - سنة بالممرسات الحديثة مثل الخليج وغيره لارتها فاما وعلى - اكناف أعظم قوة مبعرة وهي لثرفات الهيرة ، لا يوجد عدد لاغاء هذه الفواثق فليبه في مجرى انهر ، حتى تنسر لشلالات ، وحتى على الحاصلات على سطح النيل التوديع بالى ثقة كما أنه سيكون متعة السفر والراحة ما سدا مئة . ويخصها هذا العسكر الاعلرة إلى ما سبق أن رددته ، وهو ضرورة الناية لمطول مصر الهيرة لمصح ولتطاري - فان اعمال هذه الوسيلة من وسائل الدفاع ومنشأ ، من أحد سرود الخامس ، كما البصرة والندم



وأحرا رجوا أن يكون قد مرنا أن - نوان على ، أو الفصح جيد إلى أماء النيل أن يروا بالطرف أن صممت حبة برعم العظيم ، لهذا حة عليهم ، ولقد أدبنا في هذا التبع يسن الواجب ، ورجوا أن يتابع غيرة لمصح في نفس الطريق ... والله المتعلق

النيل في سطور

■ طول نهر النيل من مسامه عند بحيرة سخايقا للبحر الأحمر المتوسط يبلغ حوالي ٦٥٠٠ كم (نحو ١٠٠٠ ميل)

■ يغطي نهر النيل مساحته مقدارها ٠٠ ر ٢٩٠ كم مربع ، وهذه المساحة تعادل ثلاثة أعشار مساحة أوروبا . وبدأ منده من خط العرض ٤° جنوب خط الاستواء وينتهي في الشمال عند درجة ٣١°
■ يجري النيل في مناطق من الأرض تحمل الأسماء السياسية الآتية :

١- تنجانيقا ٢- كينيا ٣- الكونغو الديمقراطية ٤- الحبشة ٥- بوركينا فاسو ٦- السودان ٧- مصر
■ يحمل نهر النيل ٢٠٪ من كمية مياه الأمطار التي تسقط في مساحته ، وتلقى يصبغ بالبحر الأبيض المتوسط في طريق الامتصاص .

■ تستمر أمدار خط الاستواء في تدفقها من اسبوع نحو ٦٠ يوما من أواخر فبراير إلى أوائل مايو ، و ٦٠ يوما أخرى من أكتوبر (بين أوله ونصفه) إلى ديسمبر (بين أوله ونصفه) .

■ بحيرة فيكتوريا أكبر بحيرة عذبة في العالم القديم وحولها من الشمال إلى الجنوب ٣١٥ كم م ومساحتها ٢٤٦٠٠٠ كم م وتحتل بها مناطق لها أسماء سياسية هي بوركينا فاسو ، وكينيا ، وتنجانيقا ، وعمقها يراوح بين ٤٠ مترا و ٧٠ مترا .

■ يصب في بحيرة فيكتوريا ١٥ نهرا أهمها كاهيرا وملوكة ٨٢٥ كم م عند البحيرة عام تصرفه من ١٤٠ إلى ٦٠ متر مكعب في الثانية .

■ النقطة التي يخرج منها ماء البحيرة إلى النيل سافط صخرية اسمها « ريوي » ، وعندها يبدأ نيل فيكتوريا .

وتعرض النهر أول ميلاده من البحيرة عوائق كثيرة هي :

- ١ - ماقط أويس الصحيرية التي تمتد حتى بلدة تاسحالي ٢ - ثم يمر في بحيرة كيوبا وكوبا
- ٣ - ثم يمر سور مسندي وانوره ٤ - ثم يصطدم بحجرات دويرا
- ٥ - ثم يصل إلى ماقط مرشيسون المصنعة ، ويظل يتدفع بينها صاعدا هابطا في ارتفاعات تتراوح بين مابين ٢٥ و ٢٥٠ مترا .
- ٦ - ثم ما يلت التهر حتى يسير هادئا وديما في مجرى صالح للملاحة بالقوارب حتى يصل إلى بحيرة البرت .
- كشفت هذه السيرة سنة ١٨٦٤ وهي التي يراد اتخادها حراثة للماء ، ومساحتها ٥٣٠٠ كم م وملوفا ١٧٥ كم م وعرضها ٤٥ كم وعمقها بين ١٨ و ٣١ مترا وكبر الأنهار التي تتصل بها هو نهر سمليكي .

■ ونهر سمليكي هذا يحمل ماءه من بحيرة ادوارد المرتفعة ومساحتها ٢٢٠٠ كم م

■ ويخرج من الجبل من بحيرة البرت ، ويسير نحو ٢١٨ مترا حتى يصل إلى بلدة عولي وبالقرب من هذه البلدة تقع الحدود السياسية بين مطلقتي بوركينا فاسو والسودان .

ومن عولي تصدر الملاحة في مجرى النهر لسكرة الماقط والحدودات حتى يصل إلى الرخاف ومن الرخاف يسير حتى مجالا ، ثم بور .

■ ومن بور إلى شبي توجد أعظم مناطق السدود المكونة من البردي والحشائش المائية التي عوق سير الماء ويرفع ويطنى على الحسور الرصعة وينسرب إلى المستنقعات العرية الهائلة .

■ وبحوض طول مجرى النيل من بحيرة البرت إلى السواط ١٢٨٧ كم م

- وينحرف من بحر الجبل شمال شيمى إلى الشرق بحر الزراف ، ويسير ٨٠ كم حتى يلتقى ببحر الجبل عند بحيرة نو .
 - عند بحيرة نو أيضا يتصل ببحر الجبل فرع هام هو بحر الفزال . وتغذى سيرة الحشائش ولم يدرس حوضه دراسة وافية بعد مع أهميته الكبيرة .
 - ويواجه بحر الفزال من الشرق فرع هام جنا هو السوبات . وعند النيل الأبيض مدة فيضانه بألف متر مكعب في المانية وقد تصل إلى ١٥٠٠ متر . ولتبر السوبات فرعان هما بارو ، وبيبور .
 - وعند ملتقى السوبات بالنيل يبدأ النيل الأبيض متجها نحو الشمال حتى يصل إلى الخرطوم قاطعا في مسيره ٨٤٨ كم وهو قليل الأغوار متبع المجرى حتى يشبه البحيرة ويتراوح عرضه بين ٣٠٠ و ٥٠٠ مترا . ويزيد بعد منتصفه إلى ٨٥٠ مترا .
 - وتقع بلدة الملاكان على بعد ٣٣ مترا من ابتدائه وعند محطة وزارة الأشغال ويبلغ تصريف الصيف بين ٥٠٠ و ١٥٠٠ مترا مكعبا في الثانية .
 - ولكنه عندما يصل إلى الخرطوم يزيد تصريفه إلى ١٧٠٠ مترا مكعبا في حده الأعلى . وهذه ظاهرة غير منطقية عند النظرة الأولى إذ أن سير النهر مشات عديدة من الكيلومترات منذ مسيره ، وعدم وجود روافد تمنذه كان حريا أن يفقده الكثير من مائه في الطريق ، ولكن النيل الأزرق هو الذى يؤدي إلى هذه النتيجة إذ أن جريانه السريع وتدفعه في النيل يحجب وراءه ماء النيل الأبيض ، وبهذا يكاد النيل الأزرق يستقل بإمداد النيل بالماء في شهرى أغسطس وسبتمبر ، حتى إذا أخذت الأمطار تقل وماء الأزرق يقل ، بدأ النيل الأبيض يغذى الشمال ابتداء من شهر أكتوبر .
 - ويبلغ أقصى تصريف النيل من ماء البحيرات الاستوائية ٢٢٥٠ مترا مكعبا في الثانية ، وذلك عند منجلا . وفي نفس السنة التى قدرت فيها هذه الكمية ، كان أقصى تصريف النيل عند الملاكان ١٩٤٠ مترا فكان منطقة السدود قد استهلكت الفرق بين الرافدين ، وهو فرق عظيم جدا .
 - ويبلغ متوسط ما يفقده النيل في منطقة السدود ٠.٥٤ / من الماء .
 - ومن حسن الحظ أن النيل الأزرق لا يعاني صعوبة تسرب مائه ، وإلا كانت مصر تعاني كارثة محققة . وهو يخرج من بحيرة « طانا » ويعتمد منها ١٠ / من مائه وبعد هذا تصب فيه نهيرات كثيرة فكل ماءه .
 - والنيل الأزرق غضوب عنيف يجرى بسرعة السيل المتدفق ، وكانت هذه الحدة سبب خسران مصر إذ حمت طين الجبال الحبشية على سطحه إلى التربة المصرية .
- | | | |
|---|---------------------------|---------|
| ■ | يلعب طوله من طانه للرصيرص | ٩٧٥ كم |
| ■ | من الرصيرص لسنار | ٢٨٨ كم |
| ■ | من سنار للخرطوم | ٣١٠ كم |
| | فيكون مجموع طوله | ١٦٥٣ كم |
- وعلى بعد ١٦ كم من بحيرة طانا يبدأ نهر عطبرة مسيره ، وبعد جري شديد جدا مسافة ٨٨٠ كم يلتقى بالنيل عند عطبرة على مسافة ٣١٠ في شمال الخرطوم . وكية الطلي التي يحملها أكثر من الكمية التي يحملها النيل الأزرق .
 - ومن الخرطوم إلى أسوان يسير النيل ١٨٨٥ كم ويمر النيل خلال هذه المسافة بست شلالات
 - ومن أسوان إلى قناطر محمد علي شمال القاهرة يقطع النيل ٦٦٨ مترا . ومتوسط عرض النهر ٩٠٠ مترا
 - ومن قناطر محمد علي إلى البحر المتوسط ينقسم النيل إلى فرعى دمياط ورشيد ومتوسط طول مسافة كل منها ٢٣٦ كم

فهرست الموضوعات

| صفحة | صفحة |
|---------------------|-------------------------|
| ١٤١ حواشي افندى | ٣ الاقهار |
| ١٤٩ في باب الريح | ٥ المقدمه |
| ١٧٩ مصر والنيل | ٤٧ «شئ» من الخوف والجوع |
| ١٧٩ بحيراتنا وارضنا | ٤٧ عتاب بين عاصمتين |
| ١٨٦ المشاريع الكبرى | ٨٦ عرض ورد |
| ١٩٠ النيل في سطور | ٨٩ مدينة تدعى |
| | ١٠١ الاسيد |
| | ١٣٠ للفرج |

فهرست الصور

| صفحة | صفحة |
|---------------------------------|-------------------------------------|
| ١٤٠ خريطة | ٩٨ غردون باشا |
| ١٤٣ زنج ارستقراطيون من سكان | ٩٩ ابراهيم باشا فوزى |
| مديرية خط الاستواء | ١٠٠ طريقة الجلبد للحصول على المال - |
| ١٤٤ منظر قريب لوحيد القرن وهو | في عهد المهدى |
| يهاجم فرسا | ١١٢ المهدى |
| ١٥٦ الكباشى حواش افندى مناصر | ١١٣ احدى طرق صيد الفيل في السودان |
| ١٦٦ امين باشا | ١٢٠ فوزى باشا في سجنه |
| ١٦٧ فينا حسان | ١٢١ فوزى باشا وابنه وشارل نيوفلد |
| ١٧٧ تعليقات خزان اسوان | يتناولون طعام السجى |
| ١٨٨ التعليه الاولى لخزان اسوان | ١٣٤ عند ما سقطت الخرطوم في |
| ١٨٩ التعليه الثانية لخزان اسوان | يد كقشمر |

دار الثقافة العامة

مستودع بريد رقم ٩١٥ - القاهرة

٤٤٩٤٦ - ٥٤٥٩٩

سلسلة المراقب والشعوب

| | | | |
|------------------------|--------------------|---------------------------------|-----------|
| ١ - روسيا | صدرت الطبعة الأولى | ٦ - العراق | تحت الطبع |
| ٢ - النيل | • • • | ٧ - أفريقيا الجنوبية | • • |
| ٣ - الهند | تحت الطبع | ٨ - إنجلترا • المملكة المتحدة • | • • |
| ٤ - قتال السويس | • • • | ٩ - إيران | • • |
| ٥ - الولايات المتحدة • | • • • | ١٠ - شبه جزيرة العرب | • • |

وثنى للنسخة ٢٥٠ ما بها غير أجر البريد .

سلسلة قادة الإسلام

| | | | | |
|-------------------|-------------|----------------------|-------------------------|-----------|
| ١ - القرآن | ٢٠٠ ملجم | صدرت الطبعة الثانية | ٩ - طارق بن زياد | نقد ورياد |
| ٢ - محمد | أربعة أجزاء | تحت طبعه ونقاد قريبا | ١٠ - عمر بن عبد العزيز | • • |
| ٣ - عمر | • • • | | ١١ - أبو مسلم الخراساني | • • |
| ٤ - أبو بكر | • • • | | ١٢ - أبو جعفر المنصور | • • |
| ٥ - علي وعثمان | جزءان | • • • | ١٣ - هارون الرشيد | • • |
| ٦ - معاوية | • • • | | ١٤ - المأمون | • • |
| ٧ - خالد | • • • | | ١٥ - صلاح الدين | • • |
| ٨ - عمرو بن العاص | • • • | | | |

سلسلة قادة الشرق والغرب

| | | | |
|--------------------|-------|---------------------|-------|
| ١ - تشرشل | موجود | ٦ - فؤاد الأول | موجود |
| ٢ - أتاتورك | • | ٧ - فيصل الأول | • |
| ٣ - شياخ كاي - شيك | • | ٨ - الشيخ محمد عبده | نقد |
| ٤ - ستالين | نقد | ٩ - ابن السمر | • |
| ٥ - المبكادو | • | ١٠ - شاه إيران | • |

الفلاف من نصيم الفنان
الأستاذ عبد السلام الشريف



- « حاني » إله النيل ، عند قسما
المصريين ، وهو الذي يجري النهر العظيم
بأمره ، وتراه هنا وقد تربع على عرشه
وتوج رأسه بأزهار البردي المتنوعة ،
وأطراف ثدييه ، وشحم بطنه دلالة على
المصوبة والتماء ، وأمسك يديه رمزي
الحياة والاستمرارية سمها حبة لشب النيل
- وعمل من الصور ناست على منقاف
النيل حضارات الزراعة ، والبيجة ،
والإسلام بأديانها وتلفاتها المختلفة.
- وارتفعت على جنباته منذ الأول
منارات العلم والصناعة والزراعة .
- وهكذا كان النيل العميد أعظم
عامل في توحيد الشعوب التي عاشت
على شاطئيه



دار الثقافة العامة

سلسلة المذاهب والشعوب

ص ب ٩١٥ : القاهرة : ت ٥٤٥٩٩

مطبعة الزعبل